الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر – باتنة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

أفعال الكلام في الخطاب القرآني

سورة البقرة أنموذجا

-دراسة تداولية-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات العامة

إعداد الطالبة:

حليمة بوالريش

إشراف الدكتور:

عبد الكريم بورنان

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الهيئة
د. صالح خديش	أ. محاضر	خنشلة	رئيسا
د. عبد الكريم بورنان	أ. محاضر	باتنة	مشرفا ومقررًا
د. لخضر بلخير	أ. محاضر	باتنة	مناقشا
أ.د بلقاسم دفة	أ. التعليم العالي	باتنة	مناقشا

السنة الجامعية: 1432-1433هـ/2011-2012


بسم الله الرحمن الرحيم



الإهـــــــــداء

إلى كل محب للعلم مشجع له

مقـــــدمة

هيمنت اللسانيات البنيوية على الدراسة اللغوية في النصف الأول من القرن العشرين بدء من دوسوسير إلى تشومسكي، وآمنت بأن اللغة نظام من العلامات والعلاقات، وجاءت بمناهج جديدة لدراسة اللغة في ذاتها، ولذاتها دراسة شكلية خالصة مقصية بذلك الكلام والسياقات الثقافية والاجتماعية التي ينتج فيها، واعتبرت الجملة أكبر وحدة لسانية قابلة للدراسة، وبذلك أهمل الجانب الاستعمالي للغة ومقاصد المتكلمين. فكان لابد من التفاتة إلى هذا الجانب التداولي بعدما أشبعت درسا الجوانب الشكلية من صوتية، وصرفية ونحوية في مؤلفات اللسانيين والباحثين . وجاءت نداءات من داخل البنيوية نفسها تدعو إلى دراسة وظائف اللغة، وضرورة الأخذ بعين الاعتبار السياق المقامي الذي تنتج فيه من لدن الوظيفيين أمثال جاكبسون وأندري مارتيني، والسياقيين من أمثال مالينوفكسي وفيرث.

وركزت المدرسة التحويلية التوليدية على الملكة الإبداعية للغة وقدرة المتكلم /السامع المثالي على إنتاج وفهم عدد لا متناه من الجمل، وذهب علماء اللغة الاجتماعيون إلى أن الكفاءة اللغوية، ليست كفاءة نحوية وحسب بل كفاءة تبليغية تواصلية. ونادى هاريس، وهاليداي، وفان دايك بضرورة الاهتمام بوحدة أكبر من الجملة وهي النص أو الخطاب.

وبالموازاة مع هذه النداءات والدراسات كان فلاسفة اللغة العادية وعلى رأسهم أوستين يناقشون رأي المناطقة في وظيفة اللغة، وبحثوا استعمالاتها والوظائف التي تؤديها المنطوقات والأفعال التي تنجز بواسطتها، فتوصلوا إلى أن اللغة لا تصف العالم وفقط وإنما تغيره أيضا، وأن اللغة ذات استعمالات متعددة، فالمنطوق الواحد وفي سياقات وملابسات مختلفة قد ينجز أفعالا مختلفة، ومن هنا جاءت فكرة "الأفعال الكلامية"، التي عدت مركز الدراسة التداولية باعتبار هذه الأخيرة تدرس علاقة العلامات بمستعمليها وبظروف استعمالها، وبآثار هذا الاستعمال على البنى اللغوية للخطابات، فهي منهج يسعى لفهم وتحليل الخطاب.

والقرآن الكريم بوصفه خطابا لفظيا متعاليا لاقى العناية والاهتمام منذ نزوله، وتوسل القدماء إلى قراءته بما تهيأ لهم من أدوات النظر، فكشفوا عما ينطوي عليه من معان ودلالات، وقد وجدت في "نظرية أفعال الكلام"، ما يمكن أن يشكل مدخلا مناسبا وجديدا لمقاربته. فأهمية

الموضوع تكمن في كونه ينصب على دراسة الخطاب القرآني، ومعانيه ومقاصده وآلياته الخطابية من منظور تداولي، فالقرآن الكريم رسالة لغوية خالدة تقرأ بمناهج كل عصر بالإتكاء –طبعا– على دراسات العلماء الأوائل والمتأخرين، وبخاصة المفسرين، كما تكمن أهميته في استثمار نظرية أفعال الكلام في قراءة الموروث اللساني العربي عبر حقول معرفية متعددة: النحو، والبلاغة وعلم الأصول، والتأصيل لأفعال الكلام في هذا الموروث والتي درست ضمن مباحث الخبر والإنشاء، وصيغ العقود .و من هذا المنطلق جاء هذا البحث الموسوم ب: أفعال الكلام في الخطاب القرآني، سورة البقرة أنموذجا – دراسة تداولية "و أما لماذا سورة البقرة فلأن خطابها متعلق بمرحلة هامة من مراحل الدعوة الإسلامية – مرحلة ما بعد الهجرة –، ولتعدد المخاطبين فيها والموضوعات، فهي من السور الطوال، بحيث تمثل مساحة كبيرة وخصبة لدراسة أفعال الكلام، فأغلب الصيغ والأساليب تظهر في آياتها، وبالتالي فهي نموذج لدراسة باقي السور وآيات القرآن الكريم .

وفي ضوء هذا البحث تطرح الإشكالات التالية: ما طبيعة التداولية؟ وما أصولها الفلسفية واللغوية ؟و هل هي ثورة على اللسانيات البنيوية وما بعد البنيوية أم هي امتداد لها؟ وما المقصود بأفعال الكلام؟ وما موقعها من اللسانيات التداولية؟ كيف عالج الدرس العربي القديم ظاهرة أفعال الكلام؟ وما مدى صلاحية المنهج التداولي لدراسة الخطاب القرآني؟ وإلى أي مدى يمكن استثمار نظرية أفعال الكلام في الكشف عن الأدوات والصيغ والآليات التعبيرية المستعملة في الخطاب القرآني للدلالة على القوة الإنجازية لهذا الخطاب؟

وللإجابة على هذه الإشكالات سيق البحث في هيكل تنظيمي قوامه مقدمة مرفقة بفصل تمهيدي وثلاثة فصول، تناولت في الفصل التمهيدي الدراسات اللسانية ما قبل التداولية، أما الفصل الأول والموسوم بــــــــــ "التداولية وأسسها الفلسفية واللغوية"، فقد اشتمل على أربعة مباحث، خصص المبحث الأول لماهية التداولية لغة واصطلاحا، واستعرض المبحث الثاني الأسس الفلسفية التي قامت عليها التداولية، وأما المبحث الثالث فاستعرض الأسس اللغوية، والمبحث الرابع عرضت فيه لمبادئ التداولية وعلاقتها بالتخصصات الأخرى.

و أما الفصل الثاني والموسوم ب : "أفعال الكلام في الدرس التداولي"، ويقع في مبحثين، يتناول المبحث الأول أفعال الكلام في الدراسات الغربية والمراحل التي مرت بها على يد كل من أوستين وسورل، وجرايس، وصادوك، وفي المبحث الثاني تحدثت فيه عن التأصيل لأفعال الكلام في الدرس العربي القديم في حقول النحو، والبلاغة وعلم الأصول.

وأما الفصل الثالث والموسوم ب "تحليل الخطاب القرآني في ضوء نظرية أفعال الكلام"، فيقع في مبحثين، يقدم المبحث الأول قراءة في تداولية الخطاب القرآني وعناصر الخطاب من مرسل، ومرسل إليه، وسياق لغوي ومقامي، والمبحث الثاني والموسوم ب :"أفعال الكلام في سورة البقرة"، فقد طبقت فيه الأدوات المنهجية التي خلصت إليها من خلال الإطار النظري لدراسة أفعال الكلام . وتناولت فيه نماذج لأفعال كلامية حسب التقسيم الخماسي لجون سورل مع التطرق إلى الأفعال الإنجازية غير المباشرة مع التمثيل للقوتين الإنجازيتين الحرفية والمستلزمة بحسب اقتراح صادوك في الفرضية الإنجازية، وهي نماذج فقط ولا تشكل معالم الخطاب القرآني كله في سورة البقرة، وعرضت الخاتمة لنتائج الدراسة.

وقد استعنت بالمنهج الوصفي، فطبيعة الموضوع تحتاج إلى وصف الظواهر الأسلوبية واللغوية في الخطاب القرآني ورصد خصائص النظريات اللسانية والتداولية.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على عدد من المراجع الحديثة والقديمة الأجنبية والعربية، فمن المراجع الغربية كتاب أوستين "كيف ننجز الأشياء بالكلمات "، وكتاب سورل "أفعال الكلام" وكتاب صادوك "نحو نظرية لسانية للأفعال الكلامية"، وكتاب ليفنسون "التداولية"، ومن الكتب القديمة "مغني اللبيب" لابن هشام، و"الموافقات" للشاطبي، "والإحكام في أصول الأحكام " للآمدي، والبرهان للزركشي، و"الإتقان "للسيوطي. وتفسير "الكشاف "للزمخشري، ومن الكتب الحديثة "الأمر والنهي في اللغة العربية " لنعيمة الزهري، " والتداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي، و" تفسير التحرير والتنوير " للطاهر ابن عاشور وغيرها.

وأما عن أسباب اختيار الموضوع، فإن التغير الذي حدث في الجهاز المعرفي اللساني وما جدّ من تطورات ليدعو إلى الاهتمام بالفكر التداولي، وبنظرية أفعال الكلام، كما أن التسلح بأدوات معرفية وآليات منهجية أصبح أكثر من ضرورة، فالمزاوجة بين المناهج الحديثة والآراء اللغوية التراثية قد يسهم في إضافة إضاءات جديدة لتحليل الخطاب القرآني وفهم معانيه ومقاصده.

ويهدف البحث، إلى تتبع المفاهيم الجديدة في الحقل التداولي وضبطها والوصول إلى الجديد الذي أضافه هذا المنهج ودوره في تحليل الخطاب .و يهدف أيضا إلى إبراز إلى أي مدى كان العلماء العرب تداوليين في طروحاهم ودراساهم اللغوية، فالتراث العربي اللساني يمثل منظومة فكرية متكاملة ومنسجمة مع الظروف التي أنتج فيها.

إن مقاربة الخطاب القرآني محاولة لا تخلو من صعوبات، فقراءة هذا الخطاب في ضوء مناهج النظر الحديثة يعد أمرا شائكا يحتاج إلى حذر شديد في الاستنتاجات والأحكام حتى لا يقع الدراس في فخ الإسقاطات، والتمحُل، والتأويل البعيد.

أرجو أن يقدم هذا البحث فائدة ومنفعة لقارئه، وأتوجه بخالص الشكر وجزيل العرفان لأستاذي الدكتور عبد الكريم بورنان الذي فتح لي باب البحث واسعا، وشجعني على المضي فيه ومنحني ثقته الكاملة في التصرف في مادة البحث، وطريقة عرضها، ولم يبخل على بنصائحه، كما أتوجه بخالص امتناني إلى الأستاذ الدكتور صالح خديش الذي وجهني بملاحظاته العلمية القيمة.

الفصل التمهيدي:
الدراسات اللسانية ما قبل التداولية

المبحث الأول: البنيوية ومدارسها
المبحث الثاني: الاتجاهات اللسانية ما بعد البنيوية

المبحث الأول: البنيوية ومدارسها اللسانية

1- البنيوية: **structuralism**

البنيوية نسبة إلى كلمة بنية وهي ترجمة لكلمة structure المأخوذة من الكلمة اللاتينية struere التي تعني بناء[1]. والبنيوية كمنهج واتجاه فلسفي ظهرت في أواخر الخمسينات وبداية الستينات من القرن العشرين، ومع ظهورها احتلت مقولة البنية الصدارة في مجالات وفروع علمية عديدة: الأنتروبولوجيا، والنقد الأدبي، والفلسفة...[2] وكمذهب فلسفي سعت البنيوية إلى تقديم تفسير موحد لمجموعة من المشكلات الفكرية؛ كما سعت إلى الشمول في مجالات معرفية متعددة[3]. ويركز البنيويون على البنية، والنسق، والنظام، فلكل شيء بنية يمكن دراسته من خلالها. كما يؤكدون على العلاقات التي تنشأ داخل البنية وليس على الجوهر أو الكينونة مع التأكيد على الكل مقابل الجزء. فالعنصر في البنية لا قيمة له خارج علاقاته المكونة للبنية[4]. فالأهمية تعطى للكل وليس للأجزاء وتُعرَّف البنية على أنها "نسق من العلاقات الباطنية له قوانينه الخاصة المحايثة، ومن حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي، على نحو يفضي أي تغيير في العلاقات إلى تغيير النسق نفسه، وعلى نحو ينطوي معه المجموع الكلي للعلاقات على دلالة يغدو معها النسق دالا على معنى"[5].

فالبنية إذًا عبارة عن نسق من الوحدات المنتظمة فيما بينها تنظيما داخليا تربطها شبكة من العلاقات القائمة المتفاعلة فيما بينها، وهي بذلك تحقق انغلاقها الذاتي، فهي لا تؤمن بالوحدات المنفصلة عن بعضها البعض. ولا غرابة في ذلك: "فقد ظهرت البنيوية كمنهج ومذهب فكري على أنها ردة فعل على الوضع الذري الذي ساد العالم الغربي في القرن

---

[1]- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 56.

[2]- بغورة الزواوي، المنهج البنيوي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2001، ص 12.

[3]- حوليات كلية الآداب، الحولية الأولى، الرسالة الأولى في الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الكويت، 1980م - 1399هـ، ص 5.

[4]- خريسان باسم علي، ما بعد الحداثة، دراسة في المشروع الثقافي الغربي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1425هـ- 2006م، ص 62-63.

[5]- المرجع نفسه، ص 65.

العشرين. وهو وضع تغدى وانعكس على تشظي المعرفة وتفرعها إلى تخصصات دقيقة متعددة ثم عزلها بعضها عن بعض... فقد جاءت البنيوية إذا منادية بالنظام الكلي المتكامل والمتناسق"[1]. فلم تعد إذا النظرة العلمية إلى الأشياء نظرة جزئية تصل إلى معرفة الكل من خلال الجزء وخصائصه.

والبنيوية بتأكيدها على البنى تعمل على إلغاء التاريخ، فهي ترى أن هناك انفصاما بين البنية والتاريخ، فالبنى تتسم بالثبات وتعمل خارج حركة التاريخ[2]. "إن البنيوية التي ولدت ضمن المرجعية الفكرية للحداثة سعت إلى تفكيك الأسس التي أقامت عليها الحداثة بناءها الشامل، فالحداثة بتأكيدها على الذات، والعقل، والتاريخ يرى المشروع البنائي بأنها لم تكن صائبة لافتقارها إلى الشمول الكافي لتفسير الظواهر عامة"[3]. وبذلك تركز البنيوية على المحايثة؛ فكل موضوع قابل للتحليل يجب أن يُدرس باعتباره نسقا مغلقا غير قابل لأي تأويل خارجي، وتؤكد على مبدإ التزامن "زمن حركة العناصر فيما بينها في البنية، تتحرك العناصر في زمن واحد هو زمن نظامها، فإذا كان استمرار النظام يفترض استمرار البنية وثبات نسقها، فإن التزامن يرتبط بهذا الثبات الذي يشكل حالة أي يرتبط بما هو متكون، وليس بما هو في مرحلة التكون، بما هو مكتمل وليس بما يكتمل، بما هو بنية وليس بما سيصير بنية"[4]. ومن هنا فإن التزامن يفرض الثبات وينفي الحركة؛ يفرض المحايثة وينفي التاريخ، ويرتبط بما هو متكون وبما هو مكتمل.

ويشترط بياجي J.piaget أن تتوفر في البنية الكلية totalité، والتحويلات transformation، والضبط الذاتي auto-regulation. والكلية تعني أنّ البنية تتألف من عناصر خاضعة للقوانين التي تحكم النظام، والتحول يعني أن العناصر تتحول ضمن البنية؛ فهي ليست ساكنة سكونا مطلقا وإنما خاضعة للتحولات الداخلية، وهذه التحولات لا تسير

---

[1]- الرويلي ميجان، البازعي سعد، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 2000، ص 32.

[2]- خرسيان باسم علي، ما بعد الحداثة، ص 61.

[3]- المرجع نفسه، ص 61.

[4]- بغورة الزواوي، المنهج البنيوي، ص 126.

عشوائيا وإنما تتمتع بقدرة على الانضباط الذاتي. فالبنية تستطيع أن تضبط نفسها ضبطا ذاتيا يؤدي للحفاظ عليها، ويضمن لها نوعا من الانغلاق الذي لا يعد تحجرا بل ايجابيا[1].

بقي أن أذكر أن الأبحاث الرئيسة التي تعتبر أساس البنيوية المعاصرة إنما ترجع إلى الثلاثينات، بل ويرجع معظمها إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى. ففي مجال اللغويات يمكن الإشارة إلى أعمال دوسوسير، وجاكسبون، وأعمال حلقة براغ، وفي مجال علم النفس إلى منظري الجشطلت...[2]

ولهذا قال جاكسبون R.Jakobson: "إذا رغبنا في التوفر على الفكرة الأساسية للعلم الراهن في معظم تجلياته المتنوعة، فإننا لا نكاد نجد اسما أكثر ملاءمة من البنيوية structuralism"[3].

وأهم أعلامها جاكبسون في اللسانيات، وليفي ستروس Levi strauss في الانتروبولوجيا، ولكان Lacan في علم النفس، وألتوسير Althusser وصباغ Sebage في الفلسفة، وبارت Barth وغولدمان Goldman في النقد الأدبي. وما يهمني في هذا البحث هو البنيوية في اللسانيات.

2- المدارس اللسانية البنيوية:

البنيوية في اللسانيات تطلق على المدارس اللغوية المختلفة التي ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين، والتي اتخذت من عمل دوسوسير أساسا لها، وتبنت "الدروس" نموذجا لآرائها أو تأكيدا لها[4]. وقد أتاحت التعارضات التي تظهر في "الدروس"، وأوجه الغموض في القول إلى الاختلاف في المجالات الفرعية بين هذه المدارس؛ لأن كلا منها انتقى من النص بدقة ما

---

[1]- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003م-1424هـ، ص 96-96.

[2]- بغورة الزواوي، المنهج البنيوي، ص 15-16.

[3]- ياكبسون رومان، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، تر علي حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2002، ص 13.

[4] -Hadumod Bussmann, Routledge Dictionary of language and lingiustics, tr by : Gregory p. Trauth and kerstin Kazzazi, Routledge, London, Newyork, First ed 1996, last edition 2006, p 1132.

طابق تصوراته الخاصة[1]. غير أن ما يوحّد بينها جميعا من دوسوسير إلى تشومسكي هو إيمانها بأن اللغة عبارة عن نظام من العلامات والعلاقات. وعلى الرغم من أن دوسوسير لم يستعمل كلمة "بنية" "structure"، بل استعمل كلمة "نظام" "système" أو "آلية" "méchanisme" ، إلاّ أنه عدَّ أبو اللسانيات البنيوية ومؤسسها. وتشمل هذه المدارس: مدرسة جنيف، ومدرسة براغ، ومدرسة كوبنهاجن، ومدرسة لندن، والمدرسة البنيوية الأمريكية[2].

[1]- بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، تر: حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004م، 1425هـ، ص 94.

[2]- المرجع نفسه، ص 1132.

1. مدرسة جنيف:

يمثل هذه المدرسة دوسوسير F.De Saussure وتلامذته الذين جمعوا أعماله، وعملوا على إداعتها، وترجمتها والتعريف بها. وقد كان فضل شارل بالي Charles Bally وألبرت سيشهاي A.Sechehaye كبيرًا في التعريف بأعمال دوسوسير عندما قررا جمع محاضراته بعد وفاته ونشرها سنة 1916.

فدوسوسير أحدث ثورة في طريقة دراسة اللغة بطرحه أسئلة جوهرية فاحصة، ومهدت أفكاره لظهور البنيوية في الدراسات اللسانية. وكان دوره عظيما في تنظيم الدراسة المنهجية للغة باعتباره أول من دعا إلى دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها. "إن موضوع علم اللسان الحق والوحيد إنّما هو اللسان معتبرا لذاته وفي ذاته"[1].

وعلى الرغم من أن دوسوسير قضى جل حياته في دراسة وتدريس اللسانيات التاريخية إلا أنه اشتهر باللسانيات الآنية التي درّسها أواخر حياته، وبذلك تحول الاهتمام من اللسانيات التاريخية التي تهدف إلى معرفة تاريخ اللغات، والكشف على العلاقات الموجودة بينها، وإعادة بناء اللغات الأولى إلى ما أصبح يعرف باللسانيات الآنية التي تدرس اللغة وتحللها كما هي موجودة في نقطة معينة من الزمن[2]. فكيف نظر دوسوسير إلى اللغة؟

قامت النظرية اللغوية عند دوسوسير على مجموعة من الثنائيات diachotomies. فهو يفرق بين اللسان واللغة قائلا: "فإننا نفرق بين اللسان la langue وبين اللغة langage فليس اللسان إلا جزء محددًا من اللغة وهو جزء أساسي ولا شك فيه. وبهذا الاعتبار يكون اللسان في ذات الوقت إنتاجا مجتمعيا حادثا عن ملكة اللغة وعن أنواع التواطؤ والاتفاقات الضرورية التي أقرها المجتمع وسنها لكي تتأتى ممارسة هذه الملكة عند الأفراد"[3]. وإذا كانت اللغة ملكة طبيعية فإن اللسان عرف مكتسب وهو "عبارة عن نسق من القواعد النحوية الموجودة بالقوة في كل دماغ وبالضبط في أدمغة مجموعة الأفراد، لأن اللسان يوجد عند كل فرد ناقصا، ولا يوجد

---

[1]- دوسوسير فرديناند، محاضرات في علم اللسان العام، تر عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2008، ص 344.

[2]- مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 2007، ص 118.

[3]- دوسوسير فرديناند، محاضرات في علم اللسان العام، ص 23.

كاملاً إلا عند الجمهور"[1]. وهذا يقود دوسوسير إلى الثنائية الثانية وهي تفريقه بين اللسان والكلام. فإذا كان اللسان واقعة اجتماعية فإن الكلام نشاط شخصي وفعل ملموس يمكن ملاحظته فهو مجموع ما يقوله الأفراد. وموضوع اللسانيات ليس الكلام؛ وإنما هو اللسان (اللغة المعينة). فهو وحده ذو نظام ثابت يتكون من مستويات مترابطة؛ ترابط النظام الصوتي بالصرفي، وترابط النظام الصرفي بالدلالي، وترابط النظام النحوي بالمعجمي. وعندما يفصل دوسوسير بين اللسان والكلام فإنه يفصل ما هو جماعي عما هو فردي، وما هو جوهري عما هو عرضي أو إضافي، وما هو نفسي عما هو مادي. واللغة عنده صيغة وليست مادة، وعناصرها لا تنطوي إلا على خصائص تتسم بالتعارض وتتعلق بالتأليف[2].

واللغة نظام من العلامات، ولا تعد الأصوات لغة إلا عندما تعبر عن الأفكار وتنقلها وإلا فهي مجرد أصوات. والعلامة اللغوية هي اتحاد بين شكل يدل –الدال- وفكرة يدل عليها- المدلول. والدال والمدلول لا يوجدان إلا بوصفهما مكونين للعلامة. فالعلامة هي الحقيقة الجوهرية للغة[3]. يقول دوسوسير "اللسان هو نسق من الدلالات والعلامات الاعتباطية"[4]. وبما أن العلامة اللغوية اعتباطية فلا توجد رابطة طبيعية أو إلزامية بين الدال والمدلول، "ولأجل أن الدلالة [العلامة] اعتباطية، فإنها لم تعرف قانونا غير قانون العرف والعادة. ولما كانت الدلالة قد تأسست على العادة فلم يكن لها إلا أن تكون اعتباطية"[5].

إذا يرى دوسوسير أن الدال والمدلول مترابطان بصورة اعتباطية ولكن على نحو لا فكاك منه كما هو الشأن في وجهي العملة أو الصحيفة من الورق. وكل دال لا يتحدد إلا من خلال علاقاته بالدوال الأخرى وكذلك الشأن في كل مدلول. "إن الدوال والمدلولات لا تتحدد بصورة ايجابية عن طريق محتواها، بل تتحدد سلبا عن طريق علاقاتها بمفردات أخرى في النظام، وأدق خاصية لها أنها تمثل ما لا يمثله غيرها"[6].

---

[1]- دوسوسير فرديناند، محاضرات في علم اللسان العام، ص 28.

[2]- كلر جوناتان، دوسوسير فرديناند، تر عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 2000، ص 103.

[3]- المرجع نفسه، ص 72.

[4]- دوسوسير فرديناند، محاضرات في علم اللسان العام ، ص 113.

[5]- دوسوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ص 114.

[6]- كيلر، دوسوسير فرديناند، ص 17.

ومن النتائج التي رتبها دوسوسير على الطبيعة الاعتباطية للعلامة تمييزه الصارم بين الدراسة الوصفية التزامنية للغة والدراسة التعاقبية لها. وقد أعطى الأولوية للدراسة التزامنية لأن العلامة كما هي كينونة تعالقية لا تنشأ العلاقات بينها وبين العلامات الأخرى أو تتحد إلاّ في زمن بعينه. وأنّ هذه العلامات قد تُعدل ويتكرر تعديلها من زمن لآخر[1]. إنّ "اللغة في كل لحظة تقتضي أمرين متلازمين: نسقا أو نظاما قارا ثابتا ومتطورًا معا. وفي كل وقت وحين تكون اللغة متولدة ناشئة في الزمن الحاضر، وإنتاجا للزمن الماضي"[2]. ولهذا يسهل التمييز بين النسق وتاريخه، بين ما يوجد الآن وبين ما كان عليه. فاللسانيات الآنية **synchronique** تدرس اللغة دراسة وصفية في حالة معينة **état de langue** في نقطة زمنية معينة، أما اللسانيات الزمانية (التعاقبية) **diachronique** فتدرس التغيرات والتطورات المختلفة التي تطرأ على لغة ما خلال حقب متتابعة، فالمنهج الآني منهج استقرائي؛ والمنهج الزماني منهج حركي تطوري[3].

ومن ثنائيات دوسوسير تمييزه بين العلاقات السياقية والعلاقات الاستبدالية. ففي السياق اللغوي لا تعتمد قيمة اللفظ على التعارض فحسب بينه وبين غيره من الألفاظ؛ بل تعتمد كذلك على علاقاته مع الألفاظ التي تسبقه في السياق والألفاظ التي تجيء تالية له. أما العلاقات الاستبدالية فتتمثل في التعارضات القائمة بين العناصر التي يمكن أن يحل الواحد منها محل الآخر. والنظام اللغوي في جملته يمكن إيجازه وشرحه في إطار نظرية العلاقات السياقية والاستبدالية[4].

2- مدرسة براغ:

من المدارس البنيوية المستندة بقوة إلى النظرية اللغوية المطورة في كتابات دوسوسير. وقد ساهمت مساهمة فعالة في تطوير علم اللغة منذ تأسيسها في مؤتمر براغ السلافي العالمي في 1926. "إن حلقة براغ اللسانية التي واجهت المؤتمر بمجموعة كبيرة من مشكلات اللسانيات البنيوية، كانت قد وحدت صفوف عدد من الشبان التشيك، وباحثين ألمان فضلا عن لسانيين شبان من روسيا.

[1]- كيلر، دوسوسير فرديناند، ص 23.

[2]- دوسوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ص 22.

[3]- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 125.

[4]- كيلر، ديسوسير فرديناند ، ص 106-107.

إن أنشطة حلقة براغ اللسانية ليست عملا لمجموعة منعزلة، بل أنشطة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتيارات اللسانية الغربية والروسية المعاصرة"[1].

وأهم أعلامها فيلام ماثسيوس Vilem Mathesius، وروман جاكبسون Roman Jackobson، وأندري مارتيني André Martinet .

ويتميز منهج الدراسة في هذه المدرسة بدراسة نظام اللغة الكلي بمستوياته المختلفة: النحوية، والصرفية، والصوتية، والدلالية دراسة وظيفية محضة. وشملت دراسات المدرسة المجالات التالية: الصوتيات الوصفية الآنية والتاريخية، والتحليل الوظيفي والعروضي، والأسلوبية والشعرية، والفونولوجيا.

فمدرسة براغ ترى بأن "اللغة نظام من الوظائف. وكل وظيفة نظام من العلامات"[2].

واستعملت مدرسة براغ مصطلح الفنولوجيا في عكس ما استعمله دوسوسير، وأرادت به ذلك الفرع من اللغة الذي يعالج الظواهر الصوتية من حيث وظيفتها اللغوية. ولفظة فونولوجيا تطلق على مجموعة الوظائف اللغوية التي يؤديها الصوت[3]. والفونيم هو محور دراسة الصوتيات الوظيفية باعتباره وحدة فونولوجية مجردة وقد عرَّفه تروبسكوي في كتابه "مبادئ الفونولوجيا" بقوله إنّ: "الفونيم هو أولا وقبل كل شيء مفهوم وظيفي. وهو الوحدة الفونولوجية التي لا تقبل التجزئ إلى وحدات فونولوجية أخرى أصغر منها في لغة معينة"[4] كما درس التضاد الفونولوجي الذي يساعد على تعريف الفونيم تعريفا علميا. والتضاد الفونولوجي "كل تضاد بين صوتين مختلفين، يمكن أن يميز بين معان فكرية في لغة معينة"[5].

وأدخل جاكسبون من جهته مفهوم "السمة التمايزية" كما وضع نظرية الكليات الفونولوجية لأن "التقابلات الفونولوجية القصوى والأساسية توجد في كل لغات العالم وهي

---

[1]- ياكبسون رومان، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ص 13-14.

[2]- مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ص 136.

[3]- الطبال بركة فاطمة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1413هـ-1993م، ص 31 .

[4]- مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ص 142.

[5]- المرجع نفسه، ص 143.

تقابلات تكون أول ما يكتسبه الطفل وآخر ما يفقده المصاب بالحبسة"[1] وهو يصر على وجود "نظام سيكولوجي كلي universal منتظم وبسيط تشترك فيه جميع اللغات البشرية، ويؤكد على أن الاختلافات الموجودة بين مختلف الأصوات الكلامية، ما هي إلا عبارة عن اختلافات سطحية لنظام تحتي ثابت"[2]. وهذا النظام الكلي يتضمن اثني عشرة سمة مميزة تتصف بها اللغات: صائت/ صامت، ومجهور/مهموس... وإذا كان أندري مارتيني يعتمد على وجود السمات الثنائية، والثلاثية، والرباعية، فإن جاكسبون يصر على هذه الثنائية التي تجعل السمة أكثر وضوحًا وأكثر بروزًا. وكل سمة من هذه السمات لا أهمية لها دون وجود الوجه الآخر لها[3]. وبذلك خالف دوسوسير في النسبية الفونولوجية.

ومن أهم إضافات مدرسة براغ، وجاكسبون على الخصوص، عدم الفصل بين التزامن والتعاقب. "لأن كل بنية لغوية كانت أم أدبية تعمل في حركة وتطور ثابتين ومستمرين مما يجعلها بنية تعاقبية في حين أن انتظامها إلى نظام ثابت ومنهجي يجعلها كذلك بنية تزامنية"[4]. فالتغير يحصل دائما في كل مقطع تزامني، والتزامن الحقيقي حيوي ومتغير وليس بالضرورة سكونيا. "إن اعتماد جاكبسون على ثنائية دوسوسير في التزامن والتعاقب لم يكن عشوائيا. ففي حين اعتمد دوسوسير نظرية الزمن المطلق الذي تحدثت عنه الفيزياء التقليدية، ارتكز جاكبسون على نظرية النسبية عند انشطاين وعلى الفن التكعيبي مستلهما منهما نسبية الأمور. فما يكون تزامنيا في هذا الزمان يصبح تعقابيًا بعد حين"[5] فالطابع الوظيفي للغة لا يشمل الحالة الحالة الآنية للغة فحسب، بل الحالة التاريخية أيضا؛ وذلك من خلال دراسة التطور اللغوي عبر العصور والعدول عن وضع حواجز بين المناهج الزمانية والآنية كما فعلت مدرسة جنيف. فقد أكدت مدرسة براغ أن فهم اللغة على أنها نظام وظيفي يسري على نحو مماثل على دراسة حالات لغوية ماضية سواء أتعلق الأمر بإعادة بنائها أم ببحث تطورها. "فالبحث التعاقبي لا

---

[1]- الطبال بركة فاطمة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، ص 31 .

[2]- الطبال بركة فاطمة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، ص 31 .

[3]- مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ص 147.

[4]- الطبال بركة فاطمة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، ص 42 .

[5]- المرجع نفسه، ص 36.

يستبعد مفاهيم النظام والوظيفة وليس هذا فقط، بل إنه على العكس من ذلك يكون غير مكتمل إذا لم يراع هذه المفاهيم"[1].

كما عنيت مدرسة براغ بوظائف اللغة. وميز جاكبسون بين اللغة المعيارية، اللغة المحايدة التي تهدف إلى توصيل رسالة (معلومة) معينة، وهذه اللغة تتوخى الدقة والنفعية، والنوع الثاني اللغة الأدبية أو الشعرية، وميزتها الخيال، والمجاز، والإبداع. كما تطرق إلى العوامل السياقية التي يتوقف عليها نجاح التواصل اللغوي: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، ووسيلة الاتصال، والشيفرة، أي الرموز المستعملة في الرسالة، والسياق وهو المناخ الاجتماعي والمكاني والزمن المحيط بعملية التواصل اللغوي. وكل واحد من هذه العناصر يولِّد وظائف لغوية مختلفة، حصرها جاكبسون في ست وظائف: الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية، والوظيفة الندائية، ووظيفة إقامة الإتصال، ووظيفة ما وراء اللغة، والوظيفة المرجعية، والوظيفة الشعرية[2].

[1]- بويجيته بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1425هـ-2004م، ص 127.

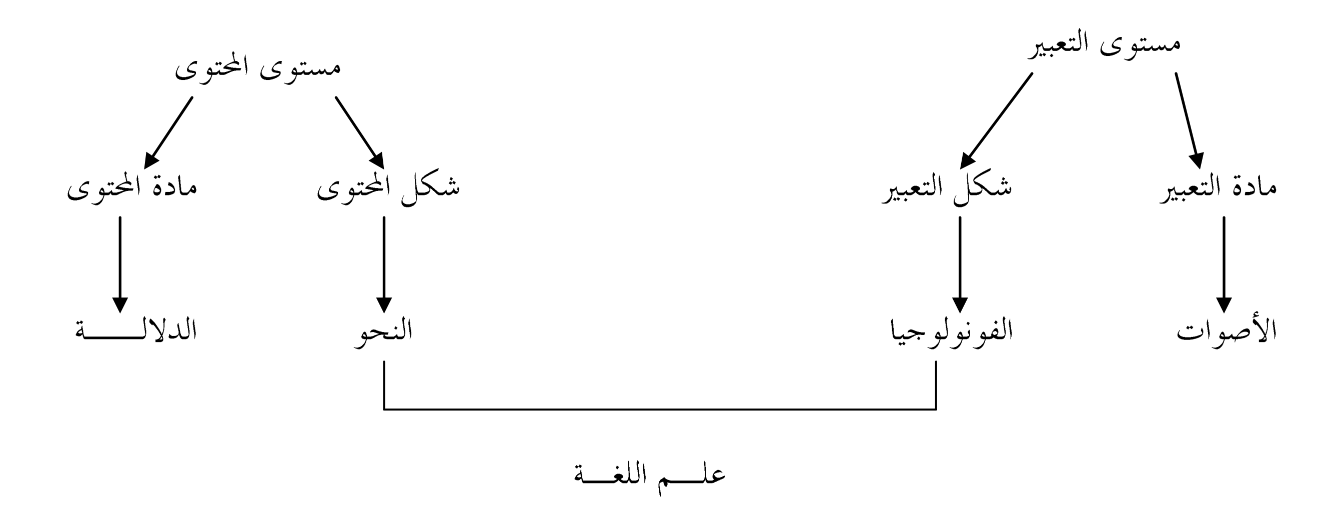
[2]- الطبال بركة فاطمة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، ص 66-67-103-107.

3- مدرسة كوبنهاجن:

يرجع الفضل إلى تأسيس هذه المدرسة إلى لويس يلمسليف Louis Hjelmslev صاحب النظرية البنيوية التحليلية الشهيرة: الرياضيات اللغوية. وقد تَعرَّف على أفكار دوسوسير ومناهجه التي ساعدته على إرساء دعائم نظريته. كما تأثر بالمنهج العلمي والمنطق الرياضي السائدين في عصره. وقد قام بتقديم نظريته بمعية أولدال Han Jorgen uldall وأطلقا عليها "الجلوسيماتيك" "Glossematics"، "وجاءت هذه النظرية لتتخلى عن الدراسات اللغوية المتأثرة بالفلسفة والأنتربولوجيا واللسانيات المقارنة، وتقيم لسانيات علمية مبنية على أسس رياضية ومنطقية وكلية تعنى بوصف الظواهر اللغوية وتحليلها، وتفسيرها بطريقة موضوعية"[1].

ومصطلح غلوسيماتيك اشتق من الكلمة الإغريقية glossa التي تعني اللغة، وتهتم النظرية بدراسة الجلوسيمات glossèmes أي الوحدات النحوية الصغرى التي لا تقبل التجزئة[2].

والعلامة اللغوية عند يلمسليف ليست دالا يؤدي إلى مدلول وإنّما تعبير يدل على مضمون. وقد قسّم اللغة إلى مادة وشكل (substance and form) فنتج عن ذلك أربع مستويات:



1- مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ص 159.

2- المرجع نفسه، ص 160.

"فمادة التعبير عنده هي المادة الصوتية، وهي متماثلة في كل اللغات، وشكل التعبير هو النظام الفونولوجي الخاص بكل لغة. ومادة المحتوى هي وقائع العالم الخارجي ومظاهره وهي متماثلة في كل اللغات، وشكل المحتوى هو النحو الذي يقوم بتنظيم المادة وترتيبها وتحديد العلاقات بينها في كل لغة"[1]. وبذلك لا ينتمي إلى علم اللغة إلا الفونولوجيا والنحو وعلاقة كل منهما بالآخر. و"بما أنّ اللسانيات الرياضية تعطي دورا رئيسا للشكل المصفى من كل واقع دلالي أو صوتي، فإنها ترتب الوظيفة في المستوى الثاني ضرورة"[2].

لقد ذهب يلمسليف أبعد من دوسوسير وأعلن أن القيم المجردة للعبارات هي وحدها التي لها وجود واعتبر أنّ اللغة نظام من القيم و"مفتاح تحليل هذا الشكل هو اللسانيات المحايثة immanent linguistics المتكاملة في ذاتها والمبنية على منهج استنباطي موضوعي... إن المبدأ السوسيري الأولي والأساسي الذي يؤكد على تمييز العلوم اللسانية عن باقي الدراسات اللغوية، ويعد اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها الموضوع الحقيقي والوحيد للسانيات قد أصبح يسمى في اصطلاح يمسليف "بمبدأ المحايثة"[3].

وبهذا تكمن أهمية الجلوسيماتية في "أنها تؤصل لنهج دوسوسير في حدة ودقة لا يمكن التوصل إليها ثانية [....] إذ يعد التأثير المحدد لجوانب معينة في "المحاضرات" في الجلوسيماتية تأثيرا كبيرا إلى حد أن المرء يشير إلى الجلوسيماتيين في الغالب باسم السوسريون الجدد NeoSaussurian"[4]

---

[1]- محمود أحمد نحلة، علم اللغة النظامي، مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2008، ص 39-40.

[2]- ديكرو أزوالد، سشايفر جان ماري ، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر مندر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص 43.

[3]- مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ص 161.

[4]- هيشن كلاوس، القضايا الأساسية في علم اللغة، تر سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1424هـ-2003م، ص 90.

4- مدرسة لندن:

على الرغم من التنوع في النشاطات العلمية لهذه المدرسة إلا أنّها تعرف خاصة بأعمالها في الصوتيات التي طورها بال A.G Bell، وسويت Henry Sweet، ودانيال جونز Daniel Jones، وبأعمال جون فيرث John Firth والنظرية السياقية. هذا الأخير الذي طور نظرية سياق الحال، واعتنى بالجانب الدلالي للغة الطبيعية من حيث هي وسيلة للتواصل الاجتماعي. فاللغة يجب أن تدرس باعتبارها جزء من المسار الاجتماعي Social process، وشكلا من أشكال الحياة الإنسانية، وليس كمجموعة من العلامات الإعتباطية أو الإشارات[1].

فاللغة انعكاس للعامل الاجتماعي والثقافي ولا يمكن دراستها بمعزل عن هذه السياقات. فمعرفة "السامع وحدها بالإشارة اللغوية، وعلاقة الدال بالمدلول، أو التعبير بالمضمون، لا تكفي لتحديد المعنى، وإنّما الذي يساعد على تحديده فضلا عن السياق اللفظي العرف الاجتماعي"[2].

وتأثر فيرث بالأنثروبولوجي مالينوفسكي Bronislow Malinowski (1884-1942) الذي استنتج بعد معايشته لأقوام بدائيين أن الترجمة عاجزة عن نقل المعنى ويجب أن ترتبط بوصف تقاليد وثقافة المجتمعات والإحاطة بالموقف. ومن هنا تأسست مقولته المشهورة اللغة "أسلوب عمل وليست وسيلة للفكر"

"It is a mode of action and not an instrument of reflection[3]"

وتقوم هذه النظرية على النظر إلى المعنى بوصفه وظيفة في سياق Function in context. وبنى على مفهومه للسياق مفهومه للمعنى؛ فالمعنى هو الوظيفة في السياق حالا ومقالا.

وقد استخدم السياق بمفهوم واسع ليشمل السياق الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، ولا يظهر المعنى المقصود للمتكلم إلا بمراعاة الوظيفة الدلالية للألفاظ المستخدمة.

---

[1]- مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ص 173-175.

[2]- إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص 30.

[3] - Sampson Geoffrey, Schools of linguistics, Standford University Press, Standford, California, U.S.A, 1980, p 224.

لقد أكدت هذه النظرية على أهمية الوقوف على السياقات المختلفة التي ترد فيها الكلمة من أجل الوقوف على معناها الصحيح. فالمعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية؛ فإذا اجتث النص من سياقه الخارجي المتمثل في الزمان، والمكان، والأفراد المشاركين في الحدث، والمناسبة التي قيل فيها فقد نعجز عن فهم المراد منه. و"يعد ما فعله فيرث في هذا الشأن نقلة إبستمولوجية أنطولوجية كبيرة في حقل اللسانيات؛ لأنها [...] فتحت الباب واسعا نحو نهج جديد في دراسة المعنى على نحو يراعي الاستخدامات الفعلية للغة"[1]

وميّز فيرث بين نوعين من العلاقات ترتبط بهما الألفاظ: العلاقات الشكلية أو الداخلية، والعلاقات الموقفية والتي تشمل العلاقات بين الوحدات اللغوية ومكونات الموقف غير اللغوية. وبهذا تكون لمفردات اللغة معان شكلية formal وموقفية situational في آن واحد. وحسب فيرث هناك عدة سياقات موزعة ضمن تسلسل هرمي مضبوط:

مصطلح صوتي ← في سياق صوتي ← في سياق معجمي ← في سياق صرفي ← في سياق تركيبي ← في سياق موقفي ← في سياق ثقافي.

وكل سياق عبارة عن وظيفة أو عضو في سياق أكبر، وتجد كل السياقات مكانها في إطار ما يسمى سياق الثقافة[2].

وعلى الرغم من أهمية النظرية السياقية في البحث اللساني عامة وتفسير المعنى خاصة، فإن فيرث لم يعرض نظريته عرضا كاملا؛ وهذا ما أغرى هاليداي M.A.K Halliday في بداية الستينات ليقدم شرحا مفصلا لنظرية فيرث ويضمنها أبعادا جديدة بحيث لم تعد قاصرة على مستوى الجملة بل تجاوزها إلى النص. وبهذا فتح آفاقا جديدة للبحث النصي وأعطى أهمية كبيرة لعنصر السياق والأبعاد الوظيفية للغة، ومهد السبيل للتوسع في الدراسات التخاطبية والتداولية[3].

---

[1]- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص 79.

[2]- مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ص 181.

[3]- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص 81.

5- المدرسة الأمريكية:

أ- المدرسة الوصفية:

لقد اختلفت اللسانيات الأمريكية عن اللسانيات الأوروبية من حيث المنهج المتبع والمادة المدروسة؛ لأنها انطلقت من الأنثروبولوجيا والدراسات الحقلية التي اهتمت بتدوين وتصنيف اللغات الهندية الأمريكية. وقد قام بإرساء دعائم اللسانيات الأمريكية ثلاثة باحثين: فرانزبواز Franz Boaz، وإدوارد سابير Edward Sapir، وليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield.

وكان بواز المتخصص في الأنتروبولوجيا أول من وضع أسس اللسانيات الوصفية في كتابه: دليل اللغات الهندية الأمريكية Handbook of American Indian Languages. اعتمد على اللغات المنطوقة بوصفها غير مدونة وبالضبط على الكلام خلافا لدوسوسير الذي اعتمد على اللغة ومنطلقه كان الأنثروبولوجبا واللغة باعتبارها أهم مظهر من مظاهر الثقافة[1]. ورأى "أنّ كل لغة لها تركيبها النحوي الفريد وأنّ مهمة عالم اللغة تنحصر في الكشف عن القواعد النحوية الخاصة الملائمة لكل لغة على حدة"[2].

وقد تأثر به سابير الذي رفض التقسيم التقليدي لأقسام الكلام لأنها ليست كليات لغوية فلكل لغة أقاسمها وأنماطها المتميزة[3].

وتميزت اللسانيات الأمريكية بالصرامة العلمية، والمنهجية على يد بلومفيلد الذي كان متأثرًا بعالم النفس السلوكي واطسن watson. وشدَّد على دراسة اللغة دراسة علمية، وذهب إلى أن اللسانيات شعبة من شعب علم النفس السلوكي. وحاول تفسير الحدث الكلامي من منظور سلوكي رافضا الدراسة العقلية. وأطلق على منهجه المنهج الآلي وهو الذي يفسر السلوك البشري في حدود المثير والاستجابة stimulus/ response. ودعا إلى إبعاد دراسة المعنى من الوصف اللغوي بسبب صعوبة البحث فيه بحثا موضوعيا واعتبر "المعنى النقطة الضعيفة في دراسة اللغة، وسوف يبقى كذلك حتى تتقدم المعرفة الإنسانية تقدما بعيدًا للغاية

---

1 -Sampson Geoffrey, Schools of linguistics, p 57. 58.

2- ليونز جونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، دار المعرفية الجامعية، ط2، 1977، ص 63.

3- مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ص 190.

مجاوزًا مرحلتها الحالية"[1]. ويرجع ارتيابه تجاه ظواهر المعنى إلى أن المعنى اللغوي، في رأيه، لا يمكن فصله عن المعرفة غير اللغوية. فلا يوجد معنى للكلمات في ذاته، ومن ثم لا يستطيع المرء أن يصفه في ذاته؛ أي لا ينتج المعنى إلا من خلال الاستعمال اللغوي. و"قد حدد الاستعمال اللغوي من خلال الموقف ففُسر تفسيرًا سلوكيا محضا، بأنه تتابع في المثير والاستجابة"[2].

لقد كان معظم اللسانيين الأمريكيين في هذا العهد من دعاة البنيوية، اهتموا بدراسة بنية اللغة، وبحثوا عن الانتظام والاطراد في اللغة وعن القوانين التي تحكمها، واتبعوا طريقة بلومفيلد في التحليل بتقسيم اللغة إلى مستويات وعدم الخلط بينها: المستوى الفونيمي، والمستوى الصرفي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي والذي لم يتناولوه بالدراسة لتركيزهم على التحليل الشكلي. وأمّا عن طريقة التحليل فتبدأ دائما بعملية التقطيع؛ تقطيع الحدث الكلامي إلى وحدات صغرى. وتبنوا تقنية تعرف باسم التحليل إلى المكونات المباشرة immediate constituent analysis [3] والذي "تربط فيه المصرفات بعضها ببعض في مشجرات. وقد مهد ذلك لظهور التوزعيين distributionalists الذين أخذ الوصف اللغوي عندهم طابع العناية بالعلاقات التوزيعية بين الصيتات phonemes في المركبات المتألفة منها وبين المصرفات morphemes في المركبات المتألفة منها"[4].

وألف زيليغ هاريس Zellig Harris "مناهج اللسانيات البنيوية" في 1951 محاولا وضع جملة من المبادئ البنيوية لوصف اللغة في إطار ما أسماه منطق العلاقات التوزيعية وبذلك أصبح منظرًا للتوزيعية، ومع مرور الزمن تأكد من بعض نقائص التحليل التوزيعي، فحاد عنه ونادى بالمنهج التحويلي في دراسة اللغة، وطور مفهومي الجملة النواة والتركيب المحول اللذين تبناهما تشومسكي فيما بعد[5].

---

[1]- بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة ...، ص 210.

[2]- المرجع نفسه، ص 210.

[3]- مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ص 197.

[4]- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص 69.

[5]- مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ص 200.

ب- المدرسة التوليدية:

إنّ التغير الجذري في اتجاه اللسانيات الوصفية حدث عام 1957 بإصدار تشومسكي N. Chomsky لكتابه "البنى التركيبية" "syntactic structures" معلنا بذلك عن منهج جديد لدراسة اللغة أطلق عليه اسم القواعد التوليدية التحويلية Transformational Generative Grammar وقد أحدث هذا التيار العقلاني ثورة في عالم اللسانيات" "نجم عنها بروز أنموذج جديد **new paradigm** للتفكير في اللغة أفرز مجموعة من الإشكالات يجب أن يعنى بها اللغوي، وضمنها الاهتمام بالجهاز الداخلي للمتكلمين عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي. ومع هذا الأنموذج بزغ زمن التركيب، حيث اتجه اللساني ليس فقط إلى ما هو موجود من السلاسل اللغوية السليمة، ولكن أيضا إلى ما يمكن أن يوجد، واتضح حيثه أنّ إجراءات التقطيع segmentation المستعملة في الأصوات وفي الصرف لم تعد ناجحة كما يكفي حتى تمتد إلى التركيب"[1].

والقواعد التوليدية التحويلية لا تتوقف عند وصف اللغة، بل تتعدى إلى تحليلها وتفسيرها واستنباط القواعد العامة التي تحكمها، و"يدل مصطلح التوليد على الجانب الإبداعي في اللغة، أي القدرة التي يمتلكها كل إنسان لتكوين وفهم عدد لا متناه من الجمل في لغته الأم، بما فيها الجمل التي لم يسمعها من قبل بتطبيق قواعد نحوية معينة"[2]. وهو بذلك يهتم بالجمل الممكنة possible لأن المدونة corpus مهما كان حجمها لا تضم إلا عددًا محدودًا من الجمل في حين أن اللغة تتكون من عدد لا متناه من الجمل.

وتكمن أهمية التحويل في تحويل البنى العميقة إلى بنى سطحية عن طريق تطبيق عمليات تحويلية كالحذف، والإحلال، والاختصار، والزيادة... والقواعد التوليدية التحويلية تساعد على التمييز بين الجمل التي تبدو متماثلة ولكنها في الأصل مختلفة. فلكل جملة بنيتان بنية عميقة وبنية سطحية. أما البنية العميقة فهي شكل تجريدي abstract داخلي يعكس العمليات الفكرية، ويمثل التفسير الدلالي الذي تشتق منه البنية السطحية من خلال سلسلة من الإجراءات

[1]- الفاسي الفهري عبد القادر، اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت -باريس، ط1، 1986، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص 65.

[2]- مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ص 206.

التحويلية. وأمّا البنية السطحية فتمثل الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل؛ أي في شكلها الفيزيائي بوصفها مجموعة من الأصوات والرموز[1].

وقد ميّز تشومسكي بين جانبين أساسيين في الدراسة اللسانية معرفة المتكلم/المستمع المثالي والأداء اللغوي الفعلي وهما ما أطلق عليهما الكفاءة والأداء. والكفاءة تتمثل في المعرفة اللغوية الباطنية للفرد، مجموع القواعد التي تعلمها، والأداء هو الاستعمال الفعلي للغة في المواقف الحقيقية. "فالكفاءة إذا نظام عقلي تحتي قابع خلف السلوك الفعلي وعليه فإنه غير قابل للدراسة التجريبية المباشرة"[2]. والوسيلة الوحيدة للوصول إلى قواعد اللغة ونظامها هي الاستبطان والحدس.

والجانب الأصلي والأهم الذي ميّز نظرية القواعد التحويلية التوليدية يعود أساسا إلى نماذج التحليل النحوي الثلاثة التي قدمها تشومسكي بطريقة مفصلة وبدقة رياضية. فالنحو جهاز device لتوليد الجمل النحوية.

وضع تشومسكي في كتابه "البنى النحوية" ثلاثة نماذج لوصف البنية النحوية، ووضع في خاتمة كل نموذج جوانب الضعف التي حملته على الانتقال إلى النموذج التالي. وقد سميَ النموذج الأول نموذج القواعد المحدودة الحالات والتي تسعى إلى توليد الجمل عبر سلسلة من الاختيارات. فاختيار العنصر الأول يحدد العناصر التي تأتي بعده مباشرة. لكن تشومسكي عدّ هذا النموذج قاصرًا لأنه يولد جملاً غير نحوية وغير مقبولة لا تتماشى وحدس أبناء اللغة. فانتقل إلى نموذج القواعد المركبية Phrase structures "بنية المركبات". وعلى الرغم من أنها تستطيع توليد من الجمل ما لا يستطيعه النموذج الأول، إلا أنّ تشومسكي عدل عنه إلى نموذج ثالث أسماه القواعد التحويلية التي تعكس حدس أصحاب اللغة أفضل من غيرها من القواعد، وتُولد عددا لا حصر له من الجمل وتولي اهتمامًا كبيرًا بالمعنى[3].

وفي سنة 1965 أصدر تشومسكي كتابه "مظاهر النظرية النحوية"

---

[1]- مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ص 216.

[2]- المرجع نفسه، ص 210.

[3]- بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة ...، ص 270-277.

"Aspects of the theory of syntax" حيث أخذت نظريته اللغوية صورها الشاملة. وفي هذا الكتاب طور القواعد التوليدية التحويلية، وأصبحت هذه النظرية تعرف باسم النظرية النموذجية. ومن أهم ما جاءت به إدراج المعجم في المكون الأساسي والمكون الدلالي. وذهب إلى أن المعنى مثل التركيب يجب أن يخضع للتحليل العلمي الدقيق، وأن الدلالة يجب أن تندرج في التحليل النحوي بوصفها جزءً مكملاً لا يمكن الاستغناء عنه. وقواعد النظرية تتألف من المكون الأساسي، والمكون التحويلي، والمكون الدلالي، والمكون الفونولوجي.

وفي النظرية النموذجية الموسعة The Extended Standard Theory أعاد النظر في المكون الدلالي مركزًا على مكانة البنية العميقة، ومقلصًا القواعد التحويلية، ومدرجا القواعد المعجمية أكثر فأكثر. كما أكدّ أن النحو يجب أن يحتوي على مكون دلالي تفسيري رافضًا دعوة علماء الدلالة التوليدية التي لا تميز بين البنى التركيبية العميقة والدلالة التوليدية[1].

فعلماء الدلالة التوليدية، إذا،أدخلوا عنصر الدلالة كمكون أولي ضمن البنية العميقة خلافا لتشومسكي، وبذلك فتحوا الباب واسعًا أمام دراسة الدلالة. ومن هؤلاء العلماء كاتز J. katz، وبوسطال P. Postal، وفودور J.A.Fodor، وفيلمور ch. Fillmore، وصادوك J.sadock وغيرهم.

[1]- ينظر: مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ص 231-235.
- جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص 167-205.
- بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة، ص 277-284.

المبحث الثاني: الاتجاهات اللسانية ما بعد البنيوية

1- ما بعد البنيوية:

لقد كانت البنيوية النواة المنهجية المولدة لما تلتها من اتجاهات عرفت باسم اتجاهات ما بعد البنيوية كالتفكيكية، والسيميولوجيا، والتأويل، ونظرية القراءة والتلقي حيث تولدت هذه المناهج من نقاط اقتراب أو افتراق عنها[1]. وتبعا لذلك قيل عن هذه الاتجاهات أنها جاءت لتصحح أخطاء وقعت فيها البنيوية وأبرزها سجن النص وموت المؤلف، وإهمال حركة التاريخ[2]. وتجتمع هذه الاتجاهات في الاعتراض على الرأي القائل بأن المعنى كامن كليًا في النص وملفوظه اللساني. وقد فرضت هذه الاتجاهات نفسها في مجال النقد الأدبي على نحو خاص. وتكمن أهمية هذه الاتجاهات بالنسبة للدراسة اللسانية أن المعنى لا يستخرج من النص فحسب بل الأحرى أنه يتحقق من خلال التفاعل بين القارئ والنص، وأن هذا الأخير ينطوي بطبيعته على إمكانات متعددة للتأويل واستخلاص المتلقي لأنواع غير محدودة من الدلالات والمعاني.

وسأعرض هنا لواحدة من هذه الاتجاهات –التفكيكية- وكيف نظرت إلى الدلالة وإلى العلاقة بين الدال والمدلول؟

التفكيكية: deconstruction

التفكيك أو التقويض هو المصطلح الذي أطلقه الفرنسي جاك دريدا Jack Derreda على القراءة النقدية المزدوجة التي اتبعها في مهاجمة الفكر الغربي الماورائي[3].

والتفكيكية كحركة نقدية اتسمت بالثورة والتمرد على كل ما هو مألوف من تقاليد فكرية سابقة. لقد جاءت لتعارض منطق الثبات، وبذلك سعت إلى تبديد فلسفة الحضور والقول بفلسفة الآخر المغاير أو فلسفة الغياب.

---

[1]- موسى صالح بشرى، نظرية التلقي، أصول... وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت –لبنان، ط1، 2001، ص 18.

[2]- المرجع نفسه، ص 21.

[3]- خريسان باسم علي، ما بعد الحداثة، دراسة في المشروع الثقافي الغربي، ص 153-154.

استعان دريدا بالدراسات والمناهج اللغوية التي حفلت بها الدراسة البنيوية لتفكيك وتقويض الصرح الفلسفي للحضارة الغربية ولكن من باب آخر يجعله يحدث قطيعة مع الطروحات التي تقدمت بها المدرسة البنيوية[1].

إنّ اعتبار دوسوسير العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية هو ما تستثمره التفكييكة في رفض النمذجة والمركزية؛ فأصبح القارئ يستقبل الكلمة على أنها كم مطلق مصحوب بكل الموحيات المطلقة. "إن الدال لا يعطي مدلولا بطريقة مباشرة. فالدال والمدلول يفترقان ويلتحمان باستمرار في مجموعات جديدة عكس دوسوسير الذي يرى بأنّ الدال والمدلول عبارة عن وجهي ورقة. فالدوال تتحول إلى مداليل ولن نجد مدلولا ليس في الوقت نفسه دالاً"[2]. لقد ترك التفكيكيون فراغًا كبيرا بين الدال والمدلول، وذلك بهدف شحن الدوال بفكرة اللعب الحر الذي يؤدي إلى تحقيق مبدإ لا نهائية الدلالة أو تعدد المعنى[3].

كما يرى دريدا أن الدلالة ليست حاضرة بصفة فورية في العلامة؛ وبما أنّ دلالة علامة ما تتوقف على ما لا تعنيه فإنها بشكل ما غائبة أيضا من العلامة. فالدلالة نوع من الوميض المتواصل بين الحضور والغياب معا. كما يرى أن العلامة لا يمكن أن تفهم على أنها وحدة متجانسة تربط بين أصل (مرجع) وغاية (معنى)، بل يجب أن تدرس العلامة دائمًا "تحت الشطب" يسكنها دائمًا بصفة مسبقة أثر علامة أخرى لا تبدو أبدًا كعلامة أصلا[4].

يذهب دريدا إلى أن الكتابة هي الأصل التي يشتق منها الكلام، ذلك لأن نقش المعنى بواسطة العلامات يهبه استقلالا وحرية عن المؤلف الأصلي بحيث ينتج مزيدًا من إمكانات التفسير، وتستمر العلامات المكتوبة بتوليد بعدها الدلالي حتى بغياب المؤلف وبعد موته ليشكل الكلام بذلك إطارا للحضور والهوية والوحدة؛ وتكون الكتابة إطارا للغياب، والاختلاف، والتعدد، والتباين. وبسيادة الكتابة يسود قارئ النص الذي يكون محكوما بخبراته السابقة

---

[1]- خريسان باسم علي، ما بعد الحداثة، دراسة في المشروع الثقافي الغربي، ص 153-154.

[2]- مادان ساروب، دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة، تر حميس بوغرارة، مطبعة البعث، قسنطينة، 2003، ص 48.

[3]- تاوريربت بشير، سامية راجح، التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر، مكتبة إقرأ، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2006، ص 69.

[4]- مادان ساروب، دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية...، ص 49.

وبذلك يكون أمام نص يكتبه كاتب واحد وأمام قارئ نتاج كتابات متعددة ليصبح بذلك التناص الركيزة اللانهائية للمعنى في استراتيجية التفكيك. فالتفكيك يظهر بأن النص هو مجموعة نصوص أخرى تجعله بلا نهاية ما دام بلا مركز[1].

والآليات التي لجأ إليها دريدا في خلخلة وتفكيك المعاني وتفجير النصوص وتعريتها تتمثل في الاختلاف، والأثر، والإرجاء.

فمفهوم الاختلاف يرفض الثنائيات ويؤكد على التغاير فكل دال لا يوجد بشكل كامل في أية لحظة، فهو غائب على الرغم من حضوره؛ إذ أن كل دال مرتبط بمعنى الدال الذي قبله والدال الذي بعده، ووجوده ذاته يستند إلى اختلافه مع غيره. فيدخل في لعبة دوال دون معنى أو أصل، فيحدث الإرجاء والإرجاء مع الاختلاف هو ما يحدث الأثر الذي تتركه الدوال بعضها على بعض حيث نكون أمام حالة من اللانهائيات أو النهايات المفتوحة، وتسود النسبية والتشظي[2].

فالنص مفتوح ولا يمثل نسقا مغلقا، ولا يمكن تفكيك نصوص إلا بنصوص أخرى، ولا هدم كتابة وترميمها إلا بكتابة أخرى. وهذا يعني أن اللغة أقل استقرارا مما كان يعتقد البنيويون.

وبهذا تحول الاهتمام من دراسة النصوص كبنيات مغلقة إلى دراستها في سياقاتها الثقافية والاجتماعية وفي علاقاتها بمستخدميها ومؤوليها. وخير مثال على ذلك لسانيات النص والخطاب واللسانيات الاجتماعية.

2- الاتجاهات اللسانية:

أ- لسانيات النص والخطاب:

لقد كانت دراسة النص في المدارس البنيوية مشروعًا مؤجلاً؛ فكلمة نص text من حيث هي مصطلح كانت غائبة في مؤلفات اللسانيين البنيويين. ولم يستعمل دوسوسير كلمة نص باعتبارها مصطلحا بل وردت عرضا في كتابه في سياق حديثه عن الفيلولوجيا باعتبارها علما يتناول ضبط النصوص وتأويلها والتعليق عليها؛ وفي سياق حديثه عن الكلام المكتوب والمنطوق

---

[1]- خريسان باسم علي، ما بعد الحداثة، دراسة في المشروع الثقافي الغربي، ص 170.

[2]- خريسان باسم علي، ما بعد الحداثة، ص 170-180.

لأن النصوص المكتوبة هي وحدها التي تمكن من معرفة اللغات القديمة. ولم يشر دوسوسير إلى كون النص وحدة نظامية مجردة تابعة لمجال اللغة أو كونه صورة من صور تجليات الاستعمال تابعة لمجال الكلام. أما يمسليف فقد ذكر كلمة نص في كتابه الشهير "مقدمة في نظرية اللغة" "Prolegomena to a theory of language" في سرد مصطلحاته وأحال إليه مرات عديدة، وجعل له منـــزلة في بناء النظرية اللغوية؛ فهو منطلق عملية الوصف والتحليل وغايتها. وقد اعتبر النص من قبيل الإنجاز[1].

وتعد أعمال هاريس Z.Harris بحق البدايات الفعلية في تحليل الخطاب وذلك في مقال له بعنوان "تحليل الخطاب" "Discourse Analysis" نشره سنة 1952 تعرض فيه لمسألتين هامتين: أن تتعدى دراسة اللغة مستوى الجملة والعلاقة بين السلوك اللغوي والسلوك غير اللغوي[2].

فالمسألة الأولى تتعلق إذا بالوقوف بالدراسة النحوية عند حدود الجملة، وذكر أنه لم يكن هناك ما يدعو إلى عدم تجاوز الجملة في التحليل النحوي، بل كان ذلك من قبيل العادة التي دأب عليها الدارسون لأنهم وجدوا في دراستها ما يفي بالغرض المطلوب من وصف جميع الظواهر اللغوية: صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية، وحاول أن ينقل المناهج البنيوية التوزيعية في التحليل وإقامة الأقسام إلى مستوى النص، وأن ينظم متتالياته المتحققة في تحويلات شارحة مفسرة. والمسألة الثانية تتعلق بعلاقة اللغة بالسلوك والثقافة[3]. أي العلاقة بين السلوك اللغوي والسلوك غير اللغوي التي تمكن الناس من معرفة وترجمة ما يقوله الآخرون في المواقف والسياقات المختلفة.

ومن الباحثين الأوائل، كذلك، الذين درسوا بنية خطابات النصوص The discourse structure of texts ميتشال T.F. Mitchell في كتابه "لغة الشراء والبيع في سيرنيكا" "The language of buying and selling in cyrenaica"

---

[1]- الشاوش محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص"، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، ط1، 1421هــ-2001م، مج1، ص 26-27-28.

[2] - Paltrige Brian, Discourse analysis, An Introduction, Continuum International Publishing Group, London, NEW York, 5 Th ed, 2011. p2.

[3]- الشاوش محمد، أصول تحليل الخطاب...، ص 38-39.

(1957) حيث تطرق إلى الطرق التي ينظم بها الناس ما يقولون في تعاملاتهم عند البيع والشراء. مدخلا بذلك مفهوم الخطوات في تحليل الخطاب مركزًا على الخطوات التي يستخدمها مستعملو اللغة في تعاملاتهم. وكان اهتمامه منصبا على الطرق التي تنظم الحوارات عوض الطرق التي تستعمل بها اللغة. لقد ناقش كيف تستعمل اللغة كفعل تعاوني as a co-operative action؛ وكيف يقبع المعنى اللغوي في السياق الموقفي الذي يستعمل فيه وسياق النص عموما[1].

ومن الذين اهتموا بدراسة النص هاليداي الذي اعتبر النص وحدة دلالية وما الجمل إلا وسيلة لتحقيق هذا النص؛ الذي يتسم بالاتساق. فكل متتالية من الجمل تشكل نصًا شريطة أن يكون بين هذه الجمل علاقات قبلية أو بعدية. والاتساق هو مجموع الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل النص متماسكا بعضه ببعض كالإحالة، والضمائر، والحذف...[2] وقد أفاض هاليداي القول في علاقة اللغة بالثقافة فهو يرى "أن اللغة لا تفهم إلا إذا كانت في نصوص، والنصوص لا تفهم إلا إذا كانت في سياقاتها الاجتماعية والثقافية، فهو يرى أن النص والسياق جانبان لعملة واحدة، فهناك نص ونص آخر مصاحب له، هذا النص المصاحب con-text هو السياق ...على أن السياق عنده ليس محيطا ماديا فحسب بل هو بنية سيمية semiotic structure عناصرها الأعراف الاجتماعية، والقيم الثقافية المأخوذة من النظام السيمي الذي يكون الثقافة"[3].

ثم جاء فان ديك Vandijk الذي حاول بناء نظرية لسانية للخطاب في كتابه النص والسياق "(1977) text and context" لتفسير وتحليل كثير من المظاهر الخطابية التي تقف لسانيات الجملة عاجزة أمامها. وقسم كتابه إلى قسمين: قسم دلالي وقسم تداولي: "ومن الأغراض الأساسية لهذا الكتاب أن يبين كيف يجري الترابط المشترك بين الجمل المؤلفة وانتظام متوالياتها وبين علم الدلالة والتداولية"[4].

---

[1] - Paltridge. B, Discourse Analysis…, p4.

[2]- خطابي محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت لبنان، ط2، 2006، ص 13-15.

[3]- محمود أحمد نحلة، علم اللغة النظامي، ص 59.

[4]- دايك فان، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، لبنان، 2000، ص 25.

كما يستعير فان دايك أدواته لتحليل الخطاب من مجالات معرفية مختلفة كعلم الأنتروبولوجيا، والاجتماع والخطابة والآداب "وبهذا الاعتبار فإن النظرية اللسانية للخطاب لا يقصد بها فحسب إغناء اللسانيات بل يقصد بها قاعدة أساسية لدراسة الخطاب في فروع معرفية أخرى، مما يعجل إلى أقصى مدى، بإدماج الخطاب، على تلك الصفة في الدراسة العامة للغة والتواصل"[1].

إذا جاءت لسانيات النص / الخطاب كرد فعل على اللسانيات البنيوية –لسانيات الجملة– التي أقصت كل ما يتعلق بالكلام، أي الجانب المنجز المستعمل من اللغة؛ حيث فصل دوسوسير بين لسانيات اللغة ولسانيات الكلام؛ كما أقصى بلومفيلد المعنى من الدراسة اللسانية إقصاء اتخذ مظهر الإرجاء؛ ولم يول تشومسكي المعنى كبير عناية وأقصى المقام من الدراسة اللغوية، واعتبرت الجملة أكبر وحدة لسانية قابلة للدراسة. وبهذا فتحت المجال واسعا لدراسة الخطابات وسياقاتها الثقافية والاجتماعية ووظائف اللغة التواصلية. وهو ما يعد بحق لب الدراسة التداولية التي أفادت من لسانيات الخطاب من جهة؛ ومن جهة أخرى قامت بإثراء دراسة الخطاب.

---

[1]– دايك فان، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، لبنان، 2000، ص 32.

ب- اللسانيات الاجتماعية:

على الرغم من تصريح دوسوسير بأن اللسان مؤسسة اجتماعية وبأنه إنتاج مجتمعي حادث عن ملكة اللغة[1]. فإنه ألح على دراسة اللغة كنظام مغلق؛ أي لذاتها وفي ذاتها. وأبعد من الدراسة كل ما هو ليس بنية مجردة وبذلك أقصيت الدراسة الاجتماعية للغة. فالبنيوية في اللسانيات قامت على رفض كل ما هو اجتماعي في اللغة. غيرَ أن أنطوان ميي. A. Meillet (1886-1936) وفي العديد من النصوص بين الطابع الاجتماعي للغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية متأثرا بآراء عالم الاجتماع إميل دوركايم E. Durkheim. كما أن وليام لايوف W. Labov صرّح بأن اللسان ظاهرة اجتماعية وعليه: "فإن اللسانيات حينئذ لا يمكنها إلا أن تكون علما اجتماعيًا، أي أن اللسانيات الاجتماعية إنما هي اللسانيات"[2].

وشكلت الستينات والسبعينات منعطفًا هاما في دراسة علم الاجتماع اللغوي. ففي 1964 اجتمع خمس وعشرون باحثًا في لوس أنجلس في مؤتمر حول اللسانيات الاجتماعية من بينهم جون قمبرز John Gumperz، ودال هايمز Dell Hymes، ووليام برايت W. Bright لدراسة المواضيع المتصلة بعلم الاجتماع اللغوي[3]. ولقد كان هايمز من الأوائل الذين دعوا إلى دراسة اثنوغرافيا الاتصال ethnography of communication (1964) كرد فعل لتجاهل الكلام في التحليل اللساني وفي الوصف الأنثروبولوجي للثقافات. كما كان عمله كذلك رد فعل لوجهات النظر اللغوية التي لا تأخذ بعين الاعتبار السياقات الاجتماعية والثقافية التي تستعمل فيها اللغة؛ وتناول على وجه الخصوص مظاهر الأحداث الكلامية: aspects of speech events من يتحدث؟ وإلى من؟ وعن ماذا يتحدث؟ ومن أجل ماذا؟ وأين؟ ومتى؟ وفي سنة 1972 أدخل هايمز مفهوم الكفاءة التبليغية Communicative Competence ودورها في تعليم وتعلم اللغات، وأهميتها لمناقشة الخطاب الشفوي والمكتوب. والكفاءة التواصلية لا تعني معرفة اللغة وحسب، بل تعني كذلك ماذا يقال، وإلى من يقال، وكيف يقال بصفة ملائمة في موقف معين مع الأخذ بعين الاعتبار الموقف الاجتماعي والثقافي الذي يصدر

---

[1]- دوسوسير فرديناند، محاضرات في علم اللسان العام، ص 22-23.

[2]- جان كالفي لويس، علم الاجتماع اللغوي، تر محمد يحياتن، دار القصبة للنشر، الجزائر، د.ط، 2006، ص 10-11.

[3]- المرجع نفسه، ص 22.

فيه الحديث، والعلاقة بين المتخاطبين، وقوانين المجتمع وقيمه. وتتكون الكفاءة التواصلية من أربع مكونات: الكفاءة النحوية، grammatical Competence، والكفاءة اللغوية الاجتماعية socio – linguistic Competence، والكفاءة الخطابية discourse Competence (الانسجام والاتساق)، والكفاءة الاستراتييجة strategic Competence التي تؤهل المتكلمين للاتصال بطرق فعالة[1].

فاللسانيات الاجتماعية التي تطورت من الأنتربولوجيا وعلم الاجتماع تهدف إلى إعادة دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي.

إذا لقد عرفت اللسانيات الحديثة ثلاث مراحل أساسية: مرحلة بنيوية بقيادة دوسوسير امتدت من تأليف كتابه "محاضرات في علم اللسان العام" إلى ظهور كتاب تشومسكي "البنى التركيبية" (1957). ومرحلة تحويلية توليدية بزعامة تشومسكي بدأت بظهور كتابه "مظاهر النظرية النحوية" (1965) ونظريته النموذجية الموسعة، وبخاصة ما عرف "بالدلالة التوليدية" بزعامة أتباعه. ومرحلة تبليغية بزعامة هايمز وتركيزه على الكفاءة التبليغية (1972) التي أعطت دفعا قويا للنظريات السياقية، ولسانيات الخطاب.

فإذا كان دوسوسير قد حصر الدراسة اللسانية في تقسيمه الثلاثي: اللغة، واللسان، والكلام على اللغة باعتبارها نسقا مجردًا ونظاما من العلامات، فإن تشومسكي قد درس اللغة وفق مصطلح مفهوم اللسان عند دوسوسير أي كقدرة كامنة عند الإنسان تمكنه من إنتاج وفهم عدد لا متناه من الجمل النحوية الصحيحة. أما هايمز فقد ركز على دراسة الكلام في سياقاته الاجتماعية والثقافية المختلفة مركزًا على قدرة المتكلم / السامع التبليغية[2].

وقد أطلق طه عبد الرحمن على هذه المراحل الثلاث:

1- الداليات: وتختص بدراسة الدال الطبيعي صوتيا، وصرفيا وتركيبيا.

2- الدلاليات، وتختص بدراسة وتفسير العلاقات التي تجمع بين الدوال ومدلولاتها.

---

[1]- Paltridge. B, Discourse Analysis, An Introduction, , p 6.7.

[2]- ينظر: بعيطيش يحيى، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، إشراف عبد الله بوخلخال، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 30-31.

3- التداوليات: وتختص بدراسة وتفسير الدوال ومدلولاتها وبين الدالين بها[1].

هذه المرحلة التي أعطت دفعا قويا للنظريات السياقية، ولسانيات الخطاب، وأفعال الكلام لفلاسفة اللغة العادية. "وما يجمع هذه النظريات والبحوث هو تركيزها على مربع العلامة اللغوية، أو المكون التداولي Composante pragmatique للكلمة أو الجملة أو النص، الذي أصبح مضبوطًا بوظائف تداولية محددة، ترتبط بسياقات وطبقات مقامية وبشبكة من العلائق المختلفة: كالعلائق الاجتماعية المنظمة لمقاصد المتخاطبين والعلاقات المنطقية التي تضبط محاوراتهم"[2].

فما المقصود بالتداولية؟ وما هي أسسها المعرفية؟ وما هي موضوعاتها؟ وهذا ما سأتناوله في الفصل القادم.

---

[1]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص 28.

[2]- بعيطيش يحيى، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص 34.

الفصل الأول: التداولية وأسسها الفلسفية واللغوية

المبحث الأول: ماهية التداولية

المبحث الثاني: الأسس الفلسفية للتداولية

المبحث الثالث: الأسس اللغوية للتداولية

المبحث الرابع: مبادئ التداولية وعلاقتها بالتخصصات الأخرى

المبحث الأول: ماهية التداولية: pragmatics – pragmatique

لغـــة:

تعود كلمة pragmatique إلى الكلمة اليونانية pragmatikos واللاتينية pragmaticus. ومبناها على الجذر "pragma" ومعناه الفعل "action" ثم صارت الكلمة بفعل اللاحقة تطلق على كل ما له نسبة إلى الفعل أو التحقق العملي، أو له قيمة عملية، ومنه يقال سياسة عملية politique pragmatique ونظرية عملية theorie pragmatique [1]. واستعملت في اللغة الفرنسية سنة 1438 وتحديدا في عبارة pragmatique sanction وتعني المرسوم أو المنشور[2]؛ ثم دخلت إلى مجالات أخرى: الدراسات الفلسفية والأدبية، والعلوم البحثه لتدل على كل بحث أو اكتشاف له صفة إمكانية التطبيق العملي؛ ثم تسللت إلى اللغة المستعملة للدلالة على كل ما هو عملي.

التداولية:

جاء في المعاجم العربية أن الجذر اللغوي لمصطلح التداولية هو الفعل الثلاثي "دول"

● ورد في لسان العرب "دول: الدَّولة والدُّولة: العُقبة في المال والحرب سواء. وقيل الدُّولة، بالضم، في المال، والدَّولة، بالفتح في الحرب، وقيل هما سواء فيهما، يضمان ويفتحان، وقيل هما لغتان فيهما، والجمع دُول ودِول.

قال الجوهري: الدَّولة، بالفتح، في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال كانت لنا عليهم الدولة. والدُّولة بالضم، المال يقال: صار الفيء دولة بينهم يتداولونهُ مرة لهذا ومرة لهذا.

قال أبو عبيدة: الدّولة بالضم، اسم للشيء الذي يتداول به بعينه والدَّولة، بالفتح، الفعل.

وقال الفراء: الدُّولة، بالضم، في الملك والسنن التي تغير وتُبدَّل والدَّولة للجيشين يهزم هذا هذا ثم يُهزم الهازم.

وقال الزجاج: الدُّولة اسم الشيء يتداول، والدَّولة الفعل والانتقال من حال إلى حال.

وقال الليث: الدَّولة والدُّولة لغتان ومنه الإدالة الغلبة.

---

[1] - Grand Larousse Universel, Paris Cedex, Tome 12. p. 8412.

[2] - Petit Larousse en Couleur, Librairie Larousse, Paris, 1980. 1496.

وجاء أيضا في لسان العرب: تداولنا الأمر: أخذناه بالدُّول.

وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر. ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس. وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة. وقولهم دواليك أي تداولا بعد تداول.

والدَّول النبل المتداول. واندال بطنه استرخى. واندال القوم تحولوا من مكان إلى آخر"[1]

وجاء في أساس البلاغة "دول: دالت له الدولة ودالت الأيام بكذا. وأدال الله بني فلان من عدوّهم، جعل الكره لهم عليهم. وعن الحجاج: إن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها.

والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم. والدهر دول وعقب ونوب، والماشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما. وفعلت ذلك دواليك أي كرات بعضها إثر بعض"[2].

وورد في المفردات "دول: الدولة والدّولة واحدة، وقيل الدَّولة في المال والدُّولة في الحرب والجاه. وقيل الدَّولة اسم الشيء الذي يتداول بعينه. والدّؤلول الداهية والجمع الدآليل والدُّؤلات"[3].

ونستخلص من كل التعاريف السابقة أن مدار اللفظ "دول" هو التناقل والتحول من حال إلى حال أو من مكان إلى آخر. وقد اكتسب هذا المعنى من الصيغة الصرفية "تفاعل" التي تدل على تعدد حال الشيء. والتداول في اللغة هو التفاعل الحاصل بين أطراف العملية التواصلية.

ومن شواهد استخدام هذا المصطلح في القرآن الكريم قوله تعالى: "إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ...﴿١٤٠﴾"[4] والمراد بالأيام أوقات الظفر والغلبة، نداولها: نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء. فالحرب سجال[5].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 2004، مج 5 مادة: دول، ص 327-328 .

[2]- الزمخشري محمود بن عمر، أساس البلاغة، راجعه إبراهيم قلاتي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د.ط، د ت، مادة: دول، ص207.

[3]- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط4، 1426هـ -2005م، مادة: دوم، ص 180.

[4]- آل عمران: الآية 140.

[5]- الزمخشري محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبط وتوثيق أبي عبد الله الداني بن منير آل زهدي، دار الكتاب العربي، بيروت -لبنان، ط1، 1427هـ-2006م، ج1، ص 320.

وقوله تعالى: "مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ...﴿٧﴾"[1]

كي لا يكون دولة: كيلا يكون الفيء الذي حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الأغنياء يتكاثرون به[2].

اصطلاحًا:

إن أول تعريف اصطلاحي وضع للتداولية كان على يد الفيلسوف شارل موريس Charles Morris سنة 1938 عند دراسته للرموز اللغوية حيث اعتبرها جزء من السيميائية Semiotics عندما ميّز بين ثلاثة فروع يشتمل عليها علم العلامات:

1- علم التراكيب Syntactics أو: Syntax ويدرس العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.

2- علم الدلالة: Semantics: وهو دراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أو تحيل إليها.

3- التداولية pragmatics: وهي دراسة علاقة العلامات بمفسريها أو مؤَوِليها interpreters[3].

أما عند العرب فقد استخدم مصطلح التداولية لأول مرة من لدن طه عبد الرحمن حيث يقول: "وقد وقع اختيارنا سنة 1970 على مصطلح التداوليات" مقابلا للمصطلح الغربي "براغماتيقا" لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيين "الاستعمال" و"التفاعل" معا. ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"[4].

غير أن الملاحظ في الساحة العربية وجود تسميات متعددة للمصطلح لا تسمح باستعمالها مترادفة. فقد جاء في دليل الناقد الأدبي ما يلي: "ونتيجة لتداخل حقولها بحقول مجاورة فإن لها

---

[1]- الحشر: الآية 7.

[2]- الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 378.

[3] - Levinson, Stephen C, Pragmatics, Cambridge University Press, Cambridge, NewYork, 20th Ed. p1.

[4]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 2000، ص 28.

كثيرا من الترجمات في اللغة العربية منها التبادلية والاتصالية والنفعية إلى جانب الذرائعية"[1] وفي هذا الدليل ترجمت بالذرائعية الجديدة.

ويترجمها محمد يونس علي بعلم التخاطب معترضا على الترجمات الأخرى (الذرائعية، النفعية، التداولية) معتبرا إياها غير موفقة، ودليله على ذلك أن الغربيين يفسرونه على أنه علم الاستعمال The science of use؛ ويفضل تسمية pragmatics بعلم الاستعمال؛ وإن كان يحبذ علم التخاطب[2]. غير أن مصطلح التداولية هيمن على دراسة الباحثين ربما لخفته وسلاسته كما يقول محمد يحياتن مترجم كتاب مدخل إلى اللسانيات التداولية.

لقد تباينت تعاريف التداولية وتنوعت وذلك لتباين منطلقاتها الفكرية والفلسفية واللسانية؛ ولتعدد مجالاتها ولتعالقها وترابطها مع تخصصات عديدة. لذا صعب الضبط الاصطلاحي للكلمة. فبعد التعريف الأول المشار إليه سابقا، هذه مجموعة من التعاريف لبعض الباحثين المهتمين بالحقل التداولي. يورد فان دايك في كتابه "علم النص" التعاريف الآتية. "تختص البرجماتية بوصفها علما بتحليل الأفعال الكلامية، ووظائف منطوقات لغوية وسماتها في عمليات الاتصال بوجه عام. هذا العلم [...] له خاصية التداخل مع عدة تخصصات أخرى. وقد حفزته علوم الفلسفة واللغة والأنتروبولوجيا، بل علم النفس والاجتماع أيضا"[3]. ويخصصها أكثر قائلا: "وعلى ذلك فالبراجماتية تعالج قيود صلاحية منطوقات لغوية (أو أفعال كلامية) وقواعدها بالنسبة لسياق معين، وبعبارة أكثر ايجازًا: تدرس التداولية البراجماتية العلاقات بين النص والسياق"[4] ومن جهته يركز جورج يول George Yule في تعريفها على معنى المتكلم والمعنى الخفي "دراسة ما يعنيه المتكلمون أو معنى المتكلم speaker meaning يسمى التداولية" ويضيف "في عدة حالات التداولية هي دراسة المعنى الخفي invisible meaning أو كيف نتعرف على ما يقصد حتى ولو لم يُقل أو يُكتب"[5] فهي إذن تدرس الضمني في الحديث.

1- ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، ص 100

2- محمد محمد يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص5.

3- فان دايك، علم النص، تر حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ج مصر العربية، ط1، 2001، ص 114.

4- المرجع نفسه، ص 116.

5 - Yule George, The study of Language, Cambridge university Press, third Ed, 2006, p 112.

وفي كتابه "Pragmatics" يورد ليفنسون Levinson عدة تعاريف ابتداء من المعنى الشائع "دراسة اللغة في الاستعمال" إلى مكونات التداولية ومواضيعها. ومن هذه التعاريف:

"التداولية هي دراسة للمبادئ التي تؤهلنا لإدراك غرابة بعض الجمل (الجمل الشاذة) أو عدم مقبوليتها أو لحنها أو عدم ورودها في لغة المتكلم"

"هي دراسة اللغة في إطارها الوظيفي Functional perspective"

"التداولية تهتم بالإنجاز اللغوي Performance"

"التداولية هي دراسة كل مظاهر المعنى التي تهملها النظريات الدلالية".

"التداولية هي دراسة الإشاريات deixis، والاستلزام الحواري implicature، والافتراض المسبق presupposition، وأفعال الكلام speech acts، ومظاهر بنية الخطاب aspects of discourse structure"[1].

ويذهب جيفري ليتش بعيدًا في التركيز على أهميتها قائلا: "لا نستطيع حقيقة فهم طبيعة اللغة ذاتها إلا إذا فهمنا التداولية: كيف نستعمل اللغة في التواصل"[2] ويعرفها بأنها "دراسة كيف يكون للقولات (المنطوقات) utterances معان في المقامات التخاطبية"[3].

وتورد فرجينيا لوكسترو هذه التعاريف لأعلام متأخرين:

يعرفها فرارا Ferrara Alessandro بأنها: "الدراسة المنهجية للعلاقات بين الخصائص اللغوية للمنطوقات وخصائصها كفعل اجتماعي" " The systematic study of relations between the linguistic properties of utterances and their properties as social action"[4] ويعرفها ماك كارتي Mccarthy بأنها "دراسة المعنى في السياق دون تحديد طبيعة السياق"[5] والسياق حسب طوماس جيني Thomas Jenny يتضمن "المتكلم، والمستمع، والأشكال اللغوية التي تزود المعنى الكامن the meaning potential؛ والمحيط الفزيائي،

---

[1] - Levison, Stephen C, pragm²atics, p 6-25.

[2] - Leech Geoffrey, Principles of Pragmatics, LongMan, London and Newyork, 1 st Edition, 1983, p1.

[3] - Ibid. p x.

[4] -Locastro, -Virginia, An Introduction to Pragmatics, the university of Michigan Press, USA, 4 th ed. 2006, p5.

[5] - Ibid. p.6.

والاجتماعي واللغوي للمنطوقات"[1]. أما كريسطال Crystal David فيعطي التعريف الآتي: "التداولية هي دراسة اللغة من وجهة نظر المستعملين لها، وبخاصة الخيارات التي يقومون بها والقيود Constraints التي يواجهونها في استعمال اللغة في التواصل الاجتماعي social interaction والآثار effects المترتبة عن استعمال اللغة على المشاركين في عملية التواصل"[2] كريسطال إذا وسع مفهوم التداولية ليشمل مستعملي اللغة والاستجابة اللغوية وغير اللغوية للمخاطب على عكس بلوم كُلكا Blum-Kulka، وهاوس House، وكسبير kasper الذين حاولوا تحديد مجال التداولية في تحليل الأفعال الكلامية وبخاصة إلى ما يفعل المتكلم[3].

وتتبنى فرجينيا تعريفًا شاملاً مستمدًا من التعاريف السابقة: "التداولية هي دراسة معنى المتكلم والمستمع المُنتج في أفعالهما المفصلية joint actions التي تتضمن كلا من العلامات اللغوية وغير اللغوية في سياق النشاطات الاجتماعية والثقافية المنظمة"[4].

وإذا كانت التعاريف السابقة قد ركزت على استعمال اللغة في السياقات الاجتماعية والثقافية ومعنى المتكلم speaker's meaning وفهم المخاطب addressee's understanding والجانب اللغوي وغير اللغوي ومجالات التداولية، فإن قاموس أكسفورد Oxford يركز في تعريفها على نوايا ومقاصدا لمتكلم: "التداولية: هي دراسة الطريقة أو الكيفية التي تستعمل بها اللغة للتعبير أو ترجمة النوايا الخفية أو المقاصد في حالات معينة بخاصة وأن الكلمات الحقيقية المستعملة من المحتمل أن تعني شيئا مختلفا"[5].

ويعرفها محمد يحياتن في مقدمة ترجمته لكتاب الجيلالي دالاش: بقوله إنها "تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم كما يُعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث. وبناء على ما تقدم يمكننا القول كذلك بأن اللسانيات التداولية إنما هي لسانيات الحوار والملكة التبليغية أي ما يعرف بـــ Competence de

[1] -Locastro, -Virginia, An Introduction to PragmaticsA, p6.

[2] -Ibid. p.7.

[3] -Ibid. p.7.

[4] -Ibid. p.15.

[5] - Oxford Advanced Learner's dictionary, New Edition, Pragmatics, p 905-6.

Communication التي تقابل الملكة اللغوية الصرفة Competence كما حددها تشومسكي"[1].

ويعرفها مسعود صحراوي بأنها "نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظية والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية"[2] ويقابلها باللسانيات البنيوية. فإذا كانت هذه الأخيرة تدرس اللغة بوصفها بنية مجردة أو نسقا مجردا تحكمهُ قوانينه الداخلية فإن "التداولية تدرس اللغة بوصفها علما تخاطبيًا تواصليًا يعنى بالأبعاد الخطابية الاستعمالية للغة"[3].

---

[1] - دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1992، ص1.

[2]- صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 1429هــ-2008م، ص 25.

[3]- المرجع نفسه، ص 26.

المبحث الثاني: الأسس الفلسفية للتداولية

1- المذهب الذرائعي: Pragmatism

تختلف التداولية Pragmatics عن المذهب الذرائعي Pragmatism مع ذلك يُعد الأخير مصدرا من مصادر الأول. وأول من صاغ مصطلح براجماتيزم هو بيرس Charles Pierce (1839-1914) حينما نشر مقالين له، الأول بعنوان "كيف نوضح أفكارنا؟" "? How to make our ideas clear"، سنة 1878 في مجلة Monthly Popular science، "ما هي البراغماتية؟" "?What is pragmatics" سنة 1905. ومعناها عملي أو صالح لغرض معين أو يؤدي الغرض المطلوب. وبهذا وضع أساس فلسفة البراجماتيزم (أو الذرائعية، أو النفعية)[1]

وقد نشأت كلمة براجماتيزم حين تساءل بيرس عن معنى الفكرة، ومعنى العبارة، ومتى يكون للفكر معنى؟ ومتى تكون العبارة صادقة؟ فانتهى إلى أن الفكرة هي ما تعمله؛ أي أنّ معناها مرتبط بنتائجها وآثارها المترتبة عليها. وقد أخذ كلمة pragmatism من تمييز كانط Immanual Kant (1724-1804) بين كلمتين هما pragmatic وPractical. فالأولى تشير إلى بحث في قواعد الفن الذي يشتق من التجربة، والثانية تشير إلى القوانين الخلقية ذات الأساس القبلي. فالمصطلح يدل على معنى العمل والفعل[2].

وقد جاء مذهب الذرائع كرد فعل على العقلانيين الذين درجوا من عهد الإغريق إلى القرون الحديثة، من أفلاطون، وأرسطو إلى ديكارت وسبينوزا، ولايبتز، وهيجل على القول بأن العقل هو أداة المعرفة، وهو وحده الذي يستطيع الوصول إلى الحقائق، والمعارف التي تصلنا عن طريقه معارف صائبة حقة. أما مذهب الذرائع فيرى أن الدليل على حقيقة أي شيء إنما هو أثر هذا الشيء، وعمله، ووظيفته، والنتائج العملية المترتبة عليه. فالفكرة صائبة إذا كانت تؤدي إلى نتائج واقعية في حياتنا[3]. فقيمة الأفكار المجردة تقاس بمدى انطباقها على الواقع أو إمكانية تبلورها عمليا.

ونقطة الالتقاء بين الذرائعية والتداولية تتمثل في الواقع العملي الذي يجمع بينهما. وإذا كان بيرس يعني بالمنهج البراغماتي فن توضيح الأفكار، وبهذا ساوى بين معنى الأفكار والوظائف التي

---

[1]- فام يعقوب، البراجاتيزم أو مذهب الذرائع، دار الحداثة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط2، 1985، ص 137.
[2]- سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2000، ص 183.
[3]- فام يعقوب، البراجاتيزم، ص 155.

تقوم بها في الواقع العملي، فإن التداولية كذلك تتجاوز تفسير اللغة في ذاتها إلى تفسيرها أثناء الاستعمال أي في الواقع العملي.

2- الفلسفة التحليلية:

تعد الفلسفة التحليلية المصدر المعرفي الأهم للأفعال الكلامية، وبهذا فهي تجسد الخلفية المعرفية للتداولية. وتعود أصولها إلى كتابات جوتلوب فريجه Gottlob Frege (1848-1925)، وبرتراند راسل Bertrand Russell (1872-1970) ولودفيج فتنشتين Ludwig Wittgenstein (1898-1951). ويعد فريجه الأب المؤسس للفلسفة التحليلية و"إذا كانت الفلسفة التحليلية قد ولدت عندما حدث التحول اللغوي، فإن ولادتها لابد أن تؤرخ بنشر كتاب فريجه "أسس الحساب" عام 1884 عندما قرر أن الطريق إلى بحث طبيعة العدد هو تحليل الجمل التي تظهر فيها الأعداد"[1].

ومن أهم التحليلات اللغوية التي أجراها على العبارات اللغوية وعلى القضايا تمييزه بين مقولتين لغويتين تتباينان مفهوميا ووظيفيا هما: اسم العلم والاسم المحمول، وهما عماد القضية الحملية. والقضية الحملية هي التي تتكون من طرفين: اسم علم، ومحمول يسند إلى اسم العلم. والمحمول يقوم بوظيفة التصور، أي يقوم بإسناد مجموعة من الخصائص الوصفية الوظيفية إلى اسم العلم. أما اسم العلم فإنه يشير إلى شيء فرد معين. فالعلم يؤدي معنى تاما مستقلا دون حاجة إلى لفظ آخر ليتم معناه؛ والمحمول يحتاج إلى اسم علم ليعطيه معنى[2].

كما فرق فريجه بين "المعنى" و"المرجع". فالإحالة تقع خارج اللغة، إنها ما نتحدث عنه، أي هو شيء ينتمي إلى العالم الواقعي أو المتخيل؛ بينما المعنى هو صيغة التعيين التي تبنتها اللغة. ولذلك فهما غير متطابقين. كما اقترح مبدأين للتحليل الدلالي المنطقي وهما مبدأ "السياقية" أي دراسة المعنى (معنى الكلمات) في السياق الذي وردت فيه، ومبدأ "شرطية الصدق" فمعنى الملفوظات

1- صلاح إسماعيل، فلسفة العقل، دار قباء الحديثة، القاهرة، د.ط، 2007، ص 40.

2- صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص 27-28.

يتحدد تبعا لشروط الصدق المرجعي[1]. كما ربط بين مفهومين تداوليين هامين هما الإحالة والاقتضاء[2]. هذه المبادئ التي توسع فيها جون سورل عند دراسته للأفعال الكلامية.

كما ميّز بين اللغة العلمية واللغة العادية (لغة التواصل). فالأولى ضرورية في البرهنة الحسابية، ويجب أن تكون أحادية المعنى وصريحة هدفها الحقيقة. أما اللغة العادية فتهتم بإنجاح التواصل؛ لهذا يجب أن تكون متعددة المعاني كي تتمتع بثراء الممكنات التي تهيء لها تأدية وظائفها التواصلية بالشكل الملائم[3].

لقد أحدث فريجه قطيعة معرفية ومنهجية بين الفلسفة القديمة والحديثة، ووضع حجر الأساس لعلم الدلالة ومن ورائه التداولية.

3– فلسفة اللغة العادية: (مدرسة أكسفورد)

لقد اقتفى الفيلسوف النمساوي فتنشتين أثر فريجه وأسس اتجاها فلسفيا جديدا أسماه "فلسفة اللغة العادية". هذا الاتجاه الذي شاع في كمبريدج، وضم مجموعة من الفلاسفة منهم: ويزدوم J. Wisdom، ومالكوم M. Malcom، وبول G A Paul. وبوفاة فتنشتين تحول مركز الاهتمام إلى أكسفورد تحت زعامة أوستين J.L.Austin، ورايل G. Ryle[4].

لقد رفض اتجاه فلسفة اللغة العادية ما روّجه الوضعيون المناطقة الذين ميزوا بين وظيفتين أساسيتين للغة؛ إحداهما هي الوظيفة المعرفية التي تستخدم اللغة فيها كأداة تشير إلى وقائع وأشياء موجودة في العالم الخارجي، وبذلك فهي تصوير لهذه الوقائع والأشياء. أما الوظيفة الثانية للغة فهي الوظيفة الانفعالية، ومفادها أن الإنسان قد يستعمل اللغة للتعبير عن مشاعر وانفعالات. وقد اعتبر هؤلاء الفلاسفة أن العبارات التجريبية هي العبارات ذات المعنى بالإضافة إلى قضايا تحصيل الحاصل (العبارات التي تحدد القواعد التي يرتبط وفقا لها تقريران أو أكثر في استدلال صحيح)؛ وكل ما عداها فهو خارج عن دائرة المعنى، وتحددت بالتالي مهمة العبارة ذات المعنى في وصف الوجود الخارجي؛ ثم يجيء الحكم على هذه العبارة بالصدق أو الكذب بناء على قابلية هذه العبارة

---

[1]– فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007، ص 39.

[2]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 29.

[3]– فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 30.

[4]– صلاح إسماعيل عبد الحق، مدرسة أكسفورد، ص 13-14.

للتحقق. غير أن هذا التصور للغة من حيث هي موضوع للبحث الفلسفي يطرح مشكلة مفادها: ماذا عن العبارات الأخرى التي لا تصف الوجود الخارجي وليس لها صلة بالصدق أو الكذب؟ ماذا عن الجمل الطلبية (الأمر، والنهي)، والجمل الاستفهامية، وغيرها من الجمل؟ فهل هذه الجمل خالية من المعنى؟[1]

لقد رفض فلاسفة اللغة العادية هذا التقسيم لأن هناك أنواعا مختلفة لا تحصى من الاستعمالات للجمل والكلمات. وذهبوا إلى أن المنهج الصحيح لحل المشكلات الفلسفية لابد أن يتضمن دراسة دقيقة لمنطق اللغة، واللغة التي فحصها فلاسفة أكسفورد هي اللغة العادية. "وإذا كان الوضعيون المناطقة قد نظروا إلى الوصف (أو التقرير) على أنه الوظيفة النموذجية الجديرة بالبحث الفلسفي [...]، فإن فلاسفة أكسفورد قد نظروا إلى الوصف بوصفه وظيفة واحدة من بين وظائف كثيرة متنوعة للغة [...] فهناك السؤال، والأمر، والنهي، والتعجب، والرجاء [...] الأمر الذي دفع فلاسفة أكسفورد إلى البحث عن قواعد الاستعمال اللغوي، وانتهوا إلى نظرية جديدة هي نظرية الاستعمال للمعنى"[2].

ومن بين أهم المساهمين في فلسفة اللغة العادية فتجنشتين وأوستين.

- **فتجنشتين:**

يرى فيتجنشتين أن اللغة العادية صحيحة تماما ولا يجوز أن تتدخل الفلسفة مطلقا في الاستعمال الفعلي للغة؛ ويمكن في النهاية أن تصفه فحسب لأنها لا يمكن أن تعطيه أي أساس. ومعيار صحة استخدام الكلمات في اللغة هو طريقة استعمالنا لها في اللغة العادية وبهذا يذهب إلى أن "معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة"[3]. وتعتمد فلسفته على ثلاثة مفاهيم أساسية هي الدلالة، والقاعدة، وألعاب اللغة. فيما يخص الدلالة أفاد فتجنشتين أنه لا يجب الخلط بين المعنى المحصل sens والمعنى المقدر signification؛ لأن هذا يعني الخلط بين الجملة والقول. فالجملة لها معنى مقدر، في حين أن الكلام له معنى محصل. ومعنى الجملة الحقيقي يمكن مشاهدته والتحقق منه في صلب الممارسة اليومية لألعاب اللغة[4].

---

[1]- صلاح إسماعيل عبد الحق، مدرسة أكسفورد، ص 12-13.

[2]- المرجع نفسه، ص 18.

[3]- المرجع نفسه، ص 34.

[4]- دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 18.

أمّا المفهوم الثاني، القاعدة، فيجب النظر إليه من حيث وجوهه الاجتماعية، والاستبدالية، والنحوية. إنّ وجه القاعدة الاجتماعي يكمن في أنّها تستند إلى التواضع والاصطلاح: "إن اتباع قاعدة ما وإعطاء معلومة وأمر، ولعب الشطرنج، كلها ممارسات أي تقاليد ومؤسسات"[1] وعلى كل من يشارك في لعبة اللغة أن يمتثل للقواعد الأساسية أي الاصطلاحات الاجتماعية دون إغفال القواعد غير الأساسية (القواعد الفردية). وهذه القواعد نماذج ومُثُل تسمح بتنويع النشاط اللغوي تنويعا غير متناه. أما المفهوم الثالث، ألعاب اللغة، فيشكل فكرة فتجنشتين الأساسية، ويمثل كيانا غير منفصل عن مفهومي الدلالة والقاعدة.

إنّ اللعبة اللغوية، في نظره، تشبه شكلا من أشكال الحياة. فلا توجد طريقة واحدة لاستخدام جملة ما؛ بل ثمة عدد لا حصر له من الطرق[2]. ويقدم قائمة من الأفعال اللغوية: الأمر، والوصف، والتقرير، والتفكر، والافتراض، والتساؤل...[3] و"ألعاب اللغة التي تبدو عصية على الحصر شديدة التنوع بحيث يعسر تصنيفها ضمن نمذجة شاملة"[4].

لقد أدرك فتجنشتين أن الذي يخفي واقعة الكثرة ويهملها هو المظهر المتسق الخادع للغتنا "فنظل غير مدركين للتنوع الضخم في ألعاب اللغة في الحياة اليومية وذلك لأن مظهر لغتنا يجعل كل شيء متشابها"[5]. فالنشاط اللغوي ينطوي على تنوع غير متناه، ودرجة تعقد الألعاب اللغوية تتطور بتطور النشاطات الاجتماعية. وهكذا تشكل هذه الألعاب طرائق يتعلم الأطفال بواسطتها لغتهم الأم، وكيفية الاندماج في المجتمع. فالألعاب اللغوية تعني ببساطة الممارسة اللغوية[6].

– **أوستين:** J.L. Austin

يُعد أوستين أحد أقطاب فلسفة اللغة العادية، وشكلت كتاباته مع كتابات مجموعة من الفلاسفة ما يعرف بمدرسة أكسفورد التي امتد نشاطها من 1936 إلى 1939[7]. ومن أهم المواضيع المواضيع التي أثارت اهتمامه ما ذهب إليه فلاسفة الوضعية المنطقية وتميزهم بين الوظيفة المعرفية

1– دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص 18-19.

2– المرجع نفسه، ص 20.

3– صلاح إسماعيل عبد الحق، مدرسة أكسفورد، ص 123-124.

4– فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 31.

5– المرجع السابق، ص 123.

6– دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 20.

7– صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 14-16.

للغة Cognitive والوظيفة الانفعالية emotive؛ وإخراجهم ما عداها من دائرة المعنى. إن النظر إلى اللغة من حيث هي نسق متسق واعتبار الوظيفة الوحيدة لها هي الوصف يمثل ما أسماه أوستين المغالطة الوصفية descriptive fallacy [1]. وفي محاولة لدحض هذه المغالطة، كشف عن التعارض الكائن بين نوعين من المنطوقات: المنطوقات الخبرية (التقريرية) Constative utterances والمنطوقات الإنجازية (الأدائية) performative utterances [2]. وها هنا تكمن الفكرة المحورية أو "الهيكل الفكري" لنظرية المنطوقات الإنجازية، ومفادها أن القول "saying" هو أحيانا "إنجاز أو أداء لفعل" "doing" [3]. وإذا كان هدف أوستين في البداية الكشف عن نمط المنطوق الإنجازي وأنه ليس خاليا من المعنى؛ فإن هذه النظرية سرعان ما خضعت لتعديلات متعددة حتى انتهى به الأمر إلى وضع نظرية "الأفعال الكلامية" التي تبلورت في محاضراته التي ألقاها عام 1955 "محاضرات وليام جيمس" التي ستكون أساس التداولية.

---

[1] - Austin .J.L, How to do things with words, Harvard university press, Cambridge-Massachusetts, second Edition, 1975. p.3.

[2] -Ibid. p.6.

[3] - Ibid, p 12.

المبحث الثالث: الأسس السيميائية واللغوية للتداولية

I– الأسس السيميائية:

1 – أعمال ش.س بيرس Charles.S.Pierce

يدين الدرس التداولي كثيرا إلى ش.س. بيرس وهو من الأوائل الذين اهتموا بدراسة العلامة (الدليل) ويعدها أساس النشاط السيميائي. فالسيميائيات عنده "فعل أي سيميوز. والسيميوز [...] سيرورة لإنتاج الدلالة ونمط في تداولها واستهلاكها، وبعبارة أخرى إنه تصور متكامل للعالم[1]. فالإنسان عنده علامة ولا يملك القدرة على التفكير دون علامات وكل التفكير بالعلامات يقول: "إنه لم يكن بإمكاني على الإطلاق أن أدرس أي شيء. الرياضيات، الأخلاق، الميتافيزيقا، الجاذبية [...] إلا بوصفه دراسة سيميائية"[2]. فالعالم بالنسبة إليه يتم إدراكه بواسطة التفاعل ما بين الذوات والنشاط السيميائي، وهذا الإدراك يحصل أساسا بواسطة الأدلة (العلامات) signs.

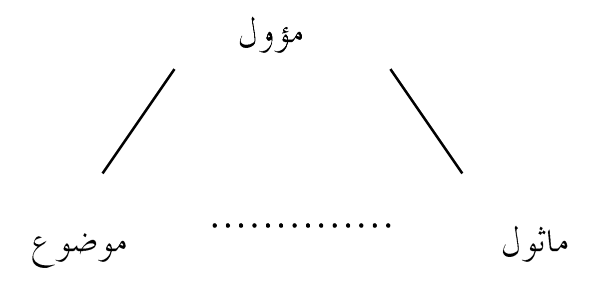
والعلامة عنده ثلاثية الأبعاد. فهي "أول عندما تحيل على نفسها، وهي ثان عندما تحيل على بؤرة "الهنا والآن" التي يتحرك داخلها الموضوع، وهي ثالث عندما تحيل على مؤولها"[3] فالماثول Representamen يحيل على موضوع object عبر مؤول interpretant. فالعلامة عنده إذا وحدة ثلاثية غير قابلة للاختزال في عنصرين عكس تصور دوسوسير للعلامة (صورة سمعية وتصور ذهني). فالسيرورة السيميائية تستدعي الماثول كأداة للتمثيل، وتستدعي الموضوع كشيء للتمثيل، وتستدعي مؤولا يقوم بالربط بين العنصرين، أي ما يوفر للماثول إمكانية تمثيل الموضوع بشكل تام داخل الواقعة الإبلاغية[4].

[1]– بنكَراد سعيد، السيميائيات والتأويل مدخل لسميائيات ش س بورس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، بيروت–لبنان، ط 1، 2005، ص 27.

[2]– أزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد..، ص 194.

[3]– بنكَراد سعيد، السيميائيات والتأويل مدخل لسميائيات ش س بورس ، ص 53.

[4]– المرجع نفسه، ص 76 -77.



فالعلاقة بين الماثول والموضوع ليست مباشرة بل تمر عبر المؤول.

إن العلامة إذا علاقة ثلاثية وتحتوي هذه الثلاثية على مبدإ الإحالة اللامتناهية. فالأول يحيل على الثاني عبر ثالث هو نفسه قابل لأن يتحول إلى أول يحيل على ثان عبر ثالث جديد. "فالسيميوز هي في الاحتمال سيرورة لا متناهية وهي في الوجود منتهية"[1]. والعلامة عنده كذلك "ذات بعد تواصلي، إذ تُثير في فكر المتقبل علامة مرتبطة بها (signe connexe) وهذه العلامة المرتبطة بها هي على درجة من المطابقة تزيد وتنقص مع ما يسميه بيرس "المؤول"[2]. وبالمفهوم الواسع "المؤول" هو معنى العلامة. وأما بمفهوم أكثر ضيقا، فإن المؤول هو معنى العلاقة " الاستبدالية" بين علامة وعلامة أخرى: المؤول إذا هو على الدوام علامة أيضا، وهذه العلامة سيكون لها مؤولها، إلى آخره"[3].

وقد صنف بيرس العلامات في ثلاث مجموعات وهي:

1- العلامة الرمز: وتمتاز بعلاقة الاعتباطية وترتبط بالمرجع بواسطة عرف ثقافي.

2- العلامة الإشارة (الأمارة): وهي علامة لا تشتغل إلا في الورود طالما أن وجودها يتبع سياقا ما، وبهذا فهي تندرج في علاقة العلة بالمعلول، مثل الدخان والنار.

3- العلامة الأيقونية: وهي علامة تشارك المرجع في عدد من الخاصيات التي يتوفر عليها مثل الرسم التصويري[4].

---

[1]- سعيد بنكَراد، السيميائيات والتأويل مدخل لسميائيات ش س بورس، ص 78.

[2]- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 41.

[3]- أزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد..، ص 195.

[4]- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 42.

وخلال حديث بيرس عن التأويل، استخلص الدارسون ما يرتبط بمفهوم التداولية عنده؛ حيث ميز بين الدلالة بعدها دراسة المؤولات، وبين التداولية التي تهتم بدراسة بقايا هذه المؤولات ورواسبها[1]. ويعتبر مفهوم المؤول في مركز تعريف التداولية، بحيث انطلاقا منه يمكن بناء نظرية للكفاءة التواصلية التي تفسر الطرق التي يمارسها المرسلون والمتلقون لغرض الفهم والإفهام، أو ما يمكن أن يتبلور في أفعال الكلام[2].

[1]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 55-56.

[2]- حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص 222.

2- شارل موريس Charle Morris (1901 ...؟)

لقد أسهم شارل موريس في تأسيس الدرس السيميائي بدراسته للدليل وتصوراته الواسعة، وهو لا يبتعد كثيرا عن تصور بيرس للدليل (العلامة) إلا من حيث البعد السلوكي. فجهوده عبارة عن امتداد لبحوث علم النفس السلوكي. وبنية اللغة منظورا إليها من الوجهة اللسانية التداولية، في نظره، نظام من السلوك؛ ذلك أنها تهيء المتلقي إلى رد فعل ما بناء على البنية التي يتلقاها (احذر السيارة/ما أجمل الجو) ففي كل "مرة يستوجب دليل ما اتخاذ موقف ما لدى المتلقي سواء كان هذا الموقف إيجابيا أو سلبيا إزاء حدث أو شيء ما أو مقام ما"[1] والنظرية السيميائية بالنسبة إليه "يجب تصورها كسيرورات سلوك. فالجسم من حيث هو جسم يفعل في المحيط وينفعل به علما بأن وظيفة المحيط وأهميته عاملان حاسمان في إرضاء حاجته ومن ثم فإن هناك تفاعلا بين هذين العاملين"[2]

لقد أخذ موريس عن بيرس الثالوث الدلائلي معدلا فيه لفظ "المدلول" فالدليل، عنده، في سيرورته ينتظم في أربعة عناصر:

- الناقل (porteur): الذي يقوم مقام الدليل.
- المدلول عليه الذي يحيل الدليل إليه.
- الأثر الحاصل لدى المرسل إليه والذي يبدو له وكأنه الدليل أو المؤول.
- المؤول interprête.

وهذه العناصر الأربعة تنتظم بشكل غير تراتبي في بناء السيرورة السيميائية للدليل (العلامة). لذلك رسم علاقة العلامة بأبعادها الثلاثية. علاقتها بالموضوعات الدالة عليها (بعد دلالي)، وعلاقاتها فيما بينها (بعد تركيبي)، وعلاقاتها بالمؤولين لها (بعد تداولي). ويجب دراسة هذه الأبعاد الثلاثة متداخلة فيما بينها، ولا يجب إلغاء أي بعد من الأبعاد. "فأثناء وصف السيميائيات تفترض اللسانيات التداولية مسبقا كلا من الدراسة التركيبية والدلالية. لأن المناقشة الحصيفة السديدة

---

[1]- دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 10.

- ينظر: بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009، ص 56-58.

[2]- دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 10.

لعلاقات الأدلة بمؤوليها تستلزم معرفة علاقات الأدلة بعضها ببعض وكذا علاقة الأدلة مع الأشياء التي يحيل عليها المؤولون"[1]

ويرجع له الفضل في وضع أول تعريف للتداولية -كما مرّ سابقا- بجعلها جزء من السيميائية؛ فهي تعالج العلاقة بين العلامات ومستخدميها أو مؤوليها.

II- الأسس اللغوية

- اللسانيات الوظيفية:

تعد اللسانيات الوظيفية بمدارسها ونظرياتها المختلفة اتجاها ممهدا للتداولية. فإذا كانت النظريات البنيوية غير الوظيفية تعد اللغة نسقا مجردا يؤدي وظائف متعددة أهمها وظيفة التعبير عن الفكر، فإن النظريات الوظيفية تعد اللغة وسيلة للتواصل الاجتماعي؛ أي نسقا رمزيا يؤدي مجموعة من الوظائف أهمها وظيفة التواصل؛ وعليه فبنية اللغات الطبيعية لا يمكن وصفها وصفا ملائما إلا إذا روعي في هذا الوصف الطبقات السياقية. فالقدرة اللغوية قدرة تواصلية تشمل القواعد الدلالية، والقواعد الصوتية، والقواعد التداولية[2]. وتعود أصول اللسانيات الوظيفية إلى أعمال مدرسة براغ ومدرسة لندن أو ما يعرف بالمدرسة النسقية. ومن أهم الأعلام الذين تطرقوا إلى الوظائف اللغوية رومان جاكبسون وماك هاليداي.

1- رومان جاكبسون:

في إطار دراسته الوظائف اللغوية طور جاكبسون النموذج التبليغي لكارل بوهلر karl Bühler ، عالم النفس اللغوي الألماني، الذي اقترح ثلاث وظائف أساسية للغة:

الوظيفة التمثيلية، والوظيفة التعبيرية، والوظيفة الندائية[3].

لقد طور جاكبسون هذا النموذج معتبرا أن الكلام الذي يبعثه المرسل إلى المتلقي بواسطة قناة الاتصال، ضمن سياق معين له ست وظائف لغوية:

---

[1]- دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 11. و ينظر سعودي أبو زيد نواري، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009، ص 22-23.

[2]- المتوكل أحمد، السانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط 1989، ص 12-13.

[3]- دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 14.

1- الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية expressive function وهي التي تحدد العلاقة بين المُرسل والمُرسلة وموقفه منها. فالمُرسلة في صدورها تدل على طابع مرسلها وتكشف عن حالته. وتجنح إلى إعطاء انطباع عن انفعال معين.

2- الوظيفة الندائية Conative function

وهدفها التأثير على المتلقي، وإثارة انتباهه ليطلب منه القيام بعمل من الأعمال. وتدخل الجمل الأمرية ضمن هذه الوظيفة.

3- وظيفة إقامة الاتصال: phatic function

وظيفتها إقامة الاتصال بين المرسِل والمرسَل إليه ومحاولة الإبقاء على هذا الاتصال من أجل تقوية الصلات الاجتماعية وذلك كعبارات التحية، والترحيب، والمجاملة.

4- وظيفة ما وراء اللغة Metalinguistic function

وهي الوظيفة التي تؤديها اللغة في حالة إحالة عبارة على عبارة أخرى وتتجلى في لغة النحاة مثلا كعبارة "فاعل" و"مفعول" فهذه اللغة تتكلم عن اللغة نفسها، وتصفها وتعرف مفرداتها.

فالوظيفة الماورائية، إذا، تظهر في المرسلات التي تكون اللغة نفسها مادة دراستها.

5- الوظيفة المرجعية referential function

وهذه الوظيفة هي أساس كل تواصل. والاتصال هنا يستهدف المرجع بالذات؛ فهي إذا تحدد العلاقات بين المرسلة والشيء أو الغرض الذي ترجع إليه، وهي بذلك أكثر وظائف اللغة أهمية في عملية التواصل.

6- الوظيفة الشعرية poetic function

حين تكون المرسلة معدة لذاتها؛ أي في حالة إنتاج خطاب ذي دلالات داخلية كما في النصوص الفنية والأدبية[1].

يلاحظ جاكبسون أن الوظائف الست لا تجتمع كلها في الخطاب الواحد؛ غير أن الوظيفة التواصلية (المرجعية/ الإحالية) تتواجد في جميع أنماط الخطاب وإن كان بدرجات متفاوتة؛ لأن اللغة أساسا تستعمل لإقامة التواصل بين مستعمليها. إلا أن غلبة إحدى الوظائف في مقولة معينة هو الذي يطبع هذه المقولة بطابع معين (وظيفة معينة). والسياق الذي توجد فيه الكلمات هو

[1]- فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية....، ص 66-67.

الذي يحدد المعنى المقصود في المرسلة. "فالنقطة الأساسية في نظرية التواصل عند جاكبسون هي أن الإشارة اللغوية لا تقدم، ولا يمكن أن تقدم كل المعنى الذي تحويه، وأن نسبة كبيرة منه تفهم من السياق"[1].

ماك هاليداي: M .A. K

لقد اعتبر فيرث المعنى شيئا أساسيا في الدراسة اللغوية وخالف مبدأ الثنائية diachotomies لغة/ كلام بانطلاقه من فكرة الأحادية[2]. فاللغة عنده ليس لها وجود ذهني مختلف عن الكلام الواقعي، وبالتالي فإن اللغة ليست سوى أحداث وأفعال كلامية واقعية. وعليه فإن دراسة اللغة لا تتم بمعزل عن الظروف والملابسات التي يتم فيها الحدث أو الفعل اللغوي، أي السياق سواء كان داخليا أم خارجيا. وبذلك وضع فيرث ملامح نظرية وظيفية طورها الفيرثيون الجدد firthians Neo... وعلى رأسهم هاليداي. أطلق عليها علم اللغة النظامي أو النظرية النسقية.

ويقوم علم اللغة النظامي على العلاقة الوثقى بين اللغة والسياق الذي تستخدم فيه. والسياق هو الذي يصف العلاقة بين الصيغ اللغوية والوقائع غير اللغوية؛ فهو يربط المعاني الوظيفية للعناصر اللغوية بالمعاني المقامية التي تلابس الحدث اللغوي. وهذه العلاقة تؤدى بنوعين من المعاني:

المعنى الشكلي formal والمعنى السياقي contextual فالمعنى الشكلي هو العلاقة بين العنصر والعناصر اللغوية الأخرى أي قدرته على التوارد مع عناصر أخرى، أو التفاعل معها، أو التعاقب معها، والمعنى السياقي هو نتاج الربط بين النص والموقف الذي يتجلى فيه. والمعنى السياقي يعتمد منطقيا على المعنى الشكلي[3]. وقد لاحظ هاليداي أن الأغراض التي يمكن أن تستعمل اللغة من أجل تحقيقها غير متناهية، وتختلف باختلاف العناصر الاجتماعية والأنماط الثقافية إلا أنه ركز على الوظائف المتوافرة فيها الخاصيتان الآتيتان:

أ- ورودها بالنسبة لجميع اللغات الطبيعية أي عدم اختلافها من لغة إلى لغة أخرى.

---

[1]- فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية....، ص 68.

[2]- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 173.

[3]- محمود أحمد نحلة، علم اللغة النظامي، مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2008، ص 58-59.

ب- تحديدها لبنية اللغة أي انعكاسها في مستوى الخصائص الصورية للغة. ويرى أن الوظائف التي تتوافر فيها هاتان الخاصيتان وظائف ثلاث: الوظيفة التمثيلية ideational، والوظيفة التعالقية interpersonal ، والوظيفة النصية textual [1]

فاللغة تقوم بوظيفة تمثيلية باعتبارها تعبر عن الواقع سواء كان هذا الواقع العالم الخارجي ذاته أم كان الواقع النفسي للمتكلم .

وتؤدي اللغة في الوقت ذاته وظيفة تعالقية إذ أنها تعبر عن الدور الذي يؤديه المتكلم إزاء مخاطبه دور السائل أو الآمر أو المخبر ... في موقف تواصلي معين. كما تعبر عن الموقف (موقف المتيقن، أو المشكك..) الذي يتخذه المتكلم تجاه فحوى خطابه. وتؤدي اللغة كذلك وظيفة نصية باعتبارها تمكن من تنظيم الخطاب طبقا لمقتضيات الموقف التواصلي فتنقله من مجموعة من العناصر إلى نص متماسك[2].

---

[1]- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص 48.

[2]- المرجع نفسه، ص 111.

المبحث الرابع: مبادئ التداولية وعلاقتها بالتخصصات الأخرى

قبل التطرق إلى مبادئ التداولية وموضوعاتها المختلفة يجب التمييز بين مدرستين تداوليتين: المدرسة الأنجلو- أمريكية Anglo-American والمدرسة الأوروبية القارية European continental. ففي المدرسة الأولى تعرّف التداولية على أنها الدراسة المنهجية للمعنى اعتمادا على الاستعمال اللغوي. ومواضيع البحث الأساسية تشمل الاستلزام الحواري، والافتراض المسبق، والأفعال الكلامية، والإشاريات. وهذا ما يعرف بالنظرة المكونية للتداولية Component view of pragmatics وأنّ التداولية في النظرية اللسانية يجب أن تعالج كقسيم أساسي ومكافئ لعلم الأصوات، والفونولوجيا، والصرف، والتركيب، والدلالة. وعليه فمواضيع كاللسانيات الأنتروبولوجية، واللسانيات التطبيقية، واللسانيات النفسية سوف لن تكون من صميم هذه المكونات core component وبالتالي تخرج عن إطار الدراسة التداولية.

أما في المدرسة الأوروبية، فالتداولية أوسع حيث تشمل معظم المواضيع التي تنضوي تحت اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات النفسية، وتحليل الخطاب[1]. وعليه فمواضيع مثل الحجاج argumentation والتلفظ enonciation تعد من صميم الدراسة التداولية. ولهذا صعب إيجاد بحث منسجم للتداولية في هذه المدرسة عكس المدرسة الأنجلو-أمريكية التي تضيق مجال الدراسة التداولية وتحصرها في المواضيع المشار إليها أعلاه والتي سأتناولها في هذا المبحث مرجئة أفعال الكلام والاستلزام الحواري إلى الفصل القادم.

I- مبادئ التداولية:

1- الإشاريات:

عبارة deixis مشتقة من الكلمة اليونانية بمعنى "أظهر" "to show" أو "أشار" "to point out". والإشاريات تهتم بالعلاقة بين بنية اللغة structure of language والسياق الذي تستعمل فيه.

---

[1] - Huang. Yan, Pragmatics, Oxford University Press, New York, USA, 2007, p 4-5.

والإشاريات ظاهرة لغوية عالمية. فكل اللغات الإنسانية تضم إشاريات. فاللغة دون إشاريات لا تستطيع أن تلبي الحاجات التواصلية Communicative needs لمستعمليها بطريقة فاعلة وفعالة[1].

والإشاريات تضم أسماء الإشارة، والضمائر، وظروف الزمان والمكان. وتسمى هذه الأدوات اللغوية بالمبهمات، ويكمن إبهامها في كونها لا تدل على غائب عن الذاكرة أو عن النظر الحسي، فالتلفظ بها يجب أن يكون في سياق يحضر فيه أطراف الخطاب حضورا عينيا أو حضورا ذهنيا من أجل إدراك مرجعها. لذلك لزمها البيان في السياق الذي تستخدم فيه ولا يستطاع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه. فالإشاريات لا يتحدد مرجعها، إذا، إلا في سياق الخطاب التداولي. فعلى الرغم من ارتباطها بمرجع إلاّ أنّه مرجع غير ثابت. والإشاريات عامل هام في تكوين بنية الخطاب من خلال القيام بدورها النحوي ووظيفتها الدلالية. ولا يمكن أن تتم عملية التلفظ بالخطاب دون حضور هذه الأدوات الإشارية[2]. ذلك لأن اللغات الطبيعية وضعت أساسا للتواصل المباشر بين الناس؛ فعند غياب ما تشير إليه هذه الأدوات يسود الغموض ويستغلق الفهم. ولهذا عدت الإشاريات أدخل في التداولية منها في علم الدلالة. لأن الإشاريات تهم مباشرة العلاقة بين بنية اللغات والسياقات التي تستعمل فيها[3]. والإشاريات والتي هي جزء من نظام اللغة لا تحيل كلها على مدلول معين، فالبعض منها يوجد في المعجم الذهني دون ارتباطه بمدلول ثابت، ومدلوله يتحدد وفقط في سياق معين. وميز الباحثون بين خمسة أنواع من الإشاريات: الإشاريات الشخصية، والإشاريات الزمانية، والإشاريات المكانية، والإشاريات الاجتماعية، والإشاريات الخطابية (النصية). واقتصر بعضهم على الثلاث الأولى لأن كل خطاب لا يتم إلا بحضور هذه الأدوات: الأنا، والهنا، والآن.

" The uttering person, the place of utterance and the time of utterance[4]"

---

[1] - Huang. Yan, Pragmatics, p 132.

[2] - بن ظافر الشهري عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 80-81.

[3] - Levinson, Pragmatics, p 55.

[4] - Huang Yan, Pragmatics, p 136.

أ- الإشاريات الشخصية:

وتتمثل في الضمائر الدالة على المتكلم المفرد، أو المتكلم المعظم نفسه، أو جماعة المتكلمين، والضمائر الدالة على المخاطب سواء كان مفردا، أو مثنى، أو جمعا، والضمائر الدالة على الغائب إن كان لا يعرف مرجعها في السياق اللغوي. وهذه الضمائر هي دائما عناصر إشارية لأن مرجعها يعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه. واستنادا إلى رأي بنفنست E. Beneviste فإن الضمائر أشكال وصيغ فارغة formes vides لا مرجعية لها، وليس لها وجود إلا حال الحديث أو التلفظ أو التعبير عنها بالكتابة أو إسناد الأقوال إلى أصحابها. لكن أوركيوني C. Orecchioni تؤكد عدم انسجام هذه الفكرة لكون الضمائر يتنوع معناها بتنوع المقامات[1]. وتعرفها بقولها: "الضمائر هي تلك الوحدات اللغوية التي يستلزم عملها المرجعي- الدلالي semantico- référentiel الاهتمام ببعض العناصر المكونة لحال الحديث بالإضافة إلى الدور الذي يؤديه فاعلو الخطاب والحالة الزمانية والمكانية للمتكلم والمتلقي"[2]. وتعارض فكرة أن الضمير خال من المعنى. "يمكن للضمير أن لا يكون له موضوع، ولكنه من المستحيل أن لا يكون له مفهوم، ولولاه لتعذرت الترجمة من لغة إل لغة أخرى"[3]. فالضمائر تفتقد المرجعية في الواقع؛ ولكنها تبقى أشكالا وصيغا دالة. وتعد إشارية لأن مرجعها لا يستطيع أن يكون محددا إلا إزاء الهوية أو إزاء وضع المتخاطبين في اللحظة التي يتكلمون فيها. وضمائر المتكلم والمخاطب تعد إشارية في كل السياقات التي تظهر فيها فهي تعيَن الشخص الذي يتكلم وذلك الذي يتعلق الكلام به لحظة التلفظ.

ب- الإشاريات الزمانية: Temporal deixis

وهي أدوات لغوية تدل على زمان معين يحدده السياق قياسا إلى زمن التكلم الذي يشكل مركز الإشارة الزمانية في الكلام. ومعرفة لحظة التكلم تجنب المرسل إليه الالتباس والغموض وتساعده على تأويل الخطاب تأويلا صحيحا، فهي المرجع الذي يحال عليه. فكلمات مثل: اليوم، والآن، وغدا، وأمس، وبعد حين... لا يستطيع المرسل إليه التنبؤ بوقتها إلا بمعرفة لحظة التلفظ وقياسا بزمن التلقي.

---

[1]- ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطبع والنشر والتوزيع، 2005، ص 104.

[2]- المرجع نفسه، ص 96-97.

[3]- المرجع نفسه، ص 98.

فإذا ترك أستاذ ملاحظة على باب مكتبه "سأعود بعد ساعة" فإن طلبته القادمين إلى زيارته لطلب المساعدة لا يعرفون متى تنتهي الساعة إلا إذا عرفوا زمن كتابة هذه الملاحظة.

والعناصر الإشارية قد تكون دالة على الزمان الكوني: السنة، والفصول، والأشهر، والأيام... وقد تكون دالة على الزمن النحوي وقد يتطابقان في سياق الكلام، وقد يختلف الزمن النحوي عن الزمن الكوني فتستخدم صيغة الحال للدلالة على المضي، وصيغة المضي للدلالة على الاستقبال. فالزمن النحوي لا يطابق الزمان الكوني في كثير من أنواع الاستعمال. وما يعول عليه هنا هو معرفة سياق الكلام ومرجع الإشارة الزمانية[1]

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفية الجامعية، مصر، 2002، ص 19-20.

جـ– الإشاريات المكانية: Spatial deixis

وهي أدوات لغوية تدل على أماكن يحددها السياق اعتمادا على مكان التلفظ وقت التلفظ. ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر اللغوية التي تشير إليه قربا أو بعدا أو جهة. فكلمات مثل: هذا، وذاك، وهناك، وأمام، وخلف... تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه لتحديد مرجعها، وعلى وضعية المتكلم في لحظة الحديث، وكذا إشاراته.

وأكثر الإشاريات المكانية وضوحا هي أسماء الإشارة نحو: هذا، وذاك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية أي مكان المتكلم، وظرفا المكان هنا وهناك للإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم[1].

وهناك نقطة مهمة فيما يخص هذه الإشاريات وهي أن المسافة بين المتكلم أو المخاطب قد تكون نفسية psychological وليست فيزيائية. فهي تعتمد على الموقف العاطفي للمتكلم. فالمسافة النفسية قد يعبر عنها المتكلم بقوله: "أنا لا أحب ذاك" إشارة إلا سلوك طفل قريب منه. فاستعمال "ذاك" تعبر عن عدم الرضى والغضب تجاه سلوك الطفل[2].

د– الإشاريات الخطابية (النصية) discourse deixis

لقد أسقط بعض الباحثين هذا النوع من الإشاريات لالتباس إحالتها إلى سابق Anaphora أو لاحق Cataphora والفرق بينها وبين باقي الإشاريات أنها تخلق المرجع الذي تحيل عليه. لكن الإحالة إلى سابق anaphora تخص استعمال الضمائر لتحيل على المرجع السابق نفسه[3].

وهناك إشاريات تعد من خواص الخطاب كعبارات ترجيح رأي على رأي آخر أو الوصول إلى نتيجة نهائية، أو العبارات التي تستعمل للاستدراك أو العزوف عن كلام سابق نحو ومهما يكن من أمر، ولكن، وبل، وفضلا عن... وقد يستعير النص إشاريات زمانية أو مكانية فتستخدم إشاريات للخطاب، فيمكن أن يقال هذا النص أو تلك القصة[4].

---

[1]– محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 21-22-23.

[2] – Virginia Locastro, An Itroduction to Pragmatics, p.66.

[3] – Levinson, Pragmatics, p. 85.

[4]– محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 24.

هـــ- الإشاريات الاجتماعية: Social deixis

وهي ألفاظ وعبارات تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة مودة وصداقة. فالعلاقة الرسمية تسودها عادة صيغ التبجيل والتفخيم honorifics عند مخاطبة منهم أرفع مقاما من المتكلم كاستخدام أنتم، وسيادتكم، وفخامتكم، والسيد الرئيس...أما الاستعمال غير الرسمي فهو خال من هذه القيود، وعادة ما يستعمل الاسم مجردا من الألقاب. وقد تدل بعض الإشاريات على الطبقة الاجتماعية والمكانة الرفيعة[1].

والإشاريات الاجتماعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالإشاريات الشخصية. وبعض الدارسين مارمريدو (Marmaridon) ذهب إلى أن الإشاريات الشخصية لا يمكن دراستها مستقلة عن الإشاريات الاجتماعية[2].

2- الافتراض المسبق:

الافتراض المسبق من الموضوعات التداولية. وقد كان فريجه frege أول من أدخل الدراسة الفلسفية للافتراضات في العصر الحديث. ومنذ إدخاله إلى ميدان الدراسة جذب الاهتمام من لدن الفلاسفة واللغويين. ففي مجال فلسفة اللغة يعزى إلى النقاشات حول طبيعة المرجع reference والتعابير refering expressions (فريجه 1892، وراسل Russell 1905، وستراوسن Strawson 1950)[3]

وفي المجال اللساني يُعزى إلى النقاشات حول التفاعل بين علم الدلالة والتداولية.

ويُعرّف الافتراض المسبق على أنّه استدلال inference أو قضية حقيقتها تؤخذ كمسلمة عند النطق بالجملة وتعمل كشرط مسبق من أجل الاستعمال الجيد لهذه الجملة. وهو ذو طبيعة لسانية ويدخل في المواضيع التي يَدرسها علم الدلالة. والمسوغ لدراسته التداولية هو تلك المعلومات التي يحتويها الكلام والتي ترتبط بشروط النجاح التي يجب أن تتوفر لكي يكون فعل التواصل ناجحا. فهو إذا مقيد باستدلالات تداولية pragmatic inferences تحملها تعبيرات لغوية معينة وعناصر معجمية lexical items أو تراكيب لغوية[4]. ففي المثال: هل توقفت عن التدخين؟ ففعل

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 25-26.

[2] - Huany Yan, Pragmarics, p. 163.

[3] - Levinson, Pragmatics, p. 169-173.

[4] - Huang. Y. Pragmatics, p 65.

"توقف" يتضمن افتراضا مسبقا بأن المخاطب كان يدخن. والافتراض المسبق إذا يشكل جزءًا من الخلفية المعرفية التي يتقاسمها المتكلم والسامع لنجاح عملية التواصل. فإذا كانت هذه الخلفية غائبة بين المتحاورين سيكون من الصعب التحاور بينهما. فالافتراضات جزء مما يُبلغ وليست جزءً مما يقال:

"Prepositions are part of what is Communicated but not part of what is said[1]"

وعادة ما يُميز بين نوعين من الافتراض المسبق:

الافتراض المنطقي أو الدلالي والافتراض التداولي فالأول مشروط بالصدق بين قضيتين، فإذا كانت الأولى صادقة كان من اللازم أن تكون الثانية صادقة. فإذا كان القول صادقا في هذا المثال: المرأة التي تزوجها زيد أرملة لزم أن يكون القول: زيد تزوج أرملة صادقا.

أما الافتراض التداولي المسبق فلا دخل له بالصدق والكذب، فالقضية الأساسية يمكن أن تنفى دون التأثير في الافتراض السابق. فإذا قال قائل بيتي جميل، ثم قال بيتي ليس جميلا. فعلى الرغم من التناقض بين القولين، فإن الافتراض المسبق بأن له بيتا لا يزال قائما في الحالين[2].

فالافتراضات المسبقة إذا تشكل خلفية التبليغ الضرورية لنجاح العملية التواصلية وهي محتواة في القول إثباتا أو نفيا.

3- التلفظ: Enonciation

إن تمييز دوسوسير بين اللغة والكلام قوبل بالرفض من لدن بعض الباحثين. فقد ذهب أندري مارتيني إلا أن "هذا التمييز بين اللغة والكلام... قد يؤدي إلى الاعتقاد أن نظام اللغة ونظام الكلام مستقلان عن بعضهما البعض... والحال أنه ينبغي أن نقتنع ونسلم أن الكلام هو الذي يجسد نظام اللغة ولا يمكن التوصل إلى معرفتها دون معالجة الكلام"[3].

---

1 - Locastro. V, An Introduction to Pragmatics, p. 80.

2- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة، ص 28-29.

3 - Martinet André, Elément de Linguistique Générale, Armand Colin, 4 ème édition, 1991.p.25.

ومع التصور الجديد للظاهرة اللغوية في التداولية ولسانيات الخطاب لم يعد الكلام مهملاً وثانوياً ولكن أساسًا ومبدءً لتحليل الخطاب والذي هو عبارة عن "مجموعة من الملافيظ"[1]. والملفوظ عند ديكرو O. Decrot هو "الجملة زيد إليها المقام أو هو الجملة في مقام الاستعمال"[2]. وإذا كانت الجملة من اهتمامات اللسانيين؛ فإن الملفوظ من اهتمامات التداوليين. والملفوظ enoncé هو نتاج عملية أو فعل التلفظ، وعملية التلفظ تعني الوقوف عند عناصر مثل الإشاريات (المبهمات) والمتلفظ (المتكلم) الذي يدخل كطرف في العملية التلفظية، والمستمع الذي يصبح متكلما بفضل الخاصية التناظرية للخطاب، إضافة إلى الزمان والمكان استنادا إلى بعض الآليات المنظمة للخطاب من افتراض مسبق، وأقوال مضمرة. وعليه "فالتلفظ نظرية تتناول بالدراسة بعض العناصر اللغوية التي لا تعرف دلالتها المرجعية إلا من خلال السياق، وتمثل آلية وعملية تحول اللغة إلى الخطاب تتحقق بتوافر ضمائر الشخص، والزمان، والمكان (هنا والآن) عناصر لا تحيل إلى شيء في العالم، ولا على أحوال موضوعية في الزمان والمكان، ولكن تحيل إلى إنية الخطاب الذي ترد فيه"[3]. وللمتكلم مكانة هامة في عملية التلفظ، وهو بحاجة إلى مستمع يتحول بدوره إلا متكلم بفعل خاصية التناظر. والمتكلم والسامع يعدان جزءين من العملية التلفظية وهما ما يشكل قطبي التواصل.

ولهذا عُدّ التلفظ أساس التداولية لأنها تنطلق منه، أي من جريان الكلام على الألسن في سياق معين بهدف إيصال رسالة إلى المخاطب أو التأثير عليه ضمن عنصر التفاعلية l'interaction[4]

غير أن منقونو D. Maignueneau يعتبرها تيارا موازيا للتداولية، ويميز بين نشأتها ونشأة التداولية فيقول: "تهتم النظريات الملفوظية التي هي أساسا عمل اللسانيين الأروبيين، بشكل خاص، بطرق الخطابات المؤداة وكيفيات توصيلها (...) بينما التداولية، فقد تطورت أساسا في المجال الأنجلوسكسوني حول إشكالية أفعال الكلام"[5]

[1]- الناجح عز الدين، مقاربة تداولية لحكمة عطائية، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، ع3: ماي 2008، ص 27.

[2]- المرجع نفسه، ص 26.

[3]- ذهبية حمو الحاج، اللسانيات التلفظ ....، ص 87.

[4]- المرجع نفسه، ص 118-119.

[5]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 103.

وتقوم فكرة الملفوظية على جهود بنفست في شرح ثنائية اللغة والكلام. فقد بيّن أنّ ثمة فرقا عميقا بين اللغة بوصفها نظاما من الأدلة،، واللغة بوصفها ممارسة يضطلع بها الفرد، وذلك مع نهاية الخمسينات، وشهدت تطورا أكبر في السبعينات مع أعمال أتباع بنفست مما جعل حقلها في اللسانيات الحديثة مستقلاً[1].

فاللغة لا يمكن أن تتحقق فعليا إلا بواسطة التلفظ. "فقبل التلفظ لا تكون اللغة سوى عبارة عن إمكانية لغوية. وبعد التلفظ تصبح بمثابة الخطاب الذي يصدر عن متكلم في شكل صورة ناطقة تستهدف مستمعا يبعث تلفظًا آخر ارتجاعيا"[2].

[1]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 102-103.

[2]- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عالم الفكر، العدد 1، المجلد 30، يوليو -سبتمبر، 2001، ص 104.

4- الحجاج: L'argumentation

إن الحجاج وإن عدّ ضمن الحقل التداولي، فإن منطلقه المنطق والبلاغة الفلسفية، وتتجاذبه حقول معرفية متباينة: البلاغة، والخطابة، واللسانيات... "ويُعرف الحجاج عادة بكونه جهدا إقناعيا (إفحاميا). ويعتبر البعد الحجاجي بعدا جوهريا في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه"[1].

ومن أهم منظري الحجاج شارل بيرلمان **Ch. Pereleman** الذي تناوله من منظور "البلاغة البرهانية"، وجعل البلاغة مطابقة لنظرية الحجاج. ويعرفه انطلاقا من موضوعه الذي هو "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات. أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[2].

كما يقسم وظائف الحجاج إلى ثلاث: الإقناع الفكري الخالص، والإعداد لقبول أطروحة ما، والدفع إلى الفعل[3]. ويبين غاية الحجاج قائلا: "إن غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن بما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يعينهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفق على الأقل لجعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"[4].

ويقسم الحجاج بحسب جمهور المتلقين إلى الحجاج الإقناعي L'argumentation persuasive والحجاج الإقتناعي L'argumentation convaincante ، ويقوم الأول بمخاطبة الخيال والعاطفة؛ أما الثاني- الإقتناع- الذي هو هدف الحجاج يقوم على الحرية والعقلنة[5]. كما اهتم بيرلمان بمعايير انسجام الخطاب مع المخاطبين "إذ لكي يستمد الخطاب نفاذه المطلوب عليه أن يضع في الحسبان مستوى العقول التي يهدف إلى إقناعها، وكذلك عليه الوعي بنوعيتها"[6].

---

[1]- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص 99.

[2]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت –لبنان، ط1، 2008، ص 107.

[3]- المرجع نفسه، 107.

[4]- المرجع نفسه، ص 107، 108.

[5]- المرجع نفسه، ص 108.

[6]- المرجع نفسه، ص 107.

ومن جهته وضع أزفالد ديكرو نظرية لسانية حجاجية بداية السبعينات تهتم بإمكانات اللغة الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وتؤكد على الأبعاد التداولية الكامنة في اللغة التواصلية اليومية، وكذا اللغة الإبداعية "فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة حجاجية ما"[1]. فاللغة، إذا، ذات طبيعة حجاجية متأصلة، واستعمال الحُجج ليس عنصرا ينضاف إلى اللغة بل يسري فيها سريانا طبيعيا فــ "تسلسل الملفوظات في الخطاب ذو أصل داخلي إنّه يتأسس على طبيعة الملفوظ ذاته، أو على معناه [...] وليس على حالة الأشياء في الكون التي يحيل عليها؛ والحال أن الموضوع المركزي في النظرية الحجاجية هو أن معنى الملفوظ يحتوي إحالة على استمراره المتوقع [...] فإذا كان الملفوظ حجاجيا، فليس فقط لأنه يقول شيئا ما عن العالم، ولكن لأننا نعتبره في حدّ ذاته"[2].

ويفرق ديكرو بين الحجاج (الخطاب)، والاستدلال (المنطق) قائلا: "إن البرهنة والحجاج بالنسبة إلي يتصلان بنظامين مختلفين تماما نظام ما نسميه عادة "المنطق" ونظام ما أسميه "الخطاب"[3] فالحجاج كامن في اللغة بينما الاستدلال يعتمد على وجهة نظر المتكلم. "فالحجاج، إذا، متصل بالعلاقات بين الأقوال في النصوص والخطابات في حين أن الاستدلال متصل بين القضايا التي نحكم عليها إمّا بالصدق وإمّا بالكذب. ومن هنا فإن استقرار الحجاج في البنية اللغوية يجعله من بين العمليات التداولية الدلالية، وكذا التأويلية"[4].

ويميز ديكرو بين نوعين من المكونات اللغوية التي تحقق الوظيفة الحجاجية. النوع الأول يتعلق بالعناصر النحوية مثل أدوات الاستئناف (كالواو، والفاء..) ويسميها الروابط الحجاجية، والنوع الثاني يتعلق بالعناصر التي تدخل على الإسناد مثل الحصر، والنفي، ...أو المكونات المعجمية التي تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل تقريبا، وعلى الأقل، ... ويسميها عوامل حجاجية[5].

[1]- محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 192.

[2]- الحباشة صابر، تلوين الخطاب –فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، الدار المتوسطية للنشر، تونس،ط1، 2007م 1428هـ، ص 205.

[3]- المرجع نفسه، ص 204.

[4]- المرجع نفسه، ص 194.

[5]- محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 195.

فالحجاج إذا ظاهرة متجسدة في الخطاب سواء كان ضمنيا أو صريحا. وبما أن دراسة الحجاج تكون في الخطاب اللفظي فإنه "يخضع ظاهريا وباطنيا لقواعد شروط القول والتلقي. بعبارة أخرى، إن كل خطاب حجاجي تبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية، وبالتالي قيمة ومكانة أفعال الذوات المتخاطبة"[1]. ولهذه الأسباب ينتمي الحجاج أو الخطاب الحجاجي إلى مجال التداولية. يقول طه عبد الرحمن: "وحد الحجاج أنّه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة علمية، إنشاء موجها بقدر الحاجة. وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي"[2] ويقر ديكرو بأن أبحاثه في الحجاج تنتمي إلى مجال التداولية اللسانية[3].

II- التداولية والتخصصات الأخرى

التداولية واللسانيات البنيوية:

إذا كانت اللسانيات البنيوية تدرس اللغة بوصفها نسقا مجردا وبنية مغلقة، وإذا كانت قد حصرت موضوع الدراسة في اللغة ونظامها الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي دون الكلام؛ فإن التداولية تدرس الكلام في سياقاته المختلفة مركزة على مقاصد المتكلمين، ومبادئ المحادثة، والضمني في الحديث...، وإذا كان الكلام مظهرا من مظاهر تحقق اللغة وليس معزولا عنها إلا افتراضاً، فإن التداولية تعد مكملة للسانيات البنيوية. يقول جيفري ليتش في كتابه "مبادئ اللسانيات" بأنه سيدرس استعمال اللغة بمعزل عن بنيتها لكن هذه الدراسة ستكون مكملة Complementary للغة نفسها كنظام صوري as a formal system [4]. ويطلق عليها ليفنسون "اللسانيات التداولية" معتبرًا إياها فرعا من اللسانيات[5]. فكلاهما يهتم بدراسة اللغة: إما نظامها وإما استعمالها.

---

[1]- أعراب حبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص 101.

[2]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص 65.

[3]- صولة عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 35.

[4] - Leech. G, Principles of Pragmatics, P-X.

[5] - Levinson, Pragmatics, p1.

وتجدر الإشارة هنا إلى ما حذر منه عبد الرحمن حاج صالح من الخلط بين البنية والاستعمال قائلا: "فما هو راجع إلى اللفظ له قوانينه الخاصة به غير قوانين استعمال اللفظ. فدراسة هذا الجانب الاستعمالي للغة هو الذي يسميه الأوربيون الآن براغماتيك pragmatique. وأصبح الآن الكثير من اللسانيين الغربيين ومقلديهم من العرب لا يعرفون إلا البراغماتيك بل حصروا كل اللسانيات في هذا الجانب الاستعمالي مقتنعين في ذلك بأن بنية اللغة تفسرها المعاني المقصودة في الخطاب، وهذا خلط فظيع بين ما هو لفظ له بنية قائمة بذاهّا –كما قلنا– وبين اختيار هذا اللفظ في حال خطابية معينة"[1]

فالدراسة التداولية للغة لا تُغني عن الدراسة الشكلية فكل منها يكمل الآخر.

التداولية وعلم الدلالة:

يعود الفضل إلى شارل موريس في التمييز بين علم الدلالة والتداولية. فالأول يدرس العلاقات القائمة بين المعاني والأشياء التي تحيل عليها في إطار سياق اللغة، بينما تدرس التداولية علاقة العلامات بمؤوليها. فكلا الحقلين مهتم بدراسة المعنى. ولكنهما يفترقان في طريقة الدراسة.

فعلم الدلالة يعالج المعنى ويحدده في إطار الشبكة السياقية اللفظية مركزا على المعنى الحرفي والمعجمي بعيدا عن مقاصد المتكلمين. بينما تهتم التداولية بالمعنى وتحدده في سياق الاستعمال ومقامات التخاطب. إذا "يوجد فرق بين ما قيل dit (الدلالة اللغوية التواضعية للجملة) وما تم نقله transmis أو ما تم تبليغه Communiqué (تأويل القول) [...] فالدلالة هي ما قيل، والاستلزام الخطابي [المعنى التداولي] هو ما تم تبليغه، ويختلف ما تم تبليغه عما قيل"[2].

ويُرجع ليتش الاختلاف بينهما إلى الفعل "يعني" "mean" فالسؤالان التاليان يختلفان عن بعضهما البعض وإن بديا متفقين: "ماذا تعني س؟" "What does x mean?" و"ماذا عنيت بـــ س؟" "What did you mean by x ?" فالمعنى في علم الدلالة يحدد كخاصية للعبارة في لغة ما مجردا من مقاصد المتكلم أو السامع "السؤال 1" والمعنى في التداولية يحدد بصلته بالمتكلم أو مستعمل اللغة "السؤال 2".

---

[1]– حاج صالح عبد الرحمن، النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 10، رجب 1471هـــ، ديسمبر 1996، ص 92 -93.

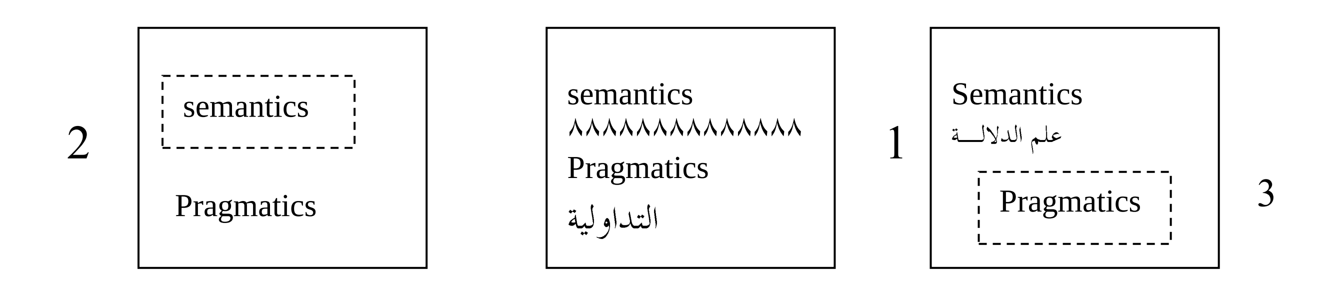
[2]– زرال صلاح الدين، الخطاب الأدبي من منظور لساني تداولي، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، العدد السادس، السداسي الأول، 2008، ص 52.

ويلخص ليتش العلاقة بينهما في ثلاث اتجاهات:

1- الاتجاه الدلالي: semanticism بحيث يختزل التداولية في الدلالة ويجعلها جزء منها.

2- الاتجاه التكاملي: Complementarism حيث يتكامل المستويان الدلالي والتداولي.

3- الاتجاه التداولي: pragmaticism وهو نقيض الاتجاه الأول حيث يجعل الدلالة جزء من التداولية[1].



وخلاصة القول فإن علم الدلالة يدرس معنى الجمل والكلمات كوحدات مجردة بعيدا عن سياقاتها، بينما تختص التداولية بدراسة معنى المنطوقات في سياقاتها الفعلية.

التداولية ولسانيات النص/ الخطاب:

إذا كانت التداولية تدرس اللغة في الاستعمال، فإن مهمة لسانيات النص والخطاب أيضا الكشف عن الدلالة وربطها بالسياق المقامي الذي أنتجت فيه انطلاقا من التفاعل الاجتماعي وعلاقات النص بأبعاده السوسيولسانية والثقافية والمعرفية وفي لسانيات النص والخطاب يكون التركيز على الوحدة والانسجام والاتساق. وهذه عناصر ضرورية لإنتاج الدلالة والمعنى بمختلف أبعادهما. والتركيز على علاقة النص/ الخطاب بالسياق يؤكد البعد الدلالي لكن يضعه في إطار التفاعل الاجتماعي. فلسانيات النص/الخطاب تهتم بانسجام النص وكيف تتصل الكلمات بعضها ببعض في النص اعتمادا على الإحالات السابقة واللاحقة. أما التداولية فتركز على الملاءمة، relevance ومبادئ المحادثة وبخاصة مبدإ التعاون ومبدإ التأدب وكيف يكون الكلام ملائما وواضحا وصادقا، وكيف يكون الإنجاز ناجحا.

كما تتداخل التداولية مع اللسانيات الاجتماعية فكل منهما يدرس أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث وموضوعه، ومرتبة كل من المتكلم والسامع. وأثر السياق غير اللغوي في

1 -Leech. G, principles of pragmatics, p6.

اختيار آليات لغوية بعينها. وتشارك اللسانيات النفسية في الاهتمام بقدرات المشاركين في الحوار والتي تؤثر في أدائهم اللغوي مثل الانتباه، والذاكرة، والشخصية.

وعلى الرغم من التداخل بين التداولية والعلوم التي لها علاقة باللغة ودراستها، إلا أنّها لا تنضوي تحت أي من هذه العلوم. فهي منهج قائم بذاته.

الفصل الثاني: أفعال الكلام في الدرس التداولي

المبحث الأول: أفعال الكلام في الدراسات الغربية

المبحث الثاني: التأصيل لأفعال الكلام في الدرس العربي القديم

المبحث الأول: أفعال الكلام في الدراسات الغربية

نظرية أفعال الكلام التي تنتظم في سلك لغويات المدلول نشأت وتطورت في ظل فلسفة اللغة على يد مجموعة من الفلاسفة أوستين، وسورل، وجرايس. وتأتي أهمية هذه النظرية في كونها غيرت النظرة التقليدية للكلام ونظرت إلى اللغة في بعدها الديناميكي باعتبارها قوة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه؛ وهي بهذا ألغت الحدود القائمة بين الكلام والفعل.

والفعل الكلامي هو "كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري"[1] فحين نتكلم ننجز شيئا ما أو عملا ما أوسع من مجرد التكلم وإن "استعمال اللغة ليس هو إنجاز فعل مخصوص فقط، وإنما هو جزء كامل من التفاعل الاجتماعي"[2]. فالأفعال الكلامية لا تتعامل مع اللغة على أنها أنساق صورية أو شكلية بل أنساق لا يمكن تحديد خصائصها إلا بربطها بظروف الإنتاج اللغوي، أي أن اللغة بنية وظيفية، وأن وظيفتها الأساسية هي التواصل. فأفعال الكلام تحقق أغراضا إنجازية تواصلية من لدن المتكلمين، وغايات تأثيرية تخص ردود أفعال المتلقين. وقد عدّ الفعل الكلامي الوحدة اللغوية الصغرى للتبليغ وليست العلامة أو الجملة.

ومرّت نظرية الأفعال الكلامية بعدة مراحل:

- مرحلة الفعل الكلامي المباشر مع أعمال كل من أوستين وسورل.
- مرحلة الفعل الكلامي غير المباشر مع أعمال بول جرايس وأعمال سورل المتأخرة.
- مرحلة الفرضية الإنجازية أين انتقل الفعل الكلامي إلى النحو التوليدي التحويلي بحيث أدخل المكون الدلالي في البنية العميقة وأصبح يمثل له تمثيلا دلاليا على يد مجموعة من علماء الدلالة التوليدية ومن بينهم صادوك J . M. Sadok. وقد عدت الأفعال الكلامية مركز اهتمام التداولية ولبها.

---

[1]- مسعود صحراوي، التداولية عند ...، ص 54.

[2]- فان دايك، النص والسياق، ص 227.

I- مرحلة الفعل الكلامي المباشر:

1- أفعال الكلام عند أوستين:

في كتابه "كيف ننجز الأشياء بالكلمات" "How To Do Things With Words" يفرق أوستين بين موقفين اثنين من اللغة: موقف الفلاسفة وموقف النحويين. فموقف الفلاسفة يرى بأن الجمل التي تستحق الوصف والدراسة هي الجمل الوصفية الخاضعة لمعيار الصدق والكذب. وموقف النحويين الذي يقسم الجمل إلى أنماط عدة:

الجمل الإثباتية statements، والجمل الاستفهامية questions، والجمل التعجبية exclamations، والجمل التي تفيد الطلب والتمني Command or wishes [1].

وإن بدا لأوستين أن الوصف النحوي أكفى من الوصف الفلسفي لأنه لا يقتصر على نمط واحد من الجمل، فإنه دحض المنظورين معا. واعتبر أن الجمل الوصفية عند الفلاسفة ليست دائما وصفية وسمّاها شبه وصفية pseudo-statements، وبدلا من تسميتها جملا وصفية سماها جملا خبرية. "فليست كل الجمل القابلة للصدق والكذب جملا وصفية descriptions ولهذا اخترت استعمال لفظ خبرية Constative "[2]

ولاحظ أوستين أن هناك عبارات لا تصف، ولا تخبر، ولا تثبث، فهي لا تدل على صدق ولا كذب لكن مجرد النطق بها هو إنجاز للفعل أو جزء منه. ويورد أمثلة لتوضيح كلامه:

- أقبل أن تكون هذه المرأة زوجتي الشرعية (أثناء مراسيم حفل الزواج).
- أسمي هذه الباخرة الملكة إليزابيث.
- أعطي وأورث هذه الساعة لأخي (وصية).

في هذه الجمل يظهر جليا أن التلفظ بها في المناسبات المخصوصة والظروف الملائمة ليست وصفا لفعل وإنما إنجاز له. ويتساءل أوستين عن كيفية تسمية هذه الجمل ويقترح أن يسميها جملا إنجازية (أدائية/إنشائية) performative Sentences أو ملفوظات إنجازية [3] performative utterances واشتق الاسم من الفعل perform بمعنى "أنجز، أنشأ، أدى".وقد لاحظ أن هذه الجمل إما أن تكون تعاقدية Contractual مثل أراهن، أو تصريحية Declaratory : أعلن

[1] - Austin, How to do things with words, p.1.

[2] - Ibid, p.3.

[3] - Ibid, p.6.

الحرب، أو إجرائية Operative لدى المحامين. ولكن لا يصلح أي منها أن يعمم على جميع المنطوقات الإنجازية. فاختار إنجازي لأنه يشمل كل هذه المنطوقات[1]. وبهذا وضع أول لبنة في بناء نظريته التي مرت بثلاث مراحل:

1- المرحلة الأولى:

في هذه المرحلة رسخ ثنائية الوصف والإنجاز. فالأولى تصف حالة أو حدثا دون فعل ويسري عليها معيار الصدق والكذب True/ false والثانية تنجز أقوالا وأفعالا في الوقت ذاته وتخضع لمعيار نجاح وفشل happy/unhappy. ووضع مجموعة من المعايير لتمييز الفعل الإنجازي عن الفعل الوصفي. ومن هذه المعايير ما هو مقامي، وما هو مقالي.

أ- الشروط المقامية:

لكي يكون الفعل الإنجازي فعلا إنجازيا ناجحا يجب على المتكلم أن يراعي شروط أدائه، وأن يكون أهلا لفعله. وأطلق أوستين على الشروط التي تتحقق بها الأفعال الإنجازية شروط الملاءمة felicity Conditions، وحصرها في ثلاثة أنواع كل نوع منها يحتوي على شرطين، فهي إذا ستة شروط كالآتي:

أ-1- يجب أن يكون هناك إجراء عرفي[2]Conventional procedure مقبول وله أثر عرفي معين. ويتضمن الإجراء نطق كلمات محددة يتلفظ بها أشخاص معينون في ظروف معينة.

أ-2- الأشخاص المعنيون والظروف المعطاة في حالة معينة يجب أن تكون ملائمة لإنجاز الإجراء المطلوب.

ب-1- الإجراء يجب أن ينفذ من لدن كل المشاركين بطريقة صحيحة.

ب-2- وكاملة Completely (بكيفية شمولية)

ج-1- يجب أن يكون لدى الأشخاص المشاركين أفكارًا ومشاعرًا أو نوايا معينة، وعلى الشخص المشارك في الإجراء أن يكون له تلك الأفكار والمشاعر التي يتطلبها الإجراء.

ج-2- أن يلتزم المشاركون واقعيا بما ينتج عن السلوك من عواقب ونتائج[3].

---

[1] - Austin, How to do things with words, p.7.

[2]- Ibid, p.14.

[3] - Ibid, p.15.

فالشروط الأربعة الأولى (أ-ب) لازمة لأداء الفعل وحين يُخل بشرط من هذه الشروط لا يُعد الفعل واقعا أو منجزًا. أما الإخلال بالشرطين الأخيرين أو أحدهما، فإن الفعل يُؤدى ويُنجز لكنه يُنجز إنجازًا سيئًا.

وأطلق على الطرق التي تجعل إنجاز المنطوق غير ملائم اسم المخالفات the doctrine of infilicities. وأطلق على المخالفات التي تحدث للقواعد الأربع الأولى اسم إخفاقات misfires، وعلى ما يخالف القاعدتين الأخيرتين مساوئ الاستعمال Abuses. وسمى الإخفاقات المندرجة في (1-2) مخالفات الإجراء misinvocations، أما الإخفاقات المندرجة في ب (1-2) فسماها مخالفات التنفيذ Misexecutions وهذا ما ستبينه الأمثلة التي أوردها أوستين لتوضيح أفكاره[1].

خرق القاعدة الأولى: (أ-1)

كأن يقول الزوج المسيحي لزوجته المسيحية وفي بلد مسيحي: "طلقتك" فهذا فعل إنجازي فاشل. فالتطليق لم يتم بطريقة ناجحة لأن الطلاق غير معترف به من لدن المؤسسة الثقافية التي ينتمي إليها الزوجان المشاركان في العملية التواصلية.

خرق القاعدة الثانية: (أ-2)

كأن يأمر أحدهم آخر في جزيرة نائية قائلا : اذهب واحتطب. فيرد المأمور: أنت لست مخولا لإعطاء الأوامر، فالإجراء كان مناسبا ومقبولا بيد أن الأشخاص الذين قاموا به غير مؤهلين لذلك الإجراء.

خرق القاعدة الثالثة: (**ب**-1)

إذا قال أحدهم بعتك منزلي وله منزلان، فإن البيع باطل. أو قولك "أراهنك أن السباق لن يجر اليوم وهناك عدة سباقات مبرمجة. فإن الرهان باطل. وتكمن الأخطاء هنا في استعمال صيغ خاطئة أو عبارات غامضة أو ملبسة.

خرق القاعدة الرابعة: (**ب**-2)

كأن يقول رجل "أقبل الزواج من هذه المرأة. وترد المرأة: لا أقبل. فالفعل هنا عديم الأثر، لأن التنفيذ لم يكن كاملا لوجود مانع طارئ وهو عدم قبول المرأة الزواج[2].

---

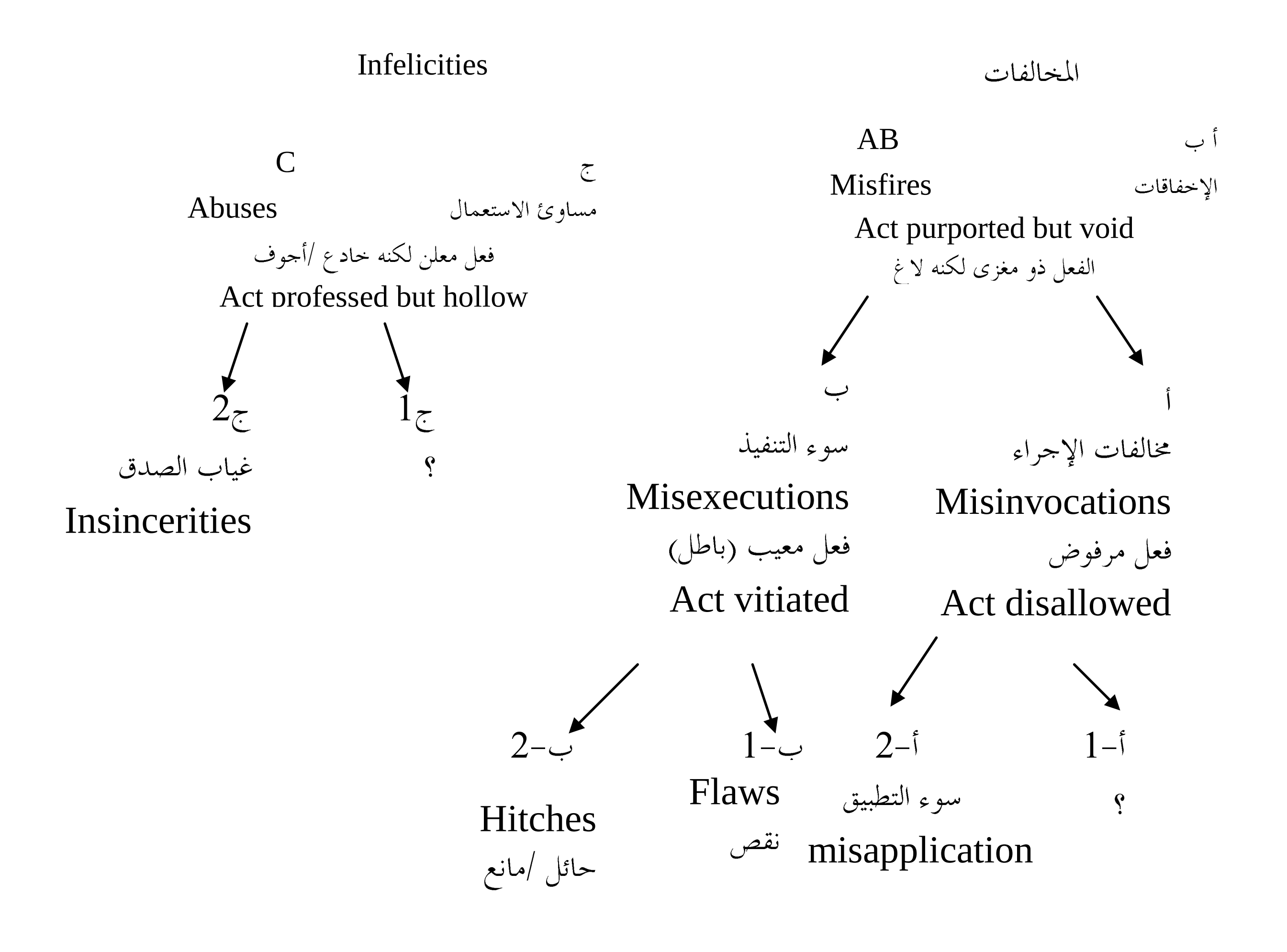
[1] - Austin, How to do things with words, p.16.17.18.

[2] - Ibid, p 33-38.

خرق القاعدة الخامسة والسادسة: (ج1-2)

ويتمثل الخرق في غياب الإحساس كأن يقول أحدهم مهنئا: "أهنئك" يقولها المتكلم وهو لا يشعر بأي سعادة أو مشاركة وجدانية مع المخاطب. فالفعل وقع لكنه معيب لا أثر له لغياب الإحساس المشترك بالحدث وقد يكون معيبا لغياب الأفكار والنوايا الصادقة.

مذهب المخالفات the doctrine of infelicities



[1]

وضع أوستين علامة الاستفهام (؟) لأنه عجز عن إيجاد مصطلحات ملائمة لهذه المخالفات.

[1] - Austin, How to do things…, p18.

ب– المعايير المقالية: (النحوية والمعجمية)

بعدما وضع أوستين المعايير والشروط السالفة الذكر تبين له أن التمييز بين المنطوقات الإنجازية والمنطوقات الخبرية غير مرض. فالمنطوقات الخبرية قد تنقذ من حيث أنها ناجحة أو فاشلة (ملائمة أو غير ملائمة)، كما أن المنطوقات الإنجازية قد تنقد من حيث أنها صادقة أو كاذبة. فالمعايير المقامية لا تسعف في الفصل بين الوصف والإنجاز. ومن ثمّ انتقل إلى محاولة أخرى للتمييز بين المنطوقين وتساءل: هل هناك طريقة دقيقة نستطيع بها أن نميز بصورة واضحة الجمل الإنجازية عن الجمل الخبرية؟[1] وهنا وضع معيارا نحويا لتحديد طبيعة المنطوق الإنجازي. فما هو هذا المعيار؟

– أولا اشترط أن تكون الجملة مشتملة على فعل من النوع الإنجازي مثل: وعد، إعتذر...

– ثانيا يجب أن يكون الفعل الإنجازي في:

1– صيغة المتكلم المفرد.

2– زمن المضارع.

3– صيغة الإخبار (التدليل).

4– حالة المبني للمعلوم[2].

وبعد تأكيده على هذه المعايير، يلاحظ أوستين أن بعض المنطوقات الإنجازية ترد في صيغ أخرى وتؤدي ما يؤديه المنطوق الإنجازي ذو الصيغة المطردة: أعدك، آمرك،..فالمنطوق الآتي: "مذنب" "Guilty" يساوي "أحكم عليك بأنك مذنب" فالمنطوق الخبري قد يؤدي، إذا، وفي الظروف الملائمة مؤدى الصيغة الإنجازية المطردة دون استعمال المعايير النحوية السالفة الذكر. فالكلمات (المفردات) vocabulary قد تؤدي أفعالا إنجازية[3]. فالمنطوق "الثور في الحديقة" الخالي من كل المعايير النحوية التي وضعها أوستين قد يؤدي في ظروف ملائمة مؤدى الصيغة المطردة "أحذرك من الثور" فالفعل الإنجازي قد يؤدى أحيانا بصيغة المبني لغير الفاعل أو بصيغة اسم المفعول، أو بجملة اسمية في ظروف وسياقات معينة. وهنا ينتقل أوستين إلى مرحلة أخرى حيث يميز بين نوعين من الأفعال الإنجازية: الصريحة explicit والابتدائية Primary.

[1] - Austin, How to do things, p 55.
[2] - Ibid, p56 .
[3] - Ibid, p 58-59.

المرحلة الثانية:

يفرق أوستين بين الجمل الإنجازية الابتدائية (الأولية) والجمل الإنجازية الصريحة التي تحمل في سطحها قرينة التكلم، والخطاب، وقرينة الفعل اللغوي المنجز مثل: أراهن، أوصي، أحذر... أما الجمل الإنجازية الابتدائية فهي عارية من مثل هذه المؤشرات والقرائن على مستوى ظاهر اللفظ. ويعطي المثالين الآتيين لتوضيح الصورة.

1- سأكون هناك (جملة إنجازية ابتدائية).

2- أعد بأن أكون هناك (جملة إنجازية صريحة)[1].

ويعتقد أوستين أن الثانية تطورت من الأولى:

"the former would be naturally evolved from the latter as language and society develop[2]"

فالمنطوق سأكون هناك قد يكون وعدا، أو مجرد تعبير عن نية، أو قد يكون تنبؤا بسلوكي المقبل؛ لكن بإضافة "أعد" فإنه يتمحض للوعد. ففي حالة الإنجاز الابتدائي لا يتبين للمخاطب بوضوح إن كان المتكلم يعده أم لا. غير أنّ أوستين يضيف وسائل مساعدة للحكم على إنجازية الجملة ورفع اللبس عن الكلام الإنجازي غير الصريح باستحضار الموقف التواصلي والسياق الذي قيلت فيه لأنه وحده يكشف عن مقاصد المتكلم عكس الكلام الإنجازي الصريح الذي يعلن عن نفسه في كل سياق يقال فيه. ومن هذه الوسائل:

- الصيغة: mood

فصيغة الأمر في المنطوق الآتي: "اغلقها" "Shut it" قد تؤدي أفعالاً إنجازية مختلفة حسب السياقات التي ترد فيها:

- "إغلقها، إفعل" ← أنا آمرك بإغلاقها (الأمر)
- "إغلقها، يجب عليك" ← أنا أنصحك بإغلاقها (النصح)
- "إغلقها، إن أحببت" ← أنا أسمح لك بإغلاقها (الإباحة)
- "حسنا إذا إغلقها" ← أنا أوافق على إغلاقها (الموافقة)

---

[1] - Austin, How to do things. p 69.

[2] - Ibid. p 83.

- "إغلقها، إذا جرؤت" ← أتحداك أن تغلقها (التهديد)[1].

الملامح الصوتية: Tone of voice

تستعمل الملامح الصوتية من نبر، وتنغيم، ومطل للحركات في الكلام المنطوق للتعبير عن بعض المعاني أو تعزيزها كالأمر، أو الاستفهام، أو النهي، أو التهديد، أو التحذير...

- "إنه سيهجم (الثور)" ! التحذير.

- "إنه سيهجم؟" الاستفهام.

- "إنه سيهجم !؟" الاستنكار/الاحتجاج.

وينبه أوستين بأن هذه الملامح الصوتية يتعذر نقلها في الكلام المكتوب، ولا تفي علامات الترقيم لتأدية الغرض على أحسن وجه[2].

استخدام الظروف: Adverbs and adverbial phrases

تستعمل هذه الظروف لتقوية الجانب الإنجازي في الفعل. هذه الظروف والتي عادة ما تعبر عن المدى extent أو الدرجة degree مثل على الأرجح probably، بالتأكيد surely، حقا really مثل: "سأكون هناك على الأرجح: "سأفعل بالتأكيد"[3].

استعمال أدوات الربط: connecting particles

قد تستعمل بعض أدوات الربط لتقوية الملمح الإنجازي للمنطوق مثل "مازال" "still" لتقوية التأكيد، وهكذا therefore لتقوية الاستنتاج والنتيجة وبموجب كذا "hereby" والتي تستعمل بكثرة في المنطوقات القانونية للتعبير عن الإنجاز[4].

- **العناصر غير اللغوية المصاحبة للمنطوق**: Accompaniments

ومن هذه العناصر الحركات gestures كالغمز بالعين، وتحريك الأيدي، وهز الكتفين، وتقطيب الوجه، والإشارات... فهي تقوي المعنى وتوجهه وجهة خاصة وأهميتها لا تخفى وهي جلية ظاهرة[5].

---

[1] - Austin, How to do things. p 73.

[2]- Ibid. p 74.

[3] - Ibid. p 75.

[4] - Ibid, p75 .

[5] - Ibid, p76 .

- **ملابسات المنطوق:** The circumstances

إن سياق الموقف والملابسات المحيطة به يساعد على معرفة غرض المتكلم. فصيغة الأمر قد تكون أمرا، أو إباحة، أو طلبا أو إقتراحا، أو تحذيرا. فالمنطوق "اذهب وسوف ترى" لا يتحدد معناه إلا بالسياق الذي يقال فيه وبالظروف المحيطة به[1].

وبعد هذا العرض يصل أوستين إلى نتيجة مفادها أن هناك عبارات إنجازية خالصة، وهناك عبارات وصفية خالصة لكن العديد من العبارات يتردد بين الوصف والإنجاز ويقدم قائمة بعدد من الأمثلة من الأفعال التي يسميها السلوكيات **behabitives** والتي تتعلق بردود الأفعال والمواقف والأحاسيس[2]. ويوردها في ثلاثة أعمدة. العمود الأول يمثل الإنجازات الصريحة، والعمود الثالث يمثل العبارات الوصفية، أما العمود الثاني فيمثل الحالات المتأرجحة بينهما:

Descriptive	Half- descriptive	Explicit performatives
- أندم- أتوب- أتحسر	- متأسف	- أعتذر
- أنا مشمئز من	- أوبخك	- أنتقم
- أشعر بأنني متفق مع..	- أوافق على...	- ألوم
		- أوافق

فإذا قال أحدهم "أعتذر" فإن هذا المنطوق إنجازي لأنه يقوم بشعيرة الاعتذار، لكنه إذا قال "أنا آسف" فهذا المنطوق يتأرجح بين أمرين: الاعتذار أو وصف الحالة الشعورية للمتكلم. ومرة أخرى يقدم أوستين بعض الاقتراحات والاختبارات التي تعين على التمييز بين الأمرين:

إذا قال قائل "أرحب بك" تسأل هل قام حقا بفعل الدعوة؟

1- هل يمكن أن ينجز الفعل دون التلفظ بكلام مخصوص؟.
2- هل يمكن أن ينجز الفعل طوعا؟ وهل ينوي إنجازه؟
3- هل يمكن أن يكون ما يقوله المتكلم كذبا خالصا؟[3].

---

1 - Ibid, p 76-77.
2 - Austin, How to do things, p 83.
3 - Ibid, p 83-84.

وكعادته يختم أوستين قوله بأن هذه الاختبارات ليست ناجحة، ويعترف بفشله في إيجاد مقاييس نحوية تميز العبارات الإنجازية عن غيرها. وحتى بعض العبارات المتلفظ بها وإن كانت في ظاهرها صريحة فأوستين لا يعلم إن كانت متمحضة للإنجاز أم لا. فعبارة "أثبت أنّ" أو"أقرر أن" والتي تبدو أنها استوفت شروط الإنجاز وهي دون شك إثبات لحكم قد تكون صادقة أو كاذبة.

وبهذا أصبح أوستين مقتنعا أن التمييز بين المنطوقات الإنجازية والمنطوقات الخبرية ليس تمييزا صارما وقاطعا كما كان يعتقد. فلا المعايير المقامية ولا المعايير المقالية تسعف في الفصل بين الإنجاز والوصف. ومن ثم أعاد النظر في المسائل التي تطرق لها سابقا وهي: "أن قول شيء ما ربما هو إنجازه أو في قول شيء ما نفعل شيء ما"[1].

إذا لقد عدّ جميع الجمل اللغوية أقوالا وأفعالا في الوقت ذاته. وعمّم ما قيل في حق الجمل الإنجازية إلى الجمل اللغوية كلها. فالمنطوقات الإنجازية مثلها مثل المنطوقات الوصفية قد تكون صادقة أو كاذبة. فالمنطوقات الإنجازية الآتية:

- أقر بأنه لم يفعلها.
- أقترح بأنه لم يفعلها.
- أراهن بأنه لم يفعلها.

لا تختلف عن المنطوق الابتدائي "لم يفعلها" فكلاهما خاضع لمعيار الصدق والكذب[2].

كما أن العبارات الوصفية خاضعة لمعيار النجاح والفشل، وعرضة لجميع الإخفاقات التي تتعرض لها المنطوقات الإنجازية إذا لم تراع الشروط الضرورية.

"We find that statements are liable to every kind of infelicity to which performatives are liable[3]"

فعبارة "ملك فرنسا أصلع" لاغية ولا أثر لها Null and void مثل قول أحدهم: بعتك هذا المنزل لكنه ليس ملكي. فالبيع لاغ ولا أثر له[4].

وبهذا استبدل أوستين ثنائية قول/فعل بثنائية وصف/إنجاز. وأسفر هذا عن وضع نظرية في العلاقة بين القول والفعل، وهي نظرية الأفعال الكلامية. فكيف نظّر أوستين لهذه الأفعال؟

---

[1] Austin, How to do things, p91 .
[2] - Ibid, p 134-135.
[3] - Ibid, p 136.
[4] - Ibid, p137 .

المرحلة الثالثة: الأفعال الكلامية speech acts

في المرحلة الثالثة من تفكيره، انصب اهتمام أوستين على التنظير للأفعال الكلامية منطلقا من الطرق التي يكون فيها "قول شيء ما هو فعل شيء ما" To say something is to do something "أو في قول شيء ما نؤدي شيئا ما" Or in sayiny something we do something"وعن طريق قول شيء ما نؤدي شيئا ما" By saying something we do something[1].

تلك طرق ثلاثة لتأدية الفعل الكلامي: الأول منها هو الفعل التعبيري locutionary act ، والثاني هو الفعل الإنجازي (الغرضي) illocutionary act، والثالث هو الفعل التأثيري perlocutionary act.

فجميع الجمل اللغوية، إذا، تثوي في بنياتها العميقة أفعالا من قبيل الإنجاز وتتألف من مستويين: مقالي (فعل التعبير/القول) ومقامي (الفعل الإنجازي والتأثيري). وهذه الأفعال الثلاثة تجريدات من الفعل الكلامي الكلي.

1- الفعل التعبيري:

ويتضمن ثلاثة أفعال فرعية تنجز في الوقت نفسه

- الفعل الصوتي: The phonetic act: وهو عملية التلفظ بأصوات لغوية مع مراعاة النظام الصوتي للغة المتحدث بها. " The phonetic act is merely the uttering of certain voices"[2]

- الفعل التركيبي: The phatic act: ويراد به النطق ببعض العبارات والكلمات وعملية التأليف بينها مع مراعاة القوانين التركيبية (النحوية والصرفية) التي تخضع لها اللغة المتحدث بها [...]

"The phatic act is the uttering of certain vocables or words Comforming to a certain grammar"[3]

[1] - Austin, How to do things, p94 .
[2]- Ibid, p 95.
[3] - Ibid, p 95.

- الفعل الدلالي: The rhetic act ويراد به إعطاء معان ودلالات للفعل التركيبي. فالفعل الدلالي يجب أن يكون له معنى ويجب أن يحيل على مرجع.

" The rhetic act is the performance of an act using those vocables with a certain more-or-less definite sense and reference"[1]

ويفرق أوستين بين الفعل التركيبي والفعل الدلالي بإعطاء عدة أمثلة، ويعين هوية الفعل التركيبي عن طريق علامات التنصيص المباشر، ويعين هوية الفعل الدلالي بالتنصيص غير المباشر.

الفعل التركيبي	الفعل الدلالي
قال:"القط فوق الحصير"	قال بأن القط فوق الحصير.
قال: "سأكون هناك"	قال بأنه سيكون هناك.
قال "أخرج"	أخبرني أن أخرج
قال :"هل هي في أكسفورد أو كمبريدج؟"	سألني عما إذا كانت في أكسفورد أو كمبريدج[2]

ففي الأفعال الدلالية المتكلم يحيل ويدلل في الوقت نفسه. ففي الجملة الأولى-مثلا...يحيل المتكلم إلى قط معين وينسب إليه كونه فوق الحصير. ويتساءل أوستين إن كان بالإمكان تأدية الفعل الدلالي دون إحالة (مرجع) أو تسمية، ويجيب بأنه عموما لا يمكن ذلك.

"Can we perform a rhetic act without referring or naming ? In general it would seem that the answer is that we can't ?3 "

وعليه يمكن إنجاز الفعل التركيبي دون الفعل الدلالي لكن العكس ليس صحيحا.

"We can perform a phatic act which is not a rhetic act though not conversely[4] "

فهذه الأفعال الفرعية الثلاثة تشكل معا الفعل التعبيري

[1] - Austin, How to do things, p 97.
[2] - Ibid, p 95.
[3] - Ibid, p 97.
[4] - Ibid, p 97

2- **الفعل الإنجازي (الغرضي)**: illocutionary act

إنه الفعل الذي يقوم به المتكلم أثناء تلفظه. فلما نؤدي فعلا تعبيريا فإننا بالضرورة نؤدي فعلا إنجازيا. "من المسلم به، بطبيعة الحال، أن أداء الفعل الانجازي هو بالضرورة أداء للفعل التعبيري"

" To perform an illocutionary act is necessarily to perform a locutionary act[1]"

وهذا الفعل الإنجازي قد يكون استفهاما، أو جوابا، أو إخبارا، أو تحذيرا، أو إعلانا...[2]

ويميز أوستين بين معنى الفعل التعبيري وقوة الفعل الإنجازي أو ما يسميه نظرية القوى الإنجازية The doctrime of illocutionary forces [3] ففي المثال "إنه على وشك أن يهجم" معنى المنطوق واضح في حدود المعنى والمرجع/الإحالة sense and reference إلاّ أنه ليس واضحا إن كان تحذيرا أم لا؟[4] والشرط الضروري لكي يكون للمنطوق قوة معينة مرتبط بقصد ونية المتكلم عند التلفظ. ويلعب السياق دورا هاما في تحديد نوع الإنجاز.

"The occasion of an utterance matters seriously and the words used are to some extent to be explained by the context in which they are designed to be or have actually been spoken in a linguistic interchange[5]"

فالقوى الإنجازية للأفعال لا تتحدد، إذا، إلا إذا قصد المتكلم إعطاء هذه القوة أو تلك للمنطوق لأن هناك عدة وظائف للمنطوق الواحد. لهذا ميز أوستين بين نطق الجملة بمعنى معين: الفعل التعبيري، وبين نطق الجملة بقوة معينة. (القوة الإنجازية) ولا يكون الفعل الإنجازي فعلا ناجحا إلا إذا حقق تأثيرا ما على المخاطب أو السامع.

"Unless a certain effect is achieved ,the illocutionary act will not have been successfully performed [6]"

ولكي يحقق الفعل الإنجازي هذا الأثر يجب أن تتحقق الشروط التالية عند إنجازه:

---

1 - Austin, How to do things, p 114.
2 - Ibid, p 98-99.
3 - Ibid, p 100.
4 - Ibid, p 98.
5- Ibid, p 100.
6 - Ibid. p.116.

1- من الضروري أن يفهم المخاطب ما وجه إليه من لدن المتكلم

"the performance of an illocutionary act involves the securing of uptake[1]"

2- الفعل الإنجازي يحدث أثرا بطرق معينة ويجب التفريق بين سريان الأثر وحصول النتائج. وهذا الأثر يؤدي إلى تغيير مجرى الأحداث الطبيعية. وهكذا فإن عبارة: "أسمي هذه الباخرة الملكة إليزابيث" يكون أثرها هو التسمية[2].

3- بعض الأفعال الإنجازية تستدعي بالمواضعة استجابة أو نتيجة.

"many illocutionary acts invite by convention a response or a sequel" [3].

فالأمر مثلا يستدعي الطاعة، والوعد يستدعي الوفاء. ويلخص أوستين هذه الشروط بقوله: "هناك ثلاثة طرق: التأكد من الفهم، وسريان الأثر، واستدعاء استجابة أين تكون الأفعال الإنجازية مرتبطة بآثارها". وهذه كلها تختلف عن حدوث الآثار التي هي خاصية الفعل التأثيري.

"so here are three ways, securing uptake, taking effect, and inviting a response, in which illocutionary acts are bound up with effects, and these are all distinct from the producing of effects which is characterstic of the perlocutionary act[4]"

يبقى أن أشير إلى أنّ أوستين يؤكد دائما على أن الأفعال الإنجازية هي أفعال عرفية.

"Illocutionary acts are conventional acts[5]"

فالأمر، والتحذير، والوعد، والمراهنة... كلها أفعال تكتسب قوتها من عرف محدد.

3- الفعل التأثيري: perlocutionary act

ويراد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي لدى المخاطب أو السامع سواء كان تأثيرا جسديا أم شعورياً أم فكريًا[6].

---

1 - Austin, How to do things. p.116-117.
2 - Ibid. p.117
3 - Ibid. p.117.
4- Ibid .p.118
5 - Ibid. p.121.
6 - Ibid. p.101.

وإذا كانت الأفعال الإنجازية أفعالا عرفية، فإن الأفعال التأثيرية ليست كذلك[1]. والفعل التأثيري قد يكون طمأنة، أو إفراحًا، أو إحزانا، أو إقناعًا، أو غيرها من الآثار.

ويورد أوستين مجموعة من الأمثلة للتمييز بين الأفعال الثلاث:

الفعل التعبيري	الفعل الإنجازي	الفعل التأثيري
قال: "إرمها" (بالرصاص)	أمرني/حثني/نصحني أن أرمها	أقنعني أن أرمها
يحمل معنى معينا (معنى، إحالة)	يحمل قوى إنجازية: الأمر، النصح، الحث	أثر محدد (سلوك معين الإقناع بالفعل: فعل الرمي

لقد لاحظ أوستين أن تصنيفات الفعل هي تجريدات فحسب من الفعل الكلامي الكلي. إذ التمييز بين الأفعال التعبيرية والأفعال الإنجازية هو تمييز بين فعل قول شيء ما، وبين فعل ينجزه المتكلم في قول شيء ما.

"..the locutionary act as much as the illocutionary is an abstraction only. Every genuine speech act is both[2]"

فكل فعل كلامي أصيل (خالص) يشمل بالضرورة الفعل التعبيري والفعل الإنجازي. أما الفعل التأثيري فإنه لا يلازم الأفعال جميعًا؛ فمنها ما لا تأثير له في السامع أو المخاطب.

وإذا كان الفعل التعبيري لا ينعقد الكلام إلا به، والفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعا، فإن أوستين وجه اهتمامه إلى الفعل الإنجازي، وراح يبحث عن قائمة للقوى الإنجازية للمنطوق في ضوء النظرية العامة للأفعال الكلامية[3].

ويصنف أوستين الأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية خمسة أصناف، ويبدي عدم رضاه عن هذا التصنيف:

"I distinguish five very general classes : but I am far from equally happy about all of them[4]"

---

[1] - Austin, How to do things. p.118.
[2] - Ibid. p.147.
[3] -Ibid, p 149-150.
[4] - Ibid, p 151.

1- **الحكميات**: verdictives

وهي التي تعبر عن حكم يصدره محلف أو حكم، وليس بالضرورة أن تكون الأحكام نهائية، فقد تكون تقيمية أو تقديرية. ومن الأفعال المندرجة في هذا الصنف:

يقيم، يحكم، يقدر، يؤرخ، يشخص. وأفعال الأحكام أفعال قانونية **Judicial** متمايزة عن الأفعال التشريعية **legislative** أو التنفيذية **excecutive**. وترتبط بمفهوم الصدق والكذب Truth and falsity.

2- **الممارسات**: Exercitives

وتختص بممارسة السلطات والحقوق والنفوذ. ومن أمثلتها التعينات، والانتخابات، وإصدار الأوامر: أعين، وأفصل، وآمر، وأعلن،...

3- **الإلزاميات** : Commissives

وهي التي تلزم المتكلم بشيء ما أو تعهده بفعله ومن أمثلتها: أعد، وأتعهد، وألزم نفسي، وأعطي كلمتي وقد يندرج فيها الإفصاح عن النية أو القصد: أنوي، أعارض، أو أوافق...

4- **السلوكيات**: Behabitives

وتندرج تحت باب السلوك، والعرف الاجتماعي، والمواقف، وردات الفعل مثل: الاعتذار، والتهنئة، والتعزية، والشتم... ومن ميزاتها أنها قد تكون غير صريحة. ومن أمثلتها: أعتذر، وأشكر، وأهنئ، وأعزي، وأتعاطف...

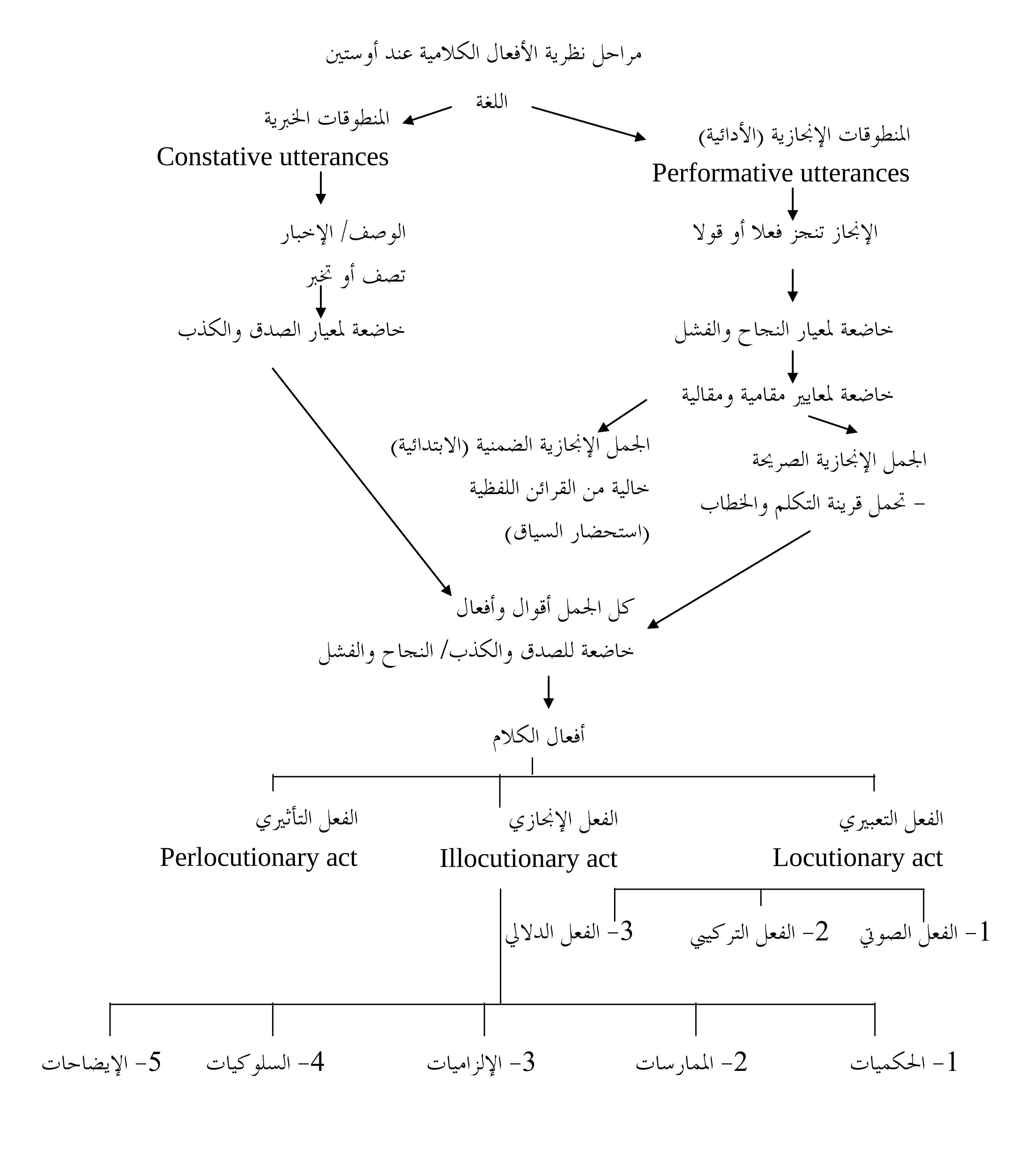
5- **الإيضاحيات**: Expositives

وهي الأفعال التي تستخدم لشرح وبيان وجهة النظر أو الرأي وذكر الحجج مثل الإثبات، والإنكار، والاعتراض، والتشكيك، والتصويب...ومن أمثلتها: أثبت، وأنكر، وأتجاهل، وأستنتج،...

ويعترف أوستين بصعوبة التصنيف بسبب تعدد الأفعال وتداخلها مع بعضها البعض. ويقر بأن تصنيفه غير نهائي[1].

هذا التصنيف المبدئي وهذا الاعتراف بصعوبته هو الذي شجع أحد تلامذته John Searle لدراسة ظاهرة الأفعال الكلامية وتطويرها.

[1] Austin, How to do things, p 151-162.


مراحل نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين
اللغة
المنطوقات الإنجازية (الأدائية)
Performative utterances
المنطوقات الخبرية
Constative utterances
الإنجاز تنجز فعلا أو قولا
الوصف/ الإخبار
تصف أو تخبر
خاضعة لمعيار النجاح والفشل
خاضعة لمعيار الصدق والكذب
خاضعة لمعايير مقامية ومقالية
الجمل الإنجازية الضمنية (الابتدائية)
خالية من القرائن اللفظية
(استحضار السياق)
الجمل الإنجازية الصريحة
- تحمل قرينة التكلم والخطاب
كل الجمل أقوال وأفعال
خاضعة للصدق والكذب/ النجاح والفشل
أفعال الكلام
الفعل التعبيري
Locutionary act
الفعل الإنجازي
Illocutionary act
الفعل التأثيري
Perlocutionary act
1- الفعل الصوتي
2- الفعل التركيبي
3- الفعل الدلالي
1- الحكميات
2- الممارسات
3- الإلزاميات
4- السلوكيات
5- الإيضاحات

2- أفعال الكلام عند سورل:

6- في كتابة "الأفعال الكلامية" "Speech Acts" طور جون سورل نظرية الأفعال الكلامية التي اقترحها أوستين، وأدخل عليها بعض التعديلات، وجعلها أكثر إحكاما. بداية يؤكد سورل بأننا حين نتكلم لغة ما فإننا نقوم بسلوك معين خاضع لقواعد معينة تتسم بالتعقيد[1].

وتكلم لغة ما هو إنجاز لأفعال كلامية مختلفة مثل الإثبات، والأمر، والاستفهام، والوعد، وغيرها؛ كما أنه إنجاز لفعلي الإحالة والحمل[2].

ولا تتحقق هذه الأفعال إلا باحترام القواعد التي تتحكم في استعمال اللغة.

وسبب تأكيد سورل على دراسة الأفعال الكلامية هو أن وحدة التبليغ اللغوي، حسب رأيه، ليست هي العلامة أو الكلمة، أو الجملة، أو التأليف بين هذه الوحدات، بل إنجاز فعل كلامي، بإنتاج هذه العلامات، والكلمات والجمل[3].

فالأفعال الكلامية هي الوحدات الصغرى للتبليغ.

"Speech acts (…) are the basic minimal units of linguistic communication[4]"

كما يؤكد سورل أن دراسة الأفعال الكلامية دراسة ملائمة هي دراسة للغة في حد ذاتها وليست دراسة للكلام فقط بالتعبير السوسيري. كما أن دراسة معاني الجمل ودراسة الأفعال الكلامية ليستا دراستين مستقلتين لكنهما دراسة واحدة من زاويتين مختلفتين[5].

والفعل الكلامي عند سورل مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي. فالعرف هو الذي يبيح لتعبير ما أن يؤدي وظيفة الأمر، أو النهي، أو الوعد... فقصد المتكلم وحده لا يكفي لتحديد ذلك، بل لابد من العرف اللغوي أيضا. فالمعنى عند سورل لا يخضع لنوايا ومقاصد المتكلمين فقط بل للعرف أيضا.

---

[1] - Searle. John R, Speech Acts An Essay In the philsophy of Language, Cambridge University Press, U.S.A, Ed 31 st, 2009, p 12.
[2] - Ibid, p 16.
[3] - Ibid, p 16.
[4] - Ibid, p 16.
[5] - Ibid, p 18.

"Meaning is more than a matter of intention, it is also at least sometimes, a matter of convention[1]".

فعند إنجاز الفعل الكلامي يخضع المتكلم لقواعد عرفية: اجتماعية وثقافية صنفها سورل صنفين:

- القواعد التأسيسية والقواعد الضابطة.

1- القواعد التأسيسية: Constitutive rules

ويقصد بها القواعد التي تخلق الفعل نفسه. فهي تؤسس وتوجد وتحدد أشكالا جديدة من الفعل؛ كقواعد لعبة الشطرنج أو كرة القدم[2].

2- القواعد الضابطة: Regulative rules

تنظم أشكال الفعل الكلامي الموجودة مثل قواعد المعاملات والآداب. والقواعد الضابطة عادة ما تأخذ شكل الأمر[3].

أنواع الفعل الكلامي:

يورد سورل الأمثلة الآتية ليحدد أنواع الفعل الكلامي:

1- يدخن سامي بانتظام.-الإخبار

2- هل يدخن سامي بانتظام؟ -الاستفهام

3- سامي دخن بانتظام.- الأمر

4- لو يدخن سامي بانتظام.- التمني.

ففي أداء الجمل الأربع، وفي الظروف الملائمة، وبوجود سامعٍ، المتكلم يحيل إلى شخص معين اسمه سامي، ويسند إليه التدخين بانتظام. ففي الجمل الأربع، الإحالة والإسناد reference and predication هما نفسهما. على الرغم من أن في كل جملة تقع الإحالة والإسناد كجزء من فعل كلامي كامل يختلف عن الثلاثة البقية. وهكذا يفصل سورل مفهوم الإحالة والإسناد عن مفهوم الفعل الكلامي الكامل كالإخبار (التقرير/ الإثبات)، والاستفهام، والأمر، والتمني في الجمل السالفة الذكر. والحجة في ذلك أن الإحالة والإسناد هما نفسهما في الأفعال كلها التي يسميها

---

[1] - Searle. John R, Speech Acts, p 45.
[2] - Ibid, p 33.
[3] - Ibid, p 34.

أفعالا إنجازية illocutionary. ففي نطق الجمل الأربع المتكلم ينجز على الأقل ثلاثة أنواع من الأفعال:

-أ- نطق الكلمات (المورفيمات، الجمل)

ب- الإحالة والإسناد

ج- التقرير، والاستفهام، والأمر، والتمني ويسمي سورل هذه الأفعال:

أ- فعل التلفظ utterance act

ب- الفعل القضوي propositinal act

ج- الفعل الإنجازي illocutionary act

وهذه الأفعال ليست منفصلة عن بعضها البعض، ففي أداء الفعل الإنجازي المتكلم ينجز الفعل القضوي وفعل التلفظ.

"In performing an illocutionary act one characteristically performs propositional acts and utterance acts[1]"

ويستطيع المتكلم أن ينجز فعل التلفظ دون إنجاز الفعل القضوي والفعل الإنجازي. لأن فعل التلفظ ينطوي على التلفظ بمجموعة من الكلمات قد تكون خالية من المعنى[2].

أمّا الفعل القضوي والفعل الغرضي فينطويان على التلفظ بكلمات في جمل وفي سياقات معينة، وفي ظروف معينة، وبنوايا معينة[3].

ويضيف سورل إلى هذه الأفعال الفعل التأثيري perlocutionary والذي يهم النتائج والتأثيرات التي يحدثها الفعل الإنجازي بالنسبة للمخاطبين، وقد تكون أفعالا، أو أفكارًا، أو معتقدات[4].

فالأفعال الكلامية عند سورل، إذا، أربعة:

1- فعل التلفظ وهو ما يقابل عند أوستين الفعل الصوتي والفعل التركيبي.

2- الفعل القضوي وهو ما يقابل عند أوستين الفعل الدلالي؛ لكن سورل عدّه فعلا مستقلا بذاته ويشمل فعلي الإحالة والإسناد.

---

1 - Searle. John R, Speech Acts. p.24.
2 - Ibid. p.24.
3 - Ibid. p.24-25.
4 - Ibid. p.25.

3- الفعل الإنجازي.

4- الفعل التأثيري

وهذان الفعلان لا اختلاف بين سورل وأوستين بشأنهما.

وانصب اهتمام سورل على دراسة الفعل القضوي بشقيه الإحالة والإسناد (الحمل) وذلك لاهتمامه بدراسة المعنى. بداية يؤكد أن الأفعال القضوية لا يمكن أن تنجز بمفردها بل تتحقق داخل الفعل الإنجازي. لأن الجمل هي التي تستعمل لقول الأشياء وليست الكلمات. وهذا ما ذهب إليه فريج Frege –على رأي سورل– لما قال بأنه في السياق فقط الكلمات تحيل.

"only in the context of a sentence do words have a reference[1]"

وتعد الإحالة فعلا كلاميا. فالمتكلم هو الذي يحيل باستعماله للعبارة الإحالية، وليست العبارة هي التي تحيل[2]. كما يوضح أن القضايا ليست أفعالاً. والقضية هي ما يثبت في فعل الإثبات، أو ما يُعلن عنه في فعل الإعلان.

"Propositions are not acts. A proposition is what is asserted in the act of asserting, what is stated in the act of stating[3]"

والتعبير عن قضية هو فعل قضوي وليس فعلا إنجازيًا.

"The expression of a proposition is a propositional act not an illocutionary act[4]"

كما يفرق سورل بين الفعل الإنجازي والمحتوى القضوي للفعل الإنجازي فليست كل الأفعال الإنجازية ذات محتوى قضوي propositional content مثل Hura "ouch"[5] "يا سلام" "يا للروعة".

ومن جهة نظر دلالية يميز سورل عنصرين اثنين في البنية التركيبية للجملة: المؤشر القضوي the propositional indicator الذي يشمل الإحالة والإسناد، ومؤشر القوة الإنجازية the illocutionary force indicator. فالقوة الإنجازية تشير إلى نوع الفعل الإنجازي الذي ينجزه

---

[1] - Searle. John R, Speech Acts. p.25.
[2] -Ibid. p.28.
[3] - Ibid. p.29.
[4] - Ibid. p.29.
[5] - Ibid. p.30.

المتكلم في تلفظ الجملة[1]. ومؤشرات القوة الإنجازية في اللغة الإنجليزية تتمثل في ترتيب الكلمات word order، وصيغة الفعل the mood of the verb، والنبر stress، والتنغيم intonation، وفي علامات الترقيم punctuation، وما يسمى الأفعال الإنجازية performative verbs: "أعتذر، "أحذر"، "أقرر". والسياق في حالات التواصل الحقيقية يحدد بصفة واضحة القوة الإنجازية دون الحاجة إلى هذه الأفعال الإنجازية الصريحة[2].

ويعطي سورل المثالين الآتيين للتوضيح:

(1)- أعد بالمجيء I promise to come

(2)- أعد بأنني سوف أجيء I promise that I will come

فالبنية السطحية للجملة (1) لا تسمح بالتمييز بين مؤشر القوة الإنجازية ومؤشر المحتوى القضوي عكس الجملة (2) أين يكون التمييز بين مؤشر القوة الإنجازية "أعد" ومؤشر المحتوى القضوي بأنني "سوف أجيء" واضحا في البنية السطحية surface structure. لكن بدراسة البنية العميقة deep structure للجملة (1) نجدها لا تختلف عن الجملة (2) "أعد + سوف أجيء" " I promise + I will come " ففي البنية العميقة إذا نستطيع تحديد العناصر التي تميز القوة الإنجازية من العناصر التي تميز المحتوى القضوي حتى في حالات تحويلات الحذف. وهذه التفرقة تساعد في تحليل أنواع الأفعال الإنجازية. إذ بواسطتها تفصل القضايا عن أنواع الفعل الإنجازي[3].

ويميز كذلك بين النفي القضوي والنفي الإنجازي:

Illocutionary negation and propositional negation

-F (P) F (-P)

فجملة: أعد أن أجيء لها نفيان:

(1)- أنا لا أعد بالمجيء I do not promise to come

(2)- أعد بأن لا أجيء I promise not to come

---

1 - Searle. John R, Speech Acts. p.30.
2 - Ibid. p.30.
3 - Ibid. p.30.

ففي الأولى نفي إنجازي؛ وفي الثانية نفي قضوي؛ فالنفي القضوي لا يغير طبيعة الفعل الإنجازي؛ وينتج عن هذا النفي قضية ثانية وبالقوة الإنجازية نفسها. أما النفي الإنجازي فإنه يغير طبيعة الفعل الإنجازي من الوعد إلى رفض لإعطاء الوعد، وينقلنا من فعل كلامي إلى آخر[1].

شروط إنجاز الفعل اللغوي:

طور سورل تصور أوستين لشروط الملاءمة felicity conditions، والتي إذا تحققت في الفعل الكلامي كان ناجحا أو موفقا. وشروط الملاءمة ليست أبعادا، فقط، للحكم على نجاح أو فشل الفعل لكنها شروط مؤسسة، لمختلف القوى الإنجازية. واتخذ من فعل الوعد مثالا لكن يمكن تعميم هذه الشروط على أفعال لغوية أخرى[2].

1- تحقق الشروط العادية للتواصل:

Normal input and output condition obtain

وهذه الشروط تجعل التواصل اللغوي ممكنا وذلك بأن يكون:

- الكلام واضحا.
- الفهم ممكنا.

ويتضمن معرفة كل من المتكلم والسامع باللغة. فكلاهما يفهم المنطوق. وأن يكون كل منهما واع بما يفعل وسويا. (معافى من الأمراض والعاهات كالصمم والحبسة). وأن يكونا في تواصل لغوي حقيقي (ليس تمثيلا أو مزاحا).

2- شروط المحتوى القضوي The propositional content condition

ويتحقق هذا الشرط بإنجاز المتكلم فعلا مستقبليا[3].

3- الشروط التمهيدية: preparatory conditions

- المخاطب يفضل أن يقوم المتكلم بالفعل، والمتكلم يعتقد أن المخاطب يريده أن ينجزه على أن لا ينجزه[4].

- أن لا يكون بديهيا للمتكلم والمخاطب أن المتكلم سيقوم بالفعل بطريقة تلقائية[5].

---

[1] - Searle. John R, Speech Acts, p 32.
[2] - Ibid, p 54.
[3] -Ibid, p 57.
[4] - Ibid, p 58.
[5] - Searle. John R, Speech Acts, p 59.

4- شرط الصدق -The sincerity condition

المتكلم ينوي القيام بالفعل.

5 – الشرط الأساسي The essential condition

المتكلم ينوي أن يلزم نفسه بإنجاز الفعل عند تلفظه بالمنطوق[1].

6- التلاؤم بين معنى الجملة وقصد المتكلم:

فالمتكلم ينوي أن يحدث أثرا إنجازيا في السامع بأن يجعله يتعرف على نواياه لإنجاز هذا الأثر وذلك باتباع القواعد الدلالية للغة. فالجملة المنطوقة يجب أن تستجيب للقواعد المستعملة لإعطاء الوعد. فمعنى الجملة يتحدد كلية بواسطة عناصرها المعجمية والنحوية.

"The meaning of a sentence is entirely determined by the meaning of its elements, both lexical and syntactical[2]"

فسورل، إذا، يعطي أهمية للمعنى الحرفي للجملة إضافة إلى قصد المتكلم. فهو يأخذ بعين الاعتبار المعنى المقالي والمعنى المقامي والتفاعل القائم بينهما.

أنواع الأفعال الإنجازية:

أعاد سورل النظر في تصنيف أوستين للأفعال الإنجازية، وقدّم تصنيفا بديلا أقامه على أسس ثلاثة وهي:

1- الغرض الإنجازي illocutionary point

2- اتجاه المطابقة direction of fit

3- الموقف النفسي المعبر عنه expressed psychological state [3]

وحدد سورل اثني عشر بعدا يختلف بها كل فعل انجازي عن الآخر:

1- الاختلاف في الغرض الإنجازي للفعل: فالغرض الإنجازي للأمر مثلا هو محاولة التأثير في المخاطب ليقوم بفعل ما بينما الغرض الانجازي للوعد هو إلزام المتكلم نفسه بالقيام بفعل ما[4].

2- الاختلافات في اتجاه المطابقة بين الكلمات والعالم:

---

[1] - Ibid, p 60.
[2] - Ibid, p 61.
[3] - Searle, John R, A classification of illoctionary acts, Language in society, Vol 5, n° 1 April. 1976, p 1.
[4] - Ibid, p 2-3.

فاتجاه المطابقة مثلا في الإخباريات assertions يكون من الكلمات إلى العالم وفي الوعود مثلا يكون اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات[1].

3- الاختلافات في المواقف النفسية المعبر عنها:

فالذي يذكر، أو يشرح أو يثبت يعبر عن معتقد belief والذي يعد، أو يطلب ، أو يتوسل يعبر عن مقصدية الإنجاز an intention to do والذي يأمر، أو يطلب، أو يرجو يعبر عن رغبة في أن ينجز المخاطب الفعل a desire that H do A [2]

4- الاختلاف في القوة التي يعرض بها الغرض الإنجازي:

فالجملتان "أُقترح أن نذهب إلى السنما" و"أصر على أن نذهب إلى السنما" تمتلكان الغرض الإنجازي نفسه، لكن درجة القوة تختلف فالغرض الإنجازي في الجملة الثانية أقوى.

5- الاختلاف في منزلة كل من المتكلم والسامع:

فإذا جاء الطلب من الأعلى إلى الأدنى يكون أمرا، وإذا كان من الأدنى إلى الأعلى يكون التماسا أو اقتراحا أو رجاء[3].

6- الاختلاف في طريقة ارتباط الملفوظ باهتمامات المتكلم والسامع:

كالاختلاف بين المدح والرثاء، أو التهنئة والتعزية.

7- الاختلاف في العلاقة بسائر الخِطاب:

فبعض التعابير مثل: أجيب، أو أستنتج، أو أستدل، أو أعترض تستعمل لربط الأقوال التالية بالأقوال السابقة وبالسياق المصاحب لها.

8- الاختلاف في المحتوى القضوي الذي تحدده مؤشرات القوة الإنجازية فالفرق بين التقرير report والتنبؤ prediction يتمثل في أن التنبؤ يكون مستقبليًا أما التقرير فيكون عن أمر مضى[4].

9- الاختلاف في أن يكون الفعل دائما فعلاً كلاميًا.

فإننا نستطيع مثلا تصنيف الأشياء بالقول: أصنف هذا إلى "أ" وذاك إلى "ب". ولكن قد لا أحتاج إلى هذا القول للتصنيف. إذ يكفي أن نضع الأشياء في "أ" أو "ب".

[1] - Searle, John R, A classification of illoctionary acts, p 3.

[2] - Ibid, p 4.

[3] - Ibid. p.5.

[4] - Ibid. p.5.

10- الاختلاف بين الأفعال التي تتطلب في آدائها مؤسسات غير لغوية والأفعال التي لا تقتضي ذلك. مثل الزواج، وإعلان الحرب.

11- الاختلاف بين الأفعال القابلة للأداء والإنجاز والأفعال غير القابلة للإنجاز.

12- الاختلاف في أسلوب أداء الفعل الإنجازي:

فالفرق بين الإعلان والإسرار لا يكمن في الاختلاف في الغرض الإنجازي أو المحتوى القضوي لكن يكمن في أسلوب أداء الفعل.

وصنَّف سورل الأفعال الإنجازية في خمس مجموعات:

1- التصويريات/ الإخباريات: Representatives/Assertives

إن الغرض الإنجازي فيها هو تعهد المتكلم نقل واقعة ما حقيقية من خلال قضية يعبر بها عن هذه الواقعة. وأفعال هذا القسم قابلة للتقييم في حدود الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، والحالة النفسية المعبر عنها هي الاعتقاد "belief". وتتضمن هذه الأفعال معظم الايضاحيات (التفسيريات)"وكثير من الحكميات" عند أوستين[1].

2- التوجيهيات: Directives

الغرض الإنجازي لهذه الأفعال يتمثل في محاولة المتكلم التأثير على السامع ليفعل شيئا ما. واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة أو الرغبة، والمحتوى القضوي فيها هو فعل السامع شيئا في المستقبل كالأمر، والرجاء، والاستعطاف، والدعوة، والنصح وبعض الأفعال التي أدرجها أوستين في السلوكيات والممارسات تدخل في هذا الصنف[2].

3- الإلزاميات: Commissives

[1] - Searle, John R, A classification of illoctionary acts. p.10.

[2] - Ibid. p.11.

وهي نفسها عند أوستين. وغرضها إلزام المتكلم نفسه بفعل شيء في المستقبل. واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات. وشرط الصدق فيها هو القصد intention، والمحتوى القضوي فيها هو فعل المتكلم شيئًا في المستقبل ومن أمثلتها الوعد[1].

4- التعبيريات: Expressives

الغرض الإنجازي لهذا القسم هو التعبير عن الحالة النفسية المحددة في شرط الصدق بشأن حالة محددة في الواقع في المحتوى القضوي. ومن أمثلتها أشكر، وأهنئ، وأعتذر، وأعزي، وأرحب... ولا يوجد اتجاه مطابقة في التعبيريات لأن المتكلم لا يحاول أن يؤثر في العالم ليماثل الكلمات ولا الكلمات لتماثل العالم، وصدق القضية المعبر عنها يكون مفترضًا[2].

5-الإعلانيات(التصريحيات): Declarations

إن أهم ميزة لهذا القسم هي أن الأداء الناجح لأي فعل من أفعاله يحدث تطابقا بين المحتوى القضوي والحقيقة كما يضمن الأداء الناجح للفعل توافقا مع العالم. فإن كان فعل إعلان الحرب مثلا ناجحا، فالحرب قائمة. وهذه الأفعال عادة ما تقتضي عرفا غير لغوي extra-linguistic institution. فالمقدرة اللغوية للمتكلم والمستمع وحدها غير كافية لإنجاح الفعل. واتجاه المطابقة في هذه الأفعال قد يكون من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات ولا يحتاج إلى شرط الصدق[3]. فهذه الأفعال أفعال مؤسساتية وليست شخصية " institutional rather than personal"[4] تتطلب مؤسسات متعارف عليها (النطق بالأحكام في المحاكم، والتعميد في الكنائس...)

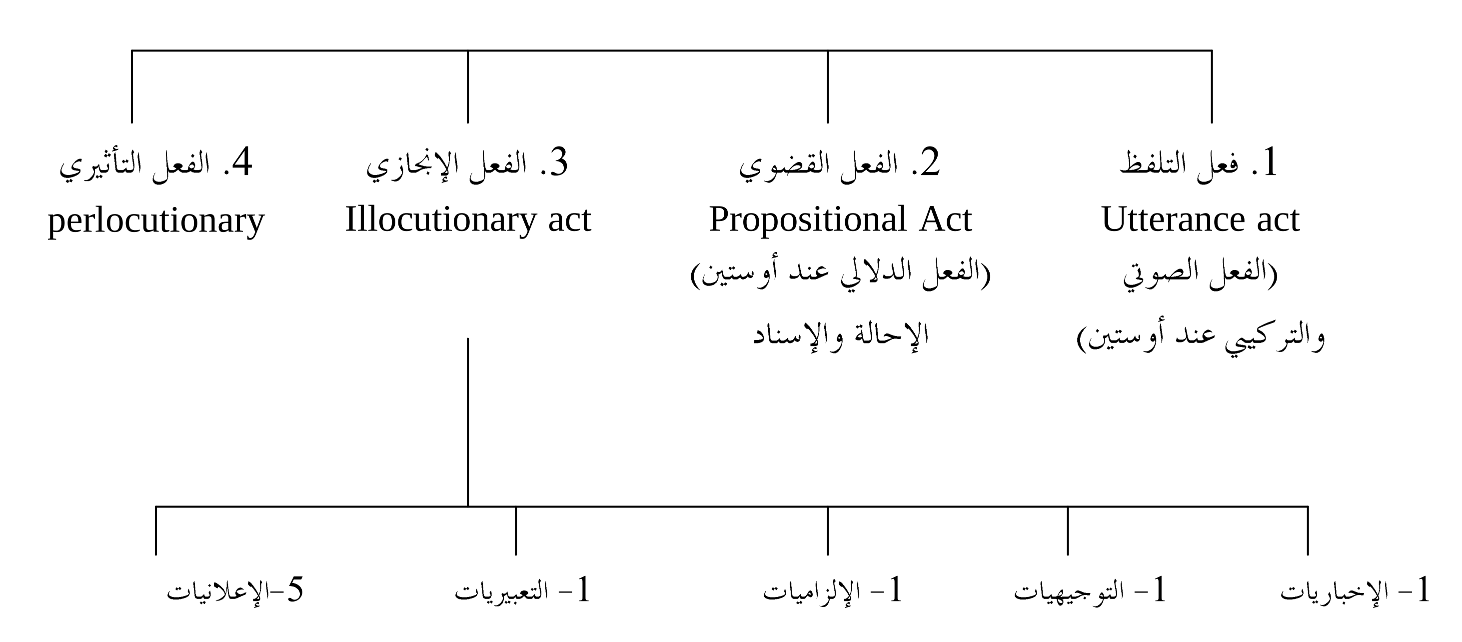
[1] - Searle, John R, A classification of illoctionary acts. p.11.

[2] - Ibid. p.12.

[3] - Ibid. p.13-14.

[4] - Leech, Principles of pragmatics, p. 106.

أفعال الكلام عند سورل.



تميزت المرحلة الأولى إذا بالتنظير للأفعال الكلامية، وكيف توصل أوستين بعد دراسة وتمحيص إلى فكرة مفادها أن جميع الجمل اللغوية تثوي في بنياهًا العميقة أفعالا من قبيل الإنجاز واضعا تقسميه المشهور للأفعال الكلامية مركزا في دراسته على الفعل الإنجازي وتصنيفاته على وجه الخصوص، ومبديا عدم رضاه عن هذا التصنيف؛ الأمر الذي دعا تلميذه سورل إلى تطوير وتعديل هذه النظرية. وهذا العمل فتح الباب واسعا لدراسة الأفعال الكلامية غير المباشرة. فكيف نشأت فكرهًا؟ وما الفرق بينها وبين الأفعال اللغوية المباشرة؟

II- مرحلة الفعل الكلامي غير المباشر

1- عمل بول جرايس

ترجع بداية البحث في أفعال الكلام غير المباشرة إلى عمل الفيلسوف بول جرايس Paul Grice في دروسه التي ألقاها بجامعة هارفرد في عام 1967 عن الاستلزام الحواري. وقد صيغت هذه الدروس في بحث يحمل عنوان "المنطق والحوار" Logic and Conversation[1]. وكانت

[1] - Grice, P(1975) Logic and Conversation. In Cole and Moyan (eds) Syntaxe and semantics3 : Speech acts Academic Press. P41.

نقطة البدء عند جرايس أن الناس في حواراهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون. فانصب اهتمامه على ما يقال what is said وما يقصد what is meant. فما يقال تحدده العبارات والكلمات بمعانيها الحرفية وهو ما أطلق عليه الاستلزام العرفي. وما يُقصد هو ما يريد المتكلم تبليغه إلى مخاطبه على نحو غير مباشر اعتمادا على أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال وهو ما أطلق عليه الاستدلال غير العرفي non- Conventional inplicature أو الاستدلال الحواري Conversational implicature[1].

والتساؤل المطروح كيف يمكن أن يُعنى أكثر مما يقال؟ ففي بعض الأحيان يكون الفراغ بين المعنى الحرفي والمعنى الضمني جوهريا وأساسيا بحيث لا تستطيع النظريات الدلالية تفسيره تفسيرا شاملا؛ وبالتالي تقدم الشيء القليل عن كيفية استعمال اللغة في التواصل. ومفهوم الاستلزام الحواري يعتبر وسيلة ناجعة للاستدلال عن المعنى الضمني انطلاقًا من المعنى الحرفي[2].

فكيف طور جرايس فكرة الاستلزام الحواري؟

في نظريته حول كيف يستعمل الناس اللغة، ذهب جرايس إلى أن هناك مجموعة من الافتراضات توجه مسار الحوار، وهذه الافتراضات تنبع من اعتبارات عقلية أساسية تشكل خطوطا عريضة للتواصل واستعمال اللغة في الحوار بطريقة فعالة ومؤثرة. وسمى المبدأ العام الذي يحكم ويقنن الحوار مبدأ التعاون Co.operative principle. وتنبثق عن هذا المبدإ أربع قواعد:

1- قاعدة الكم: The maxim of quantity

وتخص كمية المعلومات المطلوبة في الحوار بمعنى:

- اجعل مساهمتك في الحوار متضمنة للقدر الكافي من المعومات informative

- لا تجعل مساهمتك متضمنة أكثر مما هو مطلوب من المعلومات.

2- قاعدة الكيف The maxim of quality

اجعل مساهمتك الحوارية صادقة بمعنى:

- لا تقل شيئا كاذبا.

- لا تقل شيئا تعوزك الحجة في إثباته.

3- قاعدة المناسبة The maxim of relevance

---

[1] - Grice, P(1975) Logic and Conversation. p.44-45.

[2] - Levinson, Pragmatics, p 98.

اجعل كلامك مناسبا للموضوع المتحدث فيه (ذا علاقة بالموضوع).

4- قاعدة الطريقة (الكيفية) The maxim of manner

كن واضحا ومحددا بمعنى:

- تجنب اللبس avoid ambiguity
- تجنب الغموض avoid obscurity
- أوجز في خطابك (كن مختصرا) be brief
- كن منظما be orderly [1]

كما يضيف جرايس قواعد أخرى جمالية واجتماعية وأخلاقية مثل: كن مؤدبا "be polite" والتي عادة ما تُراعى في الحوار[2].

هذه القواعد، إذا، تحدد ما على المشاركين القيام به من أجل التحاور بطريقة فعالة، وعقلانية، فعليهم أن يتكلموا بصراحة، وبوضوح، وأن يكون كلامهم مناسبا ويحمل القدر الكافي من المعلومات متجنبين الإيجاز المخل والإطناب المفرط. ولكن ما مصدر هذه القواعد التي تحكم السلوك الحواري؟ هل هي قواعد عرفية أم آليات عقلية؟

يذهب جرايس إلى أن هذه القواعد ليست أعرافا اعتباطية لكنها آليات عقلية rational لتسيير الحوار وتقنينه. لكن هذه القواعد التي يجري عليها الحوار كثيرًا ما تنتهك.

وانتهاك مبادئ الحوار flouting or exploitations of maxims وخرق قاعدة من القواعد الأربع هو الذي يولد الاستلزام الحواري لكن مع التمسك دائما بمبدإ التعاون[3].

خرق القواعد:

1- خرق قاعدة الكم: في حوار بين الأب وابنه

- هل راجعت دروسك ونظفت أسنانك.
- راجعت دروسي.

في هذا الحوارخرق لمبدإ الكمية لأن الوالد سأل عن أمرين والابن أجاب عن أمر واحد وسكت عن الثاني. فإجابته أقل من المطلوب. ويستلزم هذا أنه لم يقم بالأمر الثاني.

---

[1] - Grice, Logic and Conversation, p 45-46.

[2] - Ibid, p 47.

[3] - Ibid. p49.

2- خرق قاعدة الكيف: في حوار بين أستاذ وتلميذه.

- طهران في تركيا أليس هذا صحيحا يا أستاذ؟

- طبعا ولندن في الجزائر.

انتهك الأستاذ قاعدة الكيف والتي تقتضي ألا يقول إلا ما يعتقد صوابه وألا يقول ما لا حجة في إثباته، وانتهك الأستاذ هذه القاعدة ليظهر للتلميذ أن إجابته غير صحيحة.

3- خرق قاعدة المناسبة: في حوار بين صديقين

- أين علي؟

- ثمة سيارة صفراء تقف أمام مترل أحمد

الإجابة عن السؤال ليست إجابة حرفية. فالمجيب اخترق قاعدة المناسبة، لكن السائل يستطيع أن يصل إلى مراد المجيب اعتمادا على الخلفية المعرفية.

4- خرق قاعدة الطريقة: في حوار بين أخوين أحدهما يستأذن في الدخول إلى غرفة الثاني:

- ماذا تريد؟

- قم واتجه نحو الباب ثم أدر المفتاح وادفع الباب برفق.

وهنا انتهاك لمبدإ من مبادئ الطريقة وهو الإيجاز إذ كان يكفي أن يقول افتح الباب. فالطارق للباب يؤاخذ أخاه على تماطله في فتح الباب وتكاسله.

فالاستلزام الحواري، إذا، ينجم عن خرق قاعدة من القواعد الأربع دون التخلي عن مبدإ التعاون. وقد وضع جرايس شروطًا لتحقيق هذا الاستلزام

فالمتكلم عند تلفظه بالجملة "ج" المعنى الحرفي قاصدًا "ك" المعنى المستلزم يجب أن يحقق الشروط الآتية:

1- أن يحترم على الأقل مبدأ التعاون.

2- للمحافظة على هذا الشرط، يجب أن يُفترض بأن المتكلم يعتقد بأن "ك" ضروري.

3- يظن المتكلم بأن المخاطب قادر على الاستنتاج والإدراك والفهم بأنه للحفاظ على الشرط (1) تعد "ك" ضرورية.

كما يشترط جرايس لكي يستطيع المخاطب أن يصل إلى الاستلزام "ك" أن يعلم أو يعتقد بأنه يعلم الحقائق التالية:

1- المحتوى (المعنى) الحرفي للجملة المنطوقة "ج".

2- مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه.

3- سياق الجملة "ج" (مثال المناسبة) (السياق اللغوي وغير اللغوي)

4- عناصر تتعلق بالخلفية المعرفية.

5- أن المعطيات السابقة مشتركة بين المتكلم والسامع.

ومن كل هذه المعطيات يخلص جرايس إلى اقتراح آلية استدلالية من شأنها أن تصف الانتقال من المعنى الحرفي للجملة إلى المعنى المستلزم وهي كالآتي:

1- تلفظ المتكلم بالجملة "ج"

2- المتكلم يعتد بقواعد الحوار أو على الأقل بمبدإ التعاون.

3- المتكلم يجب أن يفكر في "ك" المعنى المستلزم.

4- المتكلم يجب أن يعلم بأن المعرفة المشتركة تجعل المخاطب يفترض "ك" إذا كان المتكلم متعاونا.

5- المتكلم لم يقدم على أي خطوة من شأنها أن تمنع المخاطب من التفكير في "ك".

6- معنى هذا أن المتكلم يريد أن يجعل المخاطب يفكر في "ك" بقوله "ج" فالمتكلم يستلزم أو يقصد "ك" بقوله "ج"[1].

فالاستلزام الحواري إذا آلية تمكن المتخاطبين من الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم عند خرق أي قاعدة من قواعد الحوار مادام مبدأ التعاون قائما، وما دامت هناك خلفية معرفية مشتركة بين المتخاطبين.

وقد استثمرت هذه الآلية من لدن سورل لتعميق وشرح ظاهرة الأفعال الكلامية غير المباشرة.

2- عمل سورل:

تصدى سورل لظاهرة الفعل الكلامي غير المباشر وتبنى بعض الآليات الاستدلالية التي اقترحها جرايس في الاستلزام الحواري لشرح الظاهرة. فعادة ما توجد في اللغة جملٌ تحتمل تأويلين دلاليين:

- تأويلا دلاليا يطفو على سطح الجملة وتدل عليه قرائن لفظية.

---

[1] - Grice.P, Logic and Conversation, p 49-50.

- Levinson,pragmatics, P 113-114.

- تأويلا دلاليا لا يطفو على سطح الجملة ولا توجد قرائن لفظية تدل عليه.

ففي إنتاج مثل هذه الجمل وفي سياقات معينة نقوم بفعلين كلاميين اثنين:

- فعل كلامي مباشر.
- فعل كلامي غير مباشر.

فالأفعال الكلامية المباشرة هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم؛ أي يكون قصد المتكلم مساويا للمعنى الحرفي للجملة. والمعنى الحرفي يتمثل في معاني الكلمات المعجمية، وقواعد التأليف التي تنتظم بها هذه الكلمات في الجملة.

أما الأفعال الكلامية غير المباشرة فبالإضافة إلى الدلالة الحرفية للجملة ينجز المتكلم دلالة أخرى غير حرفية؛ دلالة مدركة ومستلزمة مقاميا وسياقيا. ففي مثل هذه الجملة: هل ترافقني إلى السوق؟ نكون أمام قوتين إنجازيتين لمنطوق واحد:

- قوة إنجازية حرفية.
- قوة إنجازية مستلزمة

فالمتكلم ينجز فعلين كلاميين: فعلا كلاميا مباشرا "الاستفهام" وفعلا كلاميا غير مباشر. فالقوة الإنجازية الحرفية نستدل عليها من القرائن اللفظية "أداة الاستفهام" و"علامة الاستفهام". أما القوة الإنجازية المستلزمة فتفتقر إلى القرائن المقالية وتتمثل هذه القوة الإنجازية في معنى "الالتماس". ففي حالة إنجاز فعل كلامي غير مباشر ينقل المتكلم إلى سامعه أكثر مما يقول[1]. والتساؤلات التي طرحها سورل تدور حول كيف يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا آخر؟ وكيف يسمع المخاطب شيئا له معنى محددا ويفهم شيئا آخر؟

لقد فسّر سورل الظاهرة اعتمادا على مبادئ جرايس الحوارية وبخاصة مبدأ التعاون، والخلفية الإخبارية المشتركة، وقدرة المخاطب على القيام ببعض الاستدلال؛ بالإضافة إلى نظرية أفعال الكلام[2]. ويورد سورل المثال الآتي لتوضيح معنى الفعل الكلامي غير المباشر:

(1) طالب (س): لنذهب إلى السينما هذه الليلة /تعال معي...

(2) طالب (ع): يجب أن أحضّر للامتحان.

---

[1] - Searle. J.R, Indirect Speech Acts, In cole and Morgan (eds) Syntax and semantics 3 : Speech Acts Academic Press, p 60.

[2] - Ibid. p 61.

المنطوق (1) يتضمن اقتراحا بالذهاب إلى السينما استنادا إلى معناه الحرفي والقرائن اللفظية الدالة عليه في حين يمثل المنطوق (2) رفضا للاقتراح لا بمقتضى دلالته الحرفية والمعجمية التي لا تعدو أن تكون إثباتا. والتساؤل المطروح كيف استطاع (س) أن يفهم أن جواب (ع) عبارة عن رفض للاقتراح المقدم؟ وكيف استطاع (ع) أن يضِّمن جوابه معنى الرفض للاقتراح المقدم؟ فالفعل الإنجازي الأولي the primary illocutionary act الذي أنجزه (ع) هو الرفض. وقد أنجز في الوقت ذاته فعلا إنجازيا ثانويا يتمثل في الإثبات المتمثل في التحضير للامتحان. فالفعل الإنجازي الثانوي يمثل المعنى الحرفي. أمّا الفعل الإنجازي الأولي فهو لا يمثل الدلالة الحرفية " The primary illocutionary act is not literal" ويطرح سورل السؤال التالي: كيف يتسنى للمخاطب الانتقال من الفعل الإنجازي الثانوي الحرفي إلى الفعل الإنجازي الأولي غير الحرفي؟

"The question is how does he understand the non-literal primary illocutionary act from understanding the literal secondary illocutionary act ?[1]"

ويقترح سورل مجموعة من الاستدلالات للانتقال من الإثبات إلى الرفض تتلخص في الخطوات الآتية:

1- (س): اقترحت على (ص) الذهاب إلى السينما فأجاب بأنه يجب عليه الاستعداد للامتحان.

2- أفترض أن (ص) متعاونا في الحوار (يحترم مبدأ التعاون) ومن ثم فإن جوابه مناسب.

3- من بين الإجابات المناسبة التي يمكن أن يقدمها (ص): القبول، أو الرفض، أو اقتراح آخر (نظرية أفعال الكلام).

4- لكن إجابة (ص) ليست إجابة مناسبة وواردة.

5- إذا (ص) يعني أكثر مما يقول. افتراضا أن إجابته مناسبة، ففعله الإنجازي الأولي مخالف حتما لقصده الإنجازي الحرفي.

6- أعرف أن التحضير للامتحان يستغرق وقتا طويلا وكذلك الذهاب إلى السينما. (الخلفية الإخبارية المتبادلة).

7- وبالتالي (ص) لا يستطيع أن يذهب إلى السينما ويحضر للامتحان في ليلة واحدة.

---

[1] - Searle. J.R, Indirect Speech Acts. p 62.

8- من الشروط التمهيدية لقبول اقتراح ما القدرة على إنجاز فعل الحمل المنصوص عليه في المحتوى القضوي (نظرية أفعال الكلام- شرط المحتوى القضوي).

9- إذا أنا أعلم أن (ص) قال شيئا نتيجته أنه لا يستطيع أن يقبل ما اقترحته عليه.

10- إذا قصده الإنجازي الأولي هو رفض الاقتراح[1].

ويخلص سورل إلى نتيجة مفادها أن النموذج النظري المستعمل لشرح هذا المثال يكفي لتفسير ظاهرة الأفعال الإنجازية غير المباشرة. هذا النموذج الذي يتضمن الخلفية المعرفية المتبادلة/ المشتركة/ ونظرية أفعال الكلام، وبعض مبادئ وشروط الحوار.

ويُعدّ سورل التوجيهيات directives المجال الأصلح لدراسة الأفعال الإنجازية غير المباشرة لأن متطلبات الحوار العادي وأدبياته لا تقتضي التلفظ بجمل أمرية خالصة يُفهم منها نوع من الفرض والإجبار. ففي مثل هذه الأفعال يكون توخي التأدب هو السبب في العدول عن الأساليب الإنجازية المباشرة إلى الأساليب الإنجازية غير المباشرة[2].

---

[1] - Searle. J.R, Indirect Speech Acts. p 63.

[2] - Ibid. p 64.

III – مرحلة الفرضية الإنجازية

لقد قام النموذج التوليدي التحويلي على مبدإ استقلالية التركيب ليس عن الوظيفة فحسب، بل عن أية دلالة أو تداول، وعليه يكون التفسير غير النحوي كمواقف الكلام والملابسات الخارجية عديم الجدوى والأهمية لأن الظاهرة اللغوية تنضبط بشروط نحوية خالصة[1]. لكن في مرحلة النظرية النموذجية الموسعة أضاف تشومسكي المكون الدلالي إلى الدراسة اللغوية. وذهب إلى أن المعنى مثل التركيب يجب أن يخضع للتحليل العلمي، وأن الدلالة يجب أن تدرس في التحليل النحوي بوصفها جزء مكملا لا يمكن الاستغناء عنه. فقد أعاد تشومسكي النظر في المكون الدلالي غير أنه رفض دعوة علماء الدلالة التوليدية، وأكد على أن يكون مستوى البنية التركيبية العميقة متميزا عن المستوى الدلالي[2].

رغم أنه اعترف في نهاية السبعينات بأن قدرة المتكلم/ السامع قدرتان: قدرة نحوية وقدرة تداولية لكنه اعتبر المكون التداولي مكونا غير أساسي[3].

أما الدلاليون التوليديون فقد قاموا بإعادة النظر في وجود مستوى للبنية التركيبية غير المستوى السطحي جاعلين من التمثيل الدلالي والتركيب العميق مستوى واحدا سمي التركيب الدلالي، وتجاوزوا أطروحة استقلال التركيب عن الدلالة. وعنوا بمجالين مختلفين لكنهما مرتبطان:

- أحدهما يتناول البنية اللغوية.

- والآخر يتناول الاستعمال اللغوي[4]. وبذلك أدخل المكون التداولي في الدراسة وفي تحديد البنية التركيبية وأصبح أساس النحو أساسا منطقيا تركيبيا دلاليا. وتمت الاستفادة من معطيات تداولية كالأفعال الكلامية، والاستلزام الحواري، والإقتضاءات. وقد أسفر نقل مفهوم الفعل

---

[1]- يحيى بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص 51-52.

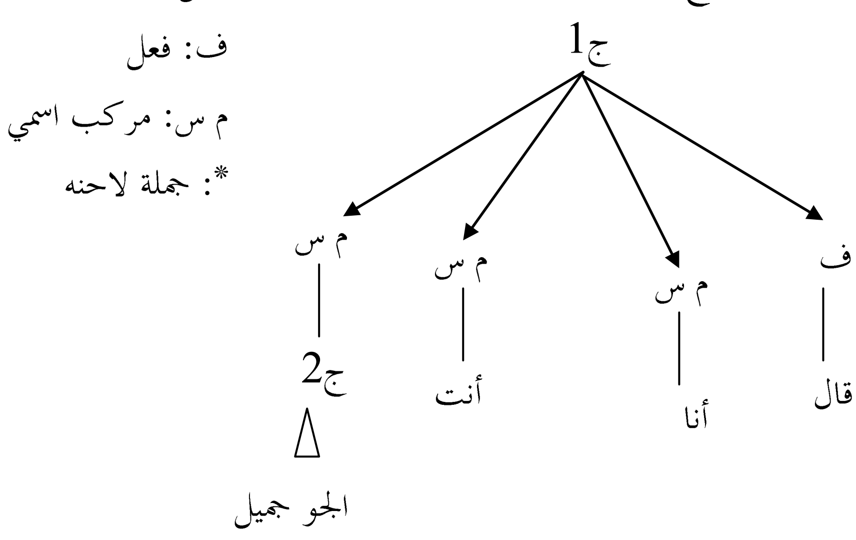
[2]- أحمد مومن، اللسانيات...، ص 231-232.

[3]- يحيى بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص 52.

[4]- أحمد مومن، اللسانيات...، ص 253.

الكلامي إلى الدلالة التوليدية إلى ظهور ما يسمى بالفرضية الإنجازية. وقد عنى منظرو الفرضية الإنجازية بدراسة القوة الإنجازية الحرفية، كما عنوا بالقوة الإنجازية المستلزمة[1].

وبدا اعتماد الفرضية الإنجازية في التمثيل للقوة الإنجازية الحرفية من خلال أعمال روس Ross الذي اقترح أن يمثل لمفهوم الفعل اللغوي في البنية مصدر اشتقاق الجملة على أساس أن تكون هذه البنية عبارة عن جملة مركبة تتكون من جملتين اثنتين. جملة "عليا" أو "حاكمة" وظيفتها التأشير للفعل اللغوي، وجملة "سفلى" أو "محكومة" تقوم بدور الدلالة على المحتوى القضوي. وحسب اقتراح روس تتكون الجملة العليا في هذه البنية من فعل إنجازي ومركبين اسميين يؤشران للمتكلم والمخاطب. وفي إطار هذا الاقتراح تكون البنية العميقة للجملة: الجو الجميل البنية التالية:



وتنقل البنية العميقة إلى بنية سطحية عن طريق تطبيق قاعدة الحذف التي تتخذ مجالا لها الجملة العليا[2]. فالجملة : الجو جميل (المحتوى القضوي) مشتقة من الجملة: أقول لك إن الجو جميل. إذا "يشتمل التمثيل الدلالي التحتي لكل قول على جملة سفلى محكومة تشكل المحتوى القضوي، وجملة حاكمة تشكل القوة الإنجازية، ويشكل الكل جملة مركبة، ومن ثمة فإن الجمل اللغوية برمتها، سواء كانت خبرية أم إنشائية، سيكون لها هذا التمثيل الدلالي التحتي"[3].

---

[1]- الزهري نعيمة، الأمر والنهي في اللغة العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية –سلسلة الأطروحات والرسائل: 2، جامعة الحسن الثاني عين الشق، د.ط.د.ت، ص 178-179.

[2]- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص 96-97.

[3]- الزهري نعيمة، الأمر والنهي في اللغة العربية، ص 179.

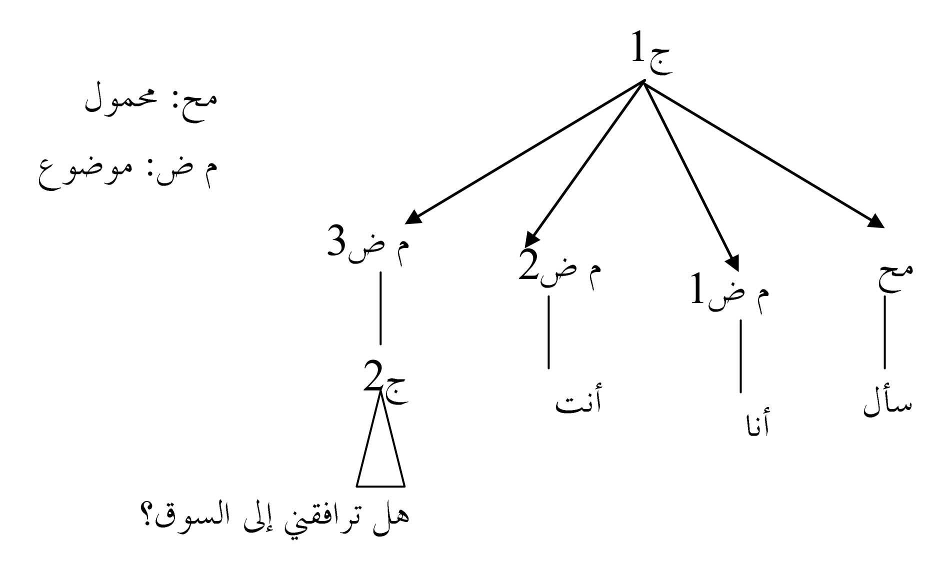
أمّا التمثيل للفعل الكلامي غير المباشر أو القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا فقد قدمت بصدده عدة اقتراحات أبرزها اقتراح جوردن D.Gordon ولايكوف G.lakoff واقتراح صادوك J.M.sadock

يقترح جوردن ولايكوف أن يمثل في مستوى البنية العميقة للقوة الإنجازية الحرفية. فالقوة الإنجازية الواردة هي القوة الإنجازية الحرفية، بمعنى أن تكون هذه القوة من العناصر المتواجدة في البنية المنطقية للجملة. أما القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا يتم استنباطها من المعنى الحرفي بالإستعانة بمسلمات الحوار وبطبيعة مقامية معينة أو بالموقف التواصلي[1].

وعليه فسيكون التمثيل المنطقي التحتي للجملة التالية:

هل ترافقيني إلى السوق؟

تمثيلا منطقيا للإستفهام وليس للإلتماس.



اقتراح صادوك:

يقترح صادوك بخلاف جوردن ولايكوف أن يمثل للقوتين الإنجازيتين الحرفية والمستلزمة معا في مستوى البنية العميقة. فكيف مثل للقوة الإنجازية الحرفية؟ وكيف مثل للقوة الإنجازية

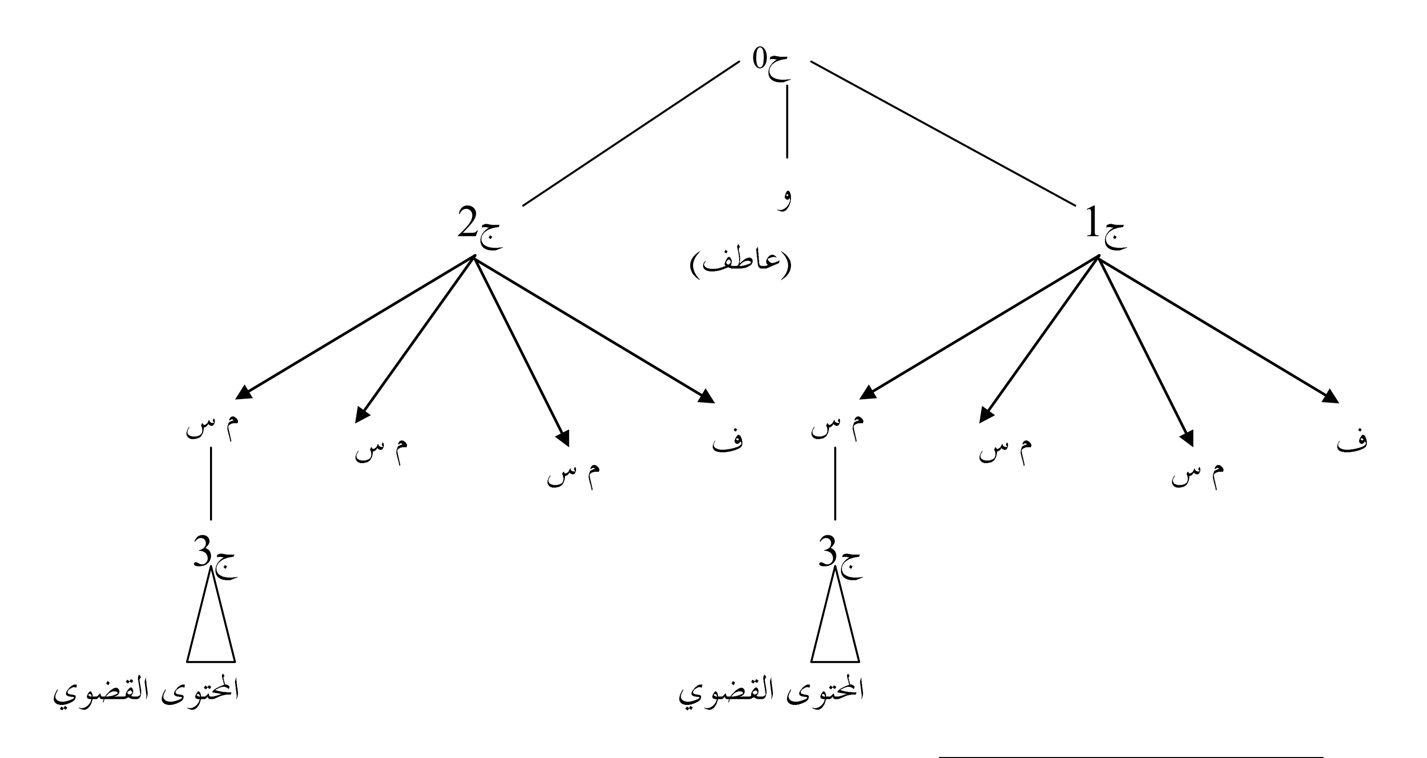
[1]- ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص 98-101.

المستلزمة؟ في كتابه "نحو نظرية لغوية للأفعال الكلامية" تصدى صادوك لدراسة القوة الإنجازية المستلزمة في اللغة الإنجليزية[1] مُركزا على الظواهر التالية:

- الجمل الإستفهامية- الإلتماسية
- الجمل الإستفهامية- الإخبارية
- الجمل الأمرية المستلزمة حواريا لمعنى غير معناها الحرفي كالإلتماس والتهديد والدعاء.

وبعد الدراسة توصل صادوك إلى أن هذه الجمل تحمل قوة إنجازية حرفية وقوة إنجازية مستلزمة. ويتم التمثيل للقوتين الإنجازيتين كما يلي:

تتكون البنية المنطقية العميقة للجملة ذات القوة المزدوجة من جملتين متعاطفتين كل منهما مركبة من جملة عليا وجملة سفلى. تمثل الجملة العليا في الجملة الأولى للقوة الإنجازية الحرفية، والجملة العليا في الجملة الثانية للقوة الإنجازية المستلزمة. في حين أن الجملة السفلى في الجملتين معا تمثل للمحتوى القضوي. ويتم نقل البنية المنطقية إلى بنية سطحية عن طريق تطبيق مجموعة من القواعد التحويلية أهمها قاعدة "تقليص العطف" وقاعدة "حذف الجملة الإنجازية" كما سنرى لاحقا[2]



---

[1] - Sadock.J.M, Toward a Linguistic Theory of Speech Acts, Academic Press, Newyork, San Fransisca, London, U.S.A, 1974, p111.

[2]- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص 101-102.

1- الجمل الإستفهامية الإلتماسية:

يورد صادوك أمثلة عديدة للجمل الإستفهامية في اللغة الإنجليزية ويتوصل إلى أن الإستفهام يخرج إلى معانٍ أخرى في سياقات مقامية معينة من بينها الإلتماس ويسمى هذا النوع من الجمل الجمل الإستفهامية- الإلتماسية whimperatives. وهذه الجمل تواكبها قوتان إنجازيتان: قوة إنجازية حرفية، الإستفهام، وقوة إنجازية مستلزمة، الإلتماس. والفرق بين الجمل الاستفهامية الحقيقية والجمل الإلتماسية هو أن الجمل الاستفهامية الحقيقية لا تعطف إلا على جملة استفهامية لاحقة

"True questions are conjoinable only with a subsequent question[1]"

من مثل : هل عندك أقارب بالمدينة؟ وهل أنت عضو بالنادي؟ أمّا الجمل الإستفهامية- الإلتماسية فقد تعطف عليها جمل غير استفهامية

″whimperatives,[….] Can be followed by conjoined non-questions″[2]

من مثل: هل تستطيع تحضير الغذاء؟ وأنا أساعدك في غسل الأواني. فالجملة الإستفهامية: هل تستطيع تحضير الغذاء؟ فيها معنى السؤال لأننا نستطيع أن نجيب عليها لغويا أو تصرفيا. وفيها معنى الإلتماس لأننا استطعنا أن نعطف عليها جملة غير استفهامية. ومن جهة أخرى فإن الإلتماس الحقيقي لا يمكن أن تساوقه جمل تبعث على الشك في شروط النجاح.

[these [unambiguous requests] can not coocur with clauses that call into doubt the felicity condition on questions″[3]

مثل: * هل تساعدني على حل التمرين أم أنك غير قادر على ذلك.

ويسوق صادوك رأي كرين (Green: 1972) التي عقدت مقارنة بين الجمل الإستفهامية الإلتماسية وبين الإلتماسات الأمرية imperative requests، فلاحظت أن هناك أجوبة تلائم الإستفهامات- الإلتماسية ولا تلائم الإلتماسات الأمرية فالجمل الإستفهامية- الإلتماسية تتطلب استجابة لغوية verbal response كالجواب بنعم عكس الإلتماسات الأمرية. من مثل: لماذا لا

---

[1] - Sadock, Towards…, p 112.
[2] - Ibid, p 112.
[3] - Ibid p 112.

تفتح النافذة؟ Why do not you open the window? فالجواب بنعم يبدو غريبا ومستهجنا"[1]

وفسّر صادوك نزوع المتكلمين إلى استعمال الإستفهامات الإلتماسية عوض الإلتماسات الأمرية إلى القواعد الثقافية التي توجه استعمال اللغة"

"Culture- specific rules of the use of language[2]"

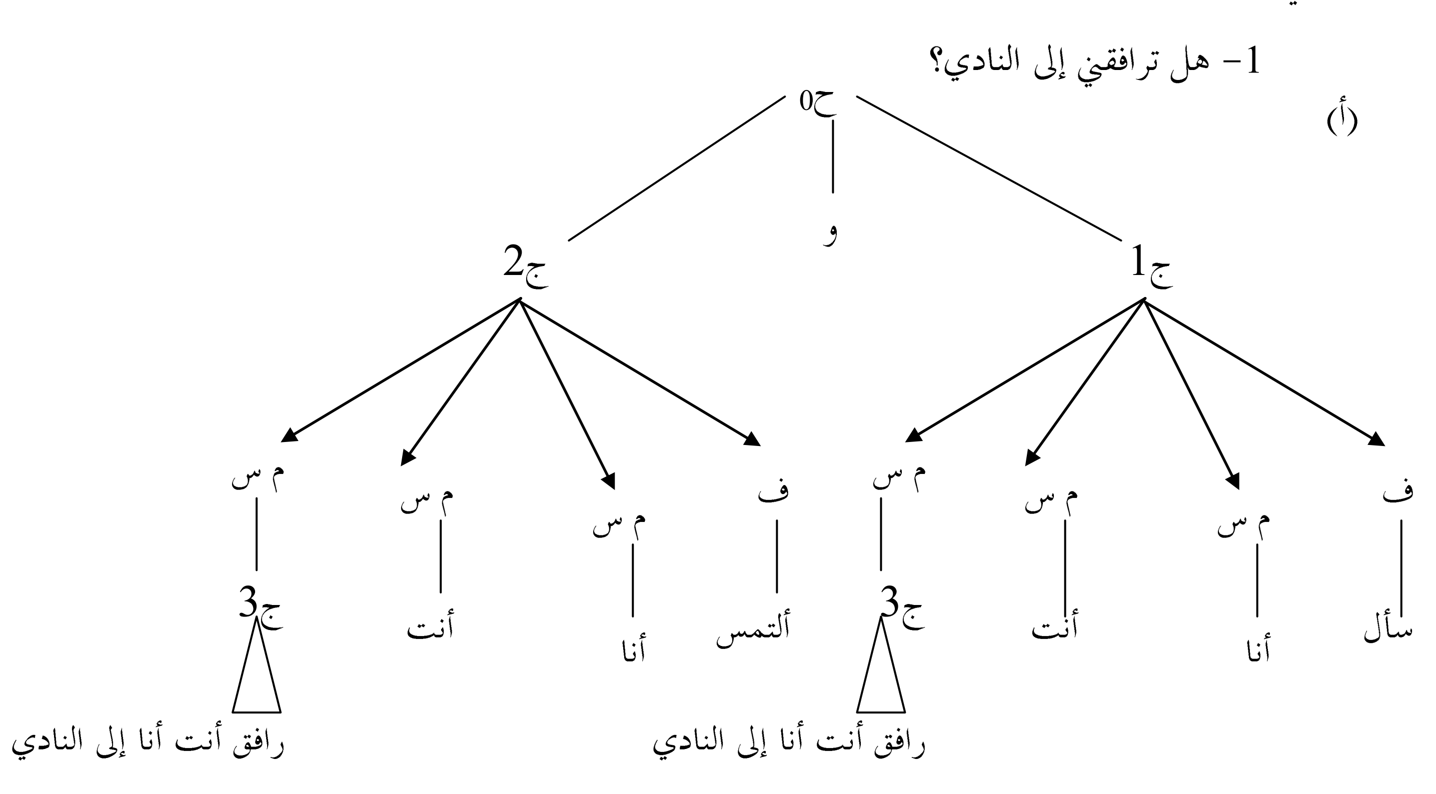
واقترح أن يشكل التعبير غير المباشر عن الإلتماس جزء من معنى الجملة. فالجملة الإنجازية المجردة التحتية بالنسبة للإستفهامات الإلتماسية تكون على هذا النحو: ألتمس منك بطريقة غير مباشرة.

"I Indirectly request of you[3]"

فالبنية المنطقية للجملة (1) باعتبارها حاملة للقوتين الإنجازيتين السؤال والإلتماس هي البنية التالية:

1- هل ترافقني إلى النادي؟

(أ)



وعن طريق تطبيق قاعدة "تقليص العطف" تنقل البنية (أ) إلى البنية (ب).

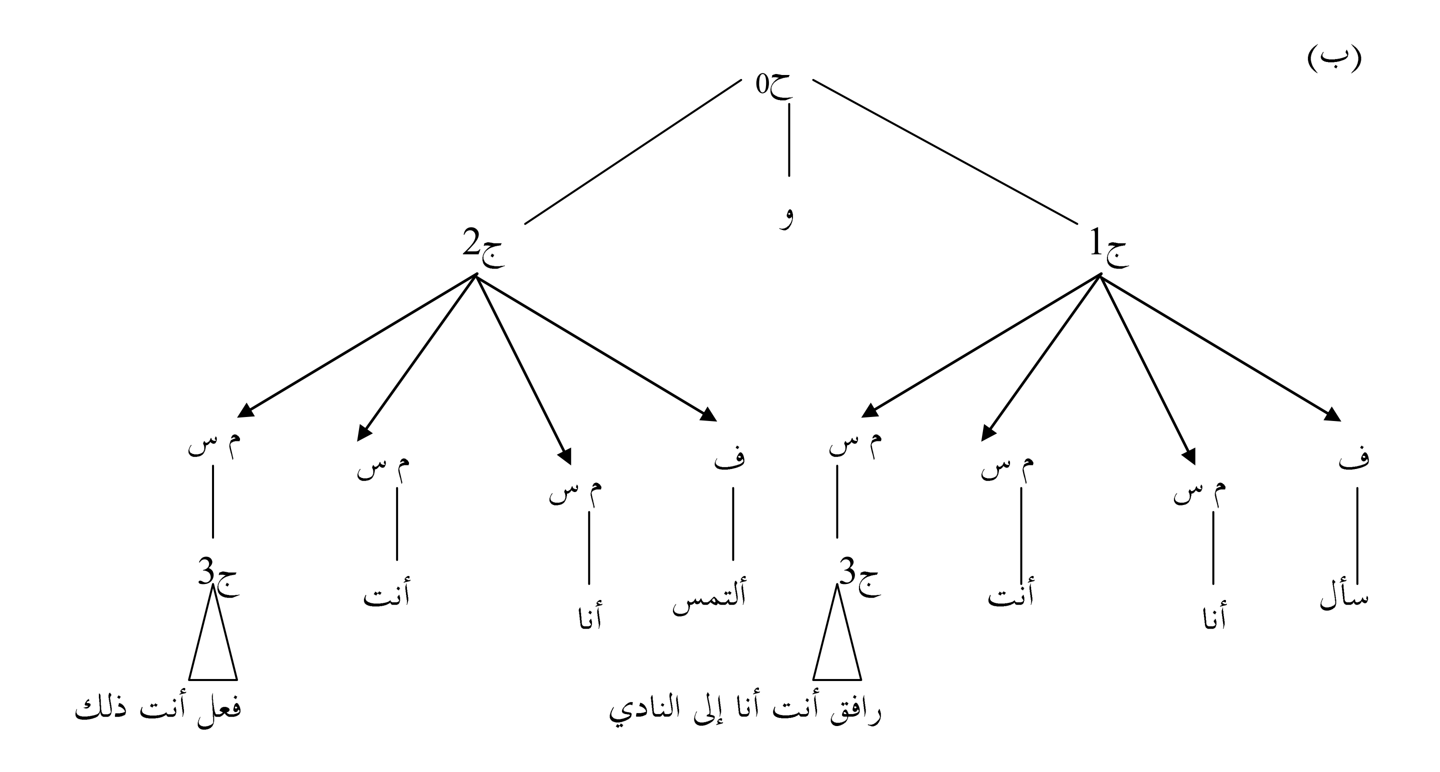
---

[1] - Sadock, Towards…, p 113.

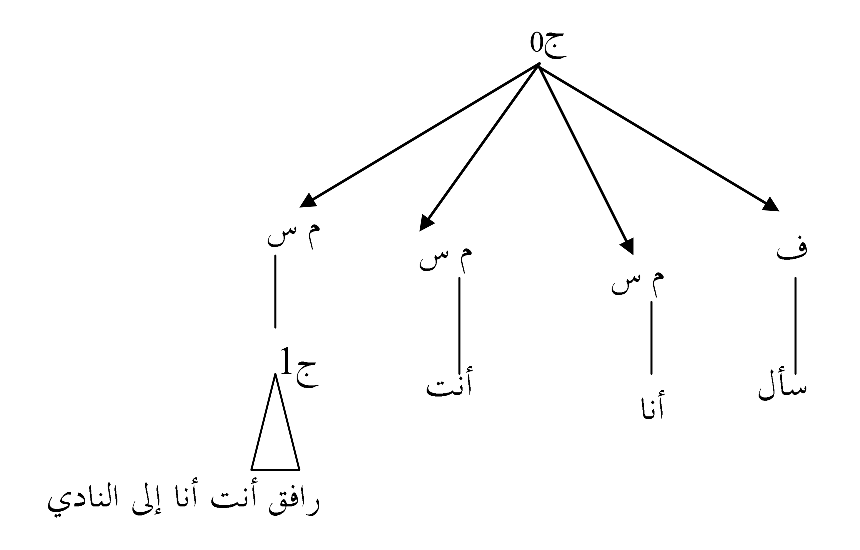
[2] - Ibid p 114.

[3] - Ibid p 114.

(ب)



وبموجب قاعدة "حذف الجملة الإنجازية" تنقل البنية (ب) إلى البنية (ج).



الجمل الإستفهامية الإخبارية:

كما درس صادوك نوعا آخر من الجمل الإستفهامية من مثل: ألم أكن صادقا معك؟

ووجد بأن المعنى العميق للجملة يمكن أن يؤول بالجملة الخبرية: لقد كنت صادقا معك.

وأطلق على هذا النوع من الجمل الجمل الإستفهامية- الإخبارية Queclaratives. وهذه الجمل تكون استفهامية سطحا، إخبارية عمقا، وتواكبها قوتان إنجازيتان: القوة الإنجازية الحرفية وهي الإستفهام، والقوة الإنجازية المستلزمة وهي الإخبار.

"The surface form appears to be that of a question but the underlying abstract performative is more like an assertion[1]"

ومن خصائص الجمل الإستفهامية- الخبرية أنها تبيح العطف على جمل غير استفهامية أي خبرية.

"Queclaratives allow subsequent non question conjuncts[2] "

مثل:

- قبل كل شيء أليست شيكاغو مدينة جميلة؟ وبالإضافة فيها مناطق راقية.

ومن ثمة فإن التأويل الدلالي لهذه الجمل يختلف عن التأويل الدلالي للجمل الإستفهامية الحقيقية الحاملة للقوة الإنجازية الحرفية، فقط، الإستفهام. وتستشهد نعيمة الزهري بالآيات القرآنية التالية: "أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾"[3] لتبين جواز عطف الجمل الخبرية على الجمل الإستفهامية إذا كانت لها القوة الإنجازية نفسها كما بين ذلك صادوك. تقول: "إذا كان من قيود عطف الجمل أن تناظر الجملة المعطوف عليها من حيث القوة الإنجازية المواكبة لها، فإن من شأن القوة الإنجازية المستلزمة أن تخرق هذا القيد، فتبيح عطوفا ممتنعة كعطف جملة خبرية على جملة استفهامية، وهذا ما لمسناه في الآيات الكريمة، فالذي

---

[1] - Sadock, Towards a linguistics…, p 81.

[2] -Ibid, p 125.

[3] - الضحى: 6-7-8.

صوغ العطف أن الآية الأولى المعطوف عليها خبرية من حيث قوتها الإنجازية المستلزمة"[1] ولمزيد من التوضيح نورد الأمثلة التالية:

1-أ-هل حضر المدعوون وهل استقبلتهم هند؟

* ب-هل حضر المدعوون واخرج لاستقبالهم !

2- ألم أعرك الدار ووهبتك المال؟ !

ما يسوغ ويبيح العطف في الجملة (1-أ) هو أن قوتيهما الإنجازية واحدة وهي "الإستفهام" ويعتبر التركيب (1-ب) لاحنا لأن قوتي الجملتين الإنجازيتين المعطوفتين مختلفتان بحيث عطف أمر على استفهام.

أما ما يسوغ العطف في التركيب (2) ويجعل منه تركيبا نحويا رغم أنه لا يستجيب لقيد تناظر القوى الإنجازية حيث عطف "خبر" على "استفهام" هو أن الجملة المعطوف عليها تحمل قوة إنجازية مستلزمة تماثل القوة الحرفية للجملة المعطوفة وهي "الإخبار"[2].

كما تجدر الإشارة أن الجمل الإستفهامية المنفية تنزع قوتها الإنجازية المستلزمة إلى التحجر فتصبح بذلك القوة الإنجازية الوحيدة المواكبة للجملة. فالذي يتبادر إلى الفهم في مثل هذه الأمثلة هو الإخبار المثبت.

ألم أنذرك؟_ لقد أنذرتك

ألم أساعدك؟_ لقد ساعدتك

ألم أحذرك؟_لقد حذرتك

الجمل الأمرية:

يعرفها صادوك بأنها الجمل التي تفتقر إلى فاعل ظاهر (فعلي) overt subject لكن فاعلها المنطقي يحيل على المخاطب. ونبه إلى أن الأمريات تشمل عدة أفعال كلامية منها الجمل التعليمية أو التوجيهية الموجودة عادة في الكتب المدرسية، والوصفات، واللافتات... وهذا الصنف من الأفعال يختلف عن الإلتماسات فالتعليمات في هذا النوع من الجمل تكون في صالح وخدمة

[1]- نعيمة الزهري، الأمر والنهي في اللغة العربية، ص 201.

[2]- أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، ط1، 1993، ص 32.

المخاطب وليس المتكلم. كما أنها تقتضي تنفيذ الفعل. ولهذا فهذا الصنف من الأفعال ذو حمولة دلالية متميزة لتميز وظيفتها،[1] كما أنها تخضع لأنماط من الحذف من مثل:

- يحفظ بعيدا عن متناول الأطفال.
- حرك جيدا قبل الاستعمال[2].

والعبارة المحذوفة هنا "الدواء".

أما النوع الآخر من الأمريات فهي الجمل الأمرية التي تتباين قوتها الإنجازية المستلزمة تبعا لتباين الطبقات المقامية التي قيلت فيها. فقد يخرج الأمر إلى معنى التهديد threat، أو التحذير warning، أو الوعد promise.[3] مثل:

- قم بواجبك المترلي وستأخذ علامة جيدة.

فهذه الجملة وفي طبقة مقامية معينة تحتمل الوعد وخصوصا لما تقال من أستاذ إلى تلميذه.

كما أن الوعود ترد في صورة جملة شرطية مثل:

إذا قمت بواجبك المترلي، ستأخذ علامة جيدة.

وقد يخرج معنى الأمر إلى معنى التهديد مثل:

أثبتوا إن كنتم رجالا... !

فقوتها الإنجازية الحرفية هي "الأمر"، أما قوتها الإنجازية المستلزمة فهي التهديد، فالبنية المنطقية للجملة باعتبارها حاملة للقوتين الإنجازيتين: "الأمر" و"التهديد" هي البنية التالية:

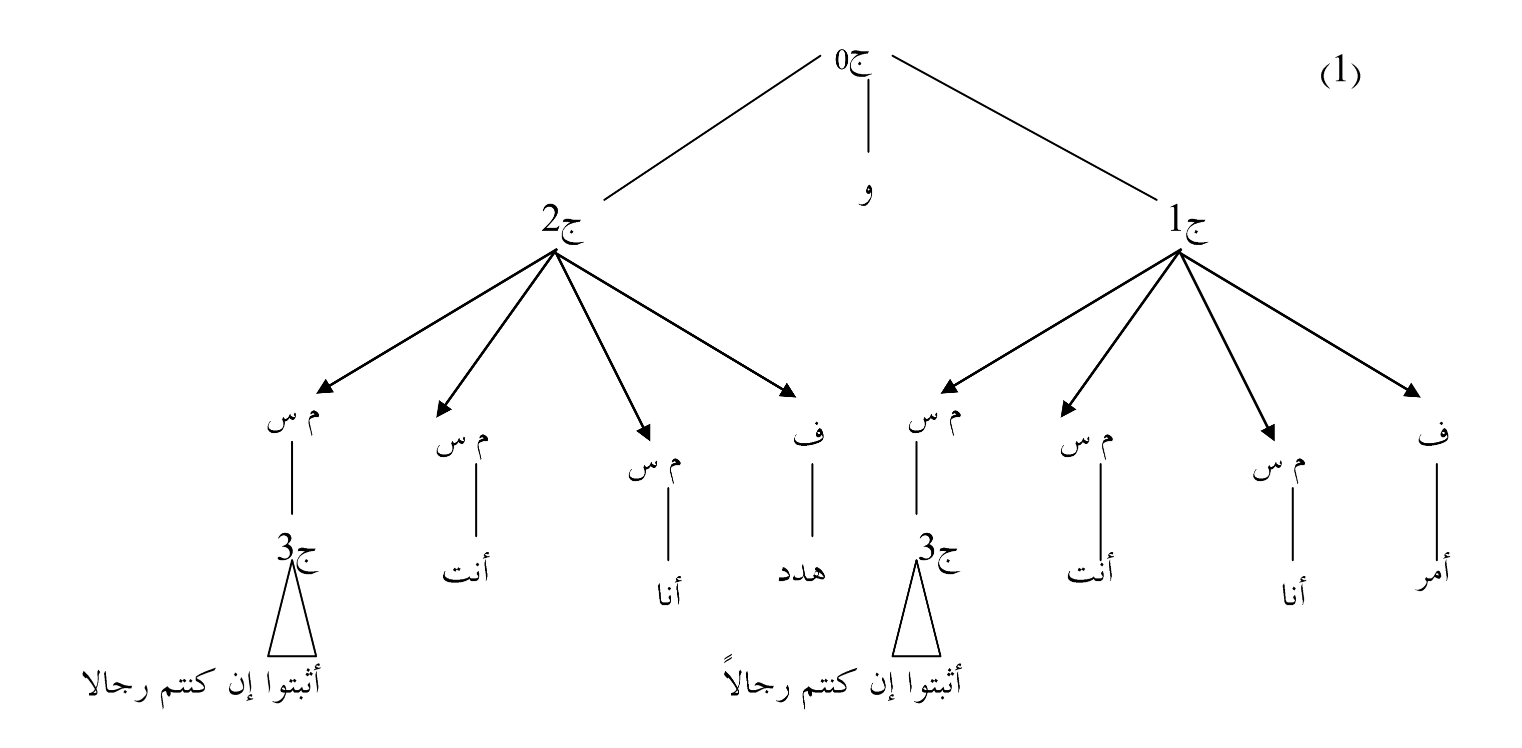
---

[1] - Sadock, Toward a linguistic theory of speechacts, p 139-140.

[2] - Ibid. p 141.

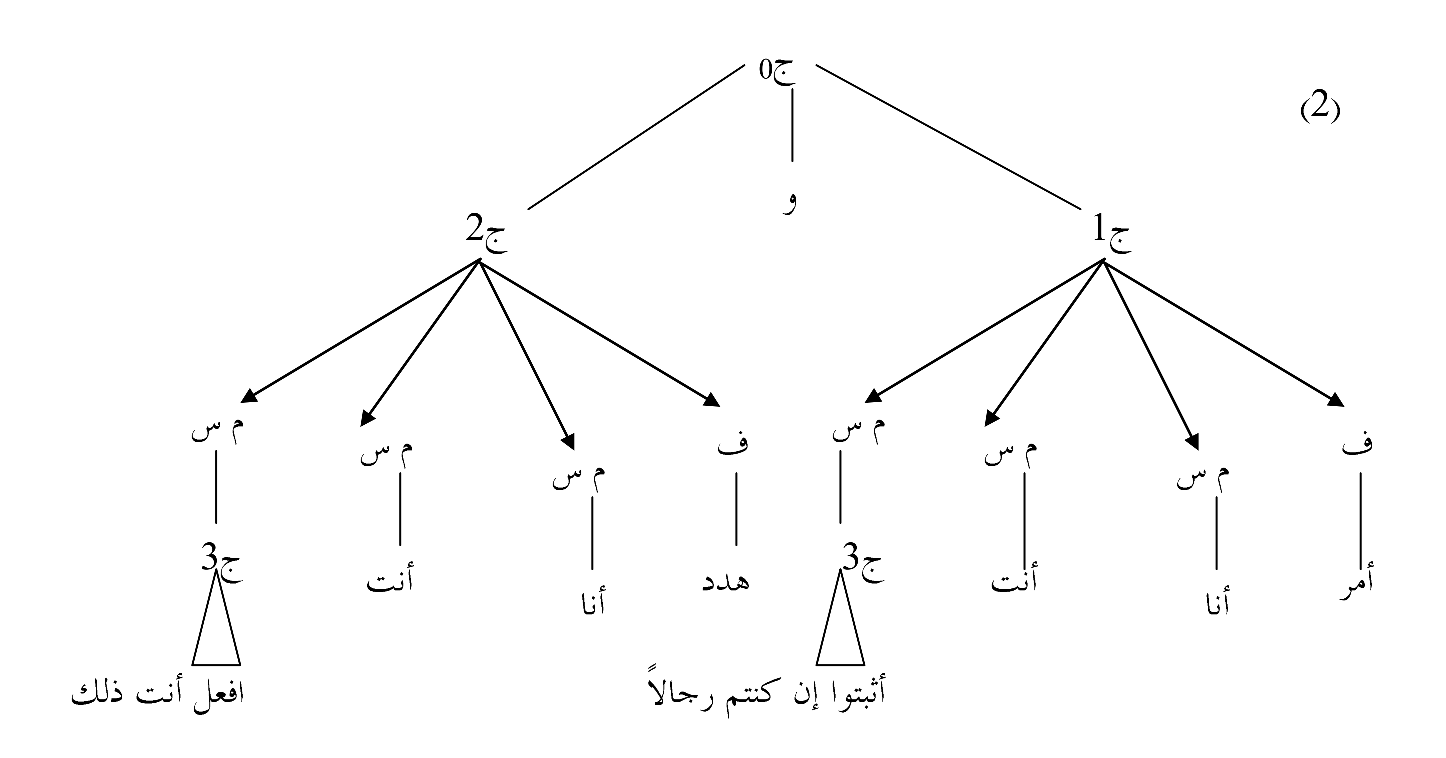
[3] - Ibid. p 143.

(1)



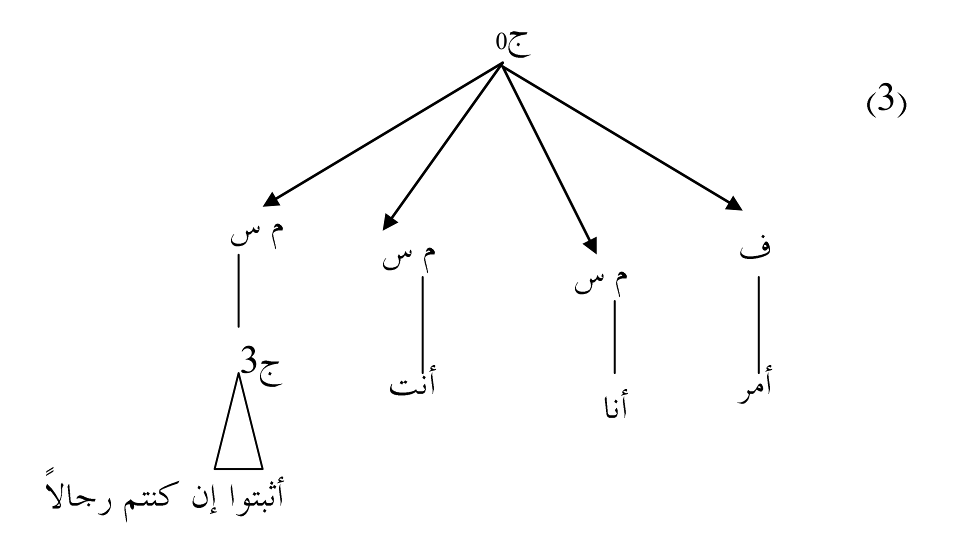
ويتم نقل البنية المنطقية إلى بنية سطحية عن طريق إجراء مجموعة من القواعد التحويلية منها قاعدة "تقليص العطف" وقاعدة "حذف الجملة الإنجازية". فتنتقل البنية (1) إلى البنية (2)

(2)



وبموجب قاعدة حذف الجملة الإنجازية تنقل البنية (2) إلى البنية (3) باعتبارها بنية غير سليمة، إذ يتعذر الجمع بين الأمر والتهديد في جملة واحدة كما يظهر في الجملة اللاحنة التالية:

*آمركم أن تثبتوا إن كنتم رجالا، وأهددكم إن لم تفعلوا ذلك.



وتجدر الإشارة إلى أن القوة الإنجازية الحرفية مدلول عليها بطريقة مباشرة بصيغة العبارة، في حين أن القوة الإنجازية المستلزمة تتولد عن القوة الإنجازية الحرفية طبقا لمقتضيات مقامية معينة. والفرق بين القوتين أن القوة الإنجازية الحرفية تظل ملازمة للعبارة اللغوية في مختلف المقامات التي يمكن أن ترد فيها؛ بينما القوة الإنجازية المستلزمة يمكن أن تلغى، ولا يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية عكس القوة الحرفية التي تتولد مباشرة من صيغة العبارة[1].

وختاما يمكن إجمال المبادئ الأساسية للفرضية الإنجازية في النقاط التالية:

1- فرضية الإضمار الإنجازي: بمعنى أن التمثيل الدلالي التحتي للجمل يتكون من بنيتين:

- بنية عليا تشكل القوة الإنجازية للجملة المعطاة.
- بنية سفلى تشكل المحتوى القضوي.

2- فرضية الفعل الإنجازي: الجملة العليا التي تشكل القوة الإنجازية يفترض أن تكون مشتملة على فعل إنجازي: قال، أمر، التمس.

[1]- أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص 22-23.

3- فرضية الفاعل والمفعول العلويين: يراد بالفعل العلوي المركب الاسمي المؤدي لوظيفة الفاعلية "أنا" ويراد بالمفعول العلوي المركب الاسمي المؤدي لوظيفة المفعولية "أنت" وهما يشكلان مكونين من مكونات الجملة العليا.

4- فرضية الحذف الإنجازي: ويشمل الحذف حذف الجملة العليا المتكونة من فعل الإنجاز والفاعل"أنا" والمفعول "أنت"[1].

5- اعتماد الفرضية الإنجازية في التمثيل للقوة الإنجازية الحرفية والقوة الإنجازية المستلزمة

وبهذا يكون الفعل الكلامي قد تجاوز أطر فلسفة اللغة ودخل النحو التوليدي التحويلي ليفسر مجموعة من المعطيات اللغوية، ويرصد الخصائص الدلالية، والتركيبية والتنغيمية كجمل اللغات الطبيعية. كما أن إدخال الفعل الكلامي والبعد التداولي إلى النحو التوليدي التحويلي شكل خرقا لمبدإ من أهم المبادئ التي قام عليها هذا النحو ألا وهو مبدأ استقلال التركيب عن الدلالة.

[1] - Sadock, Toward a Linguistic…, p 17.

المبحث الثاني: التأصيل لأفعال الكلام في الدرس العربي القديم

الخبر والإنشاء:

الأفعال الكلامية في التراث العربي تندرج ضمن مباحث "علم المعاني" وتتحدد ضمن الظاهرة الأسلوبية الموسومة "بالخبر والإنشاء" أو "الطلب" وقد اهتم بدراسة هذه الظاهرة النحاة والبلاغيون والأصوليون. كما انفرد الفلاسفة والمناطقة بدراسة الخبر بعد أن ميزوه عن الإنشاء، وبينوا حدود كل منهما. وقد مرت نظرية "الخبر والإنشاء" بمراحل انتقلت فيها من آراء وملاحظات متفرقة إلى أصول ناضجة ومباحث مؤسسة بعد أن خضعت مصطلحاتها لبحوث مستفيضة وآراء مختلفة ليستقر في الأخير جهازها المصطلحي والمفاهيمي. فعلى أي أساس ميزوا بين الأسلوبين؟

إنّ أول المعايير التي اعتمدها العلماء القدماء للتمييز بينهما هو معيار الصدق والكذب. وإذا كان الكلام هو "كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه"[1]، فإن ابن سينا (ت 428هـ) يقسمه إلى خبر وطلب. و"الخبر أو القضية هو الذي يصلح أن يصدق أو يكذب، وبعض ذلك ليس قضية [...] كالتركيب الذي في الدعاء، والمسألة، والأمر، والنهي، والنداء"[2]. ويعضد هذا الكلام التعريف الذي أورده نجم الدين الكاتبي القزويني (ت 493هـ)" الكلام التام إن احتمل الصدق والكذب فهو الخبر والقضية وإن لم يحتمل فهو الإنشاء"[3].

وإن كان السكاكي (ت 626 هـ) يعتقد أن لا حاجة للتعريف الحدي للخبر والطلب إلا أنه يعرفهما بلوازمهما فـ "الخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب، أو التصديق والتكذيب، [...] [أو] هو القول المقتضي بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو الإثبات"[4] والطلب هو ما "يستدعي مطلوباً لا محالة، ويستدعي، فيما هو مطلوبه أن لا يكون حاصلا وقت الطلب"[5] ويؤكد السكاكي "أن الخبر والطلب بعد افتراقهما بحقيقتهما يفترقان باللازم المشهور، وهو احتمال

---

[1]- ابن يعيش موفق الدين يعيش ابن علي، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت. د.ط، د.ت، مج 1، ج 1، ص 20.

[2]- نقلا عن: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 86.

[3]- المرجع نفسه، ص 85-86.

[4]- السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1407هـ-1987م، ص 164.

[5]- المرجع نفسه ، ص 302.

الصدق والكذب"[1] فالخبر إذا هو الكلام التام المفيد الذي يقبل الصدق والكذب، والإنشاء أيضا هو الكلام المفيد التام ولكنه لا يقبل صدقا ولا كذبا.

ويذكر السيوطي عدة أقوال في أقسام الكلام وإن أكد على انحصاره في الخبر والإنشاء ومنها أن الكلام "خبر، وطلب، وإنشاء [...] لأن الكلام إما أن يحتمل التصديق أو التكذيب أولا. الأول الخبر. والثاني إن اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء، وإن لم يقترن بل تأخر عنه فهو الطلب. والمحققون على دخول الطلب في الإنشاء وأن معنى اضرب مثلا هو طلب الضرب مقترن بلفظه، وأما الضرب الذي يوجد بعد ذلك فهو متعلق الطلب لا نفسه"[2] فهذا التعريف جعل الإنشاء قسيما للطلب وقرينا له في مخالفتهما للخبر.

غير أن الخطيب القرويني (ت 793هـ) يقسم الكلام إلى خبر وإنشاء. ويقسم الإنشاء إلى ضربين: طلب وغير طلب. "والطلب يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل وهو المقصود بالنظر"[3] ويشمل الإنشاء الطلبي: الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والتمني. ويشمل الإنشاء غير الطلبي: الترجي، والقسم، والمدح، والذم، والتعجب، وصيغ العقود. وتعتبر هذه الأساليب الخبرية والإنشائية أفعالا كلامية إنجازية بتعبير أوستين وسورل والتداوليين عموما.

ومن العلماء من سعى إلى تحديد كليهما اعتمادا على معيار مطابقة النسبة الخارجية. يقول القزويني إن الكلام "إما خبر أو إنشاء؛ لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج. الأول الخبر، والثاني الإنشاء"[4]. وقد نحا ابن خلدون (ت 808هـ) المنحى نفسه

---

[1]- السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 165.

[2]- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، قدم له وعلق عليه محمد شريف سكر، راجعه مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1407هـ-1987م، ج 2، ص 209.

[3]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق وتعليق وفهرسة غريد الشيخ محمد- إيمان الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ-2004م، ص 95.

[4]- المرجع نفسه، ص 18.

لما قسم الجمل الإسنادية إلى جمل خبرية وإنشائية، وذهب إلى أن "الجمل الإسنادية تكون خبرية وهي التي لها خارج تطابقه أولا، وإنشائية، وهي التي لا خارج لها كالطلب وأنواعه"[1].

فالخبر، إذا، ما كان له واقع يطابقه أو لا يطابقه، فإن طابقه فهو صادق، وإن لم يطابقه فهو كاذب. أما الإنشاء فليس له واقع يطابقه أو لا يطابقه. ولا يوصف بصدق ولا كذب.

ومن المعايير التي يتميز بها الخبر عن الإنشاء أن الخبر له نسبتان نسبة كلامية ونسبة خارجية عكس الإنشاء الذي ليست له نسبة خارجية قبل زمن التلفظ به وله نسبة واحدة هي النسبة الكلامية. "الإنشاء ما يحصل مدلوله في الخارج بالكلام والخبر خلافه. و[...] الكلام إن أفاد بالوضع طلبا فلا يخلو أن يكون بطلب ذكر الماهية أو تحصيلها أو الكفّ عنها، والأول الاستفهام، والثاني الأمر، والثالث النهي وإن لم يفد طلبا بالوضع، فإن لم يحتمل الصدق والكذب سمي تنبيها وإنشاء لأنك نبهت به عن مقصودك وأنشأته، أي ابتكرته من غير أن يكون موجودا في الخارج سواء أفاد طلبا باللازم كالتمني والترجي والنداء والقسم أم لا كأنت طالق وإن احتملهما من حيث هو فهو خبر"[2]. فالنسبة الخارجية للإنشاء يوجدها الإنشاء نفسه.

"فالإنشاء موجد دون الخبر والخبر واصف دون الإنشاء"[3] لأن نسبته الخارجية موجودة قبل التلفظ، ولا يؤثر في وقوعها. أما الإنشاء فليس له حقيقة مرجعية في الواقع الخارجي بل له نسبة لغوية تتسبب في نشوء نسبة ثانية تكون نتيجتها إنجاز فعل ما بتعبير أوستين.

ومن العلماء من أدخل قرينة القصد للتمييز بين الأسلوبين لأن التصور المنطقي وحده غير كاف. فقصد المتكلم منحى تداوليا مهما للتفريق بين الخبر والإنشاء. فقد ذهب إبراهيم الشيرازي (ت 476هـ) إلى أن الكلام "يصير خبرا إذا انضم إلى اللفظ قصد المتكلم الإخبار به"[4] فبالإضافة إلى اللفظ الدال بالوضع على الخبر يعد قصد المتكلم وغرضه من الخطاب قرينة أساسية للحكم على خبرية الجملة أو إنشائيتها إذا كان قصد المتكلم غير الإخبار.

---

[1]- ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين، مقدمة: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، نسخة محققة لونان بإخراج جديد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1424هـ -2004م، ص 571.

[2]- السيوطي، الإتقان...، ج2، ص 210.

[3]- مسعود صحراوي، التداولية...، ص 100.

[4]- المرجع نفسه، ص 106.

يقول مسعود صحراوي- بعد أن أورد آراء العلماء العرب المختلفة للتمييز بين الخبر والإنشاء- إن "آخر ما استقرت عليه البلاغة العربية في مراحل نضجها هو التصور الذي يميز بين الأسلوبين بمعيار "القصد"، ومعيار "إيجاد النسبة الخارجية"، و[...] أن الأول من هذين المعيارين معيار تداولي والثاني منهما معيار منطقي"[1]. ويخلص بتصور مفاده أن الخبر "هو الخطاب التواصلي المكتمل إفاديا والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تطابق نسبته الخارجية، وأن الإنشاء هو الخطاب التواصلي المكتمل إفاديا والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن توجد نسبته الخارجية"[2]

ويثمن محمود أحمد نحلة جهود العلماء العرب في دراسة الظاهرة ويذهب إلى أن "منطلق التفكير في هذه النظرية عند أوستين وعند علمائنا واحد، فهم لم يقصروا الكلام [...] على ماله واقع إذا طابقه كان صادقا، وإذا لم يطابقه كان كاذبا بل تجاوزوا ذلك إلى ما سعى أوستين جاهدا لإثباته وعدّه فلاسفة اللغة الغربيون إنجازا كبيرا، وهو أن من الكلام ما لا واقع له يطابقه أو لا يطابقه، ولا يوصف بصدق ولا كذب، ووصلوا إلى الفكرة المحورية التي كانت المنطلق إلى وضع هذه النظرية، وهي أن من الكلام ما يكون فعلا أو إيقاعا لفعل بلفظ يقارنه في الوجود"[3].

وهذا ما سأقف عنده عند تناول الظاهرة عند النحويين، والبلاغيين، والأصوليين.

1- المقاربة النحوية:

تصدى النحاة العرب القدماء لدراسة جملة من الظواهر النحوية والصرفية، والصوتية ضمن أبواب كثيرة ومباحث متعددة، فكيف كانت هذه الدراسة؟ هل كانت دراسة شكلية بنيوية خالصة؟ أم دراسة سياقية تداولية؟.

من الباحثين من ذهب إلى أن الدراسات النحوية العربية كانت دراسات شكلية "اتسمت بسمة الاتجاه إلى المبنى أساسا و لم يكن قصدها إلى المعنى إلا تبعا لذلك وعلى استحياء"[4]. فالاهتمام كان منصبا على المعنى النحوي أساسا أما المعنى المقامي فكان يؤتى به لتفسير اللفظ؛ لذلك كان احتفاؤهم بالصيغة أكثر من احتفائهم بمعناها. فـــ "الجانب التحليلي من دراسة النحو لا يمس معنى

---

[1]- مسعود صحراوي، التداولية...، ص 115.

[2]- المرجع نفسه، ص 109-110.

[3]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي...، ص 97.

[4]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط.، 1418هــ-1998م، ص 12.

الجملة في عمومه لا من الناحية الوظيفية العامة كالإثبات، والنفي والشرط والتأكيد والاستفهام والتمني [...]. ولا من ناحية الدلالة الاجتماعية التي تنبني على اعتبار المقام في تحديد المعنى". فدراستهم للنحو كانت دراسة "تحليلية لا تركيبية أي أنها كانت تعنى بمكونات التركيب أي بالأجزاء التحليلية فيه أكثر من عنايتها بالتركيب نفسه"[1] فعلى قول تمام حسان فالنحاة لم يتفطنوا إلى طبيعة التعارض الممكن حدوثه بين النظام ومطالب السياق، ولم يدركوا أن السياق يفرض عناصر جديدة من المكونات التحليلية تعتبر حلولا لما قد يكون من تضارب بين السياق وبين النظام[2].

ومن الباحثين من ذهب إلى أنّ نحوهم لم يكن شكليا خالصا. لأنهم درسوا أغراض الأساليب ومقاصدها، وملابسات الخطاب ودلالته، ولم يفصلوا بين المبنى والمعنى، واعتبروا الإعراب فرع المعنى. ودرسوا اللغة دراسة وظيفية تداولية تناولوا فيها وجه الربط بين الخصائص الصورية للعبارات اللغوية وخصائصها التداولية[3].

ولعّل القول الراجح هو ضرورة التمييز بين نوعين من الدراسات النحوية. فبالنظر إلى العصور التي ينتمي إليها النحاة يمكن تصنيفهم إلى فريقين: متقدمين ومتأخرين. ولكل فريق مواصفاته الناجمة عن اختلاف المشارب والتوجهات التي انعكست على آليات الوصف، وأنماط التحليل، وطرق التأليف. "فريق يصدر في أوصافه عن اقتناعه بأن بنية العبارة اللغوية تعكس حمولتها الدلالية والأغراض الكلامية التي تحققها في الطبقات المقامية المختلفة، وفي مقدمته سيبويه، وابن هشام"[4]، وفريق ثان أقصى "العناصر المقامية من آلياته الوصفية، وانصبت تحليلاته على البنية التركيبية للجملة أو النص، ويمثله الزمخشري في "مفصله"، وابن مالك في "ألفيته"، و"الشراح المتأخرون"[5]. وتجدر الإشارة إلى أنّ النحاة تتفاوت درجاتهم في الأخذ بالعنصر المقامي باعتباره يشكل جزءً من القاعدة اللغوية. فعلى سبيل المثال "إذا كان سيبويه يكتفي بإعطاء أوصاف تقريبية للعناصر المقامية، فإن ابن هشام يتوسل بمفاهيم محددة، وجهاز واصف كفيل برصد المسائل

1- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 16.

2- المرجع نفسه، ص 17.

3- مسعود صحراوي، التداولية....، ص 217-218.

4- نعيمة الزهري، الأمر والنهي في اللغة العربية، ص 82.

5- المرجع نفسه، ص 82.

والظواهر التي يروم مقاربتها"[1]. فها هو ذا –ابن هشام- ينصح المعرب أن يفهم معنى ما يعربه مفردا ومركبا حتى لا يقع في الوهم، ويستدل بأمثلة أخطأ فيها المعربون لأنهم راعوا "ما يقتضيه ظاهر الصناعة"[2] و لم يراعوا المعنى. ويقول في مثل هذه الأمثلة المشكلة: "متى بُني فيها على ظاهر اللفظ و لم ينظر في موجب المعنى حصل الفساد"[3].

وصنّف النحاة الجمل أسلوبيا إما خبرية أو إنشائية. فكون الجمل خبرية أو إنشائية يؤثر في طبيعة تركيبها، وفي قواعدها، وفي تحليلها نحويا ولاسيما إذا اتخذت أدوارا وظيفية حسب المقامات التي ترد فيها. فالدراسة النحوية للأفعال الكلامية –الخبر والإنشاء- تنزع إلى الاهتمام بالصيغ الشكلية، وبالعبارات اللغوية التي تؤدي هذه الأفعال سواء كانت إخبارا، أو استفهاما، أو أمرا، أو نهيا، أو نداء، وبالعمليات التركيبية التي تخضع لها هذه العبارات من تقديم وتأخير، وحذف، ووصل وفصل دون إغفال علاقة هذه الأفعال بعضها ببعض لأن بعض النحاة لم يقفوا عند البنية الخارجية أو الصيغة الشكلية بل تجشموا مشقة التنقيب عن المعاني والتفسيرات الثاوية خلف التراكيب والصيغ التي غالبا ما تخرج عن معناها الأصلي والمباشر إلى معان ضمنية وغير مباشرة يفسرها المقام التي وردت فيه. وبعبارة أخرى فهؤلاء درسوا القوى الإنجازية الحرفية للأفعال الكلامية مقرونة بصيغها المتعارف عليها، كما درسوا القوى الإنجازية المستلزمة مقاميا وفي طبقات تواصلية معينة. فكثير من المعاني أي الأعمال اللغوية ليست حادثة عن الصيغة اللغوية التي تنجز فيها إنما هي مقامية الأصل، تداولية النشأة -كما سنرى من خلال الأمثلة التي ساقها النحاة. فـــ "الحديث عن المعاني الفروع بدأ في مؤلفات النحاة غير منفصل عن المعاني الأصول، وذلك قبل أن يصبح مبحثا خاصا من مباحث علم المعاني"[4] وهذا دليل على أن نحوهم لم يكن منفصلا عن أصول الاستعمال وقواعده. فقد "أدرك النحاة بعد أن اختبروا بنية الجملة العربية أن الأصل فيها أن يتفق لفظها مع معناها، فتكون خبرية لفظا ومعنى أو إنشائية لفظا ومعنى، بيد أن هذا الأصل خولف في الاستعمال؛ ومن ثم قالوا بجملة خبرية لفظا إنشائية معنى، وبجملة إنشائية لفظا خبرية

[1]- نعيمة الزهري، الأمر والنهي في اللغة العربية ، ص 82.

[2]- ابن هشام الأنصاري أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، د.ط، 1992، ج 2، ص 605.

[3]- المرجع نفسه، ص 607.

[4]- الشاوش محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية...، ج 2، ص 869.

معنى، وبهذا الأصل حددّ البلاغيون معاني الخبر والإنشاء، ورأوا أن خروج الكلام عن أصله يكون لمعنى، فالأصل في الأمر مثلا هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، ولكن قد يجيء لمعان أخرى مثل. الدعاء والتحذير والتسوية والتهديد...[...] وأن قرائن الأحوال هي التي ترجح معنى على آخر"[1] وهذا ما سأتطرق إليه من خلال دراسة بعض الأساليب.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، كيف ننجز الأشياء بالكلمات (2) مجلة كلية دار العلوم –القاهرة، العدد 19، ص 40.

الخبـــر:

من الظواهر اللغوية التي تصدى لها النحاة خروج الخبر عن معناه الأصلي إلى معان أخرى يقتضيها المقام. فقد يخرج الخبر إلى الأمر، والعرض، والدعاء. ومن أمثلة خروج الخبر إلى الأمر ما ذكره ابن هشام (ت 761هـــ) في قول العرب: "اتقى الله امرؤ فعل خيرا يثب عليه" بالجزم فوجهه أن اتقى الله وفعل. وإن كانا فعلين ماضيين ظاهرهما الخبر إلا أن المراد بهما الطلب والمعنى ليتق الله امرؤ وليفعل خيرا"[1] كما يستشهد بقوله تعالى: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّـٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾"[2]

فجزم "يغفر" لأنه جواب لقوله تعالى: "تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون" لكونه في معنى آمنوا وجاهدوا، وليس جوابا للإستفهام، لأن غفران الذنوب لا يتسبب عن نفس الدلالة، بل عن الإيمان والجهاد"[3].

ويقول ابن يعيش "ما كان في معنى الأمر والنهي إذا أجيب يكون مجزوما لأن العلة في جزم جواب الأمر إنما كانت من جهة المعنى لا من جهة اللفظ. وإذا كانت من جهة المعنى لزم في كل مكان معناه معنى الأمر"[4] ومعنى اتقى الله ليتق الله وليفعل خيرا فليس المراد الإخبار، وإنما يقوله مثلا الواعظ حاثا على التقى والعمل الصالح. ويضيف ابن يعيش "ويُقدّر بعده حرف الشرط كما كان يقدر بعد الأمر الصريح"[5].

---

[1]- ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين، شرح قطر الندى وبل الصدى، طبعة جديدة منقحة مذيلة بالفهارس، ومعه كتاب سبيل الهدى، بتحقيق شرح قطر الندى، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط1، 1417هـــ -1996م، ص 103.

[2]- الصف: 10-11-12

[3]- ابن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص 103.

[4]- ابن يعيش، شرح المفصل، ج 7، ص 49.

[5]- المرجع نفسه، ص 49.

ومن أمثلة خروج الخبر إلى الدعاء قولهم "رحمه الله لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر"[1]. وعلّل المبرد تحقق معنى الدعاء والقسم بلفظ الخبر قائلا: "علم السامع أنك لا تخبر عن الله عزّ وجلّ وإنما تسأله. كما أنّ قولك علم الله "لأقومنّ" إنّما لفظه لفظ رزق الله "ومعناه القسم" لأنك في قولك مستشهد"[2]. فعدد من المعاني إذا ليست حادثة عن الصيغة اللغوية التي تنجز فيها وإنما هي مقامية الأصل. والمقام الذي تستعمل فيه الصيغة اللغوية هو الذي يفسر سبب الانتقال من معنى إلى معنى آخر، كانتقال الخبر إلى الدعاء. ويقول المبرد أيضا "قد يدخل المعنى في اللفظ ولا يدخل في نظيره، ضمن ذلك قولهم علم الله لأفعلن لفظه لفظ رزق الله" ومعناه القسم. ومن ذلك قولهم "غفر الله لزيد" لفظه لفظ الخبر ومعناه الدعاء"[3]. فالانتقال من الخبر إلى الدعاء راجع إلى كون المخاطب لا يستطيع أن يعلم ما يعلم الله ولا أن يشاركه في مشيئته. وخروج الطلب إلى الدعاء راجع إلى منزلة المطلوب منه.

ويؤكد المبرد أنَ "كل ما لزمه شيء على معنى لم يتصرف، لأنه إن تصرف بطل ذلك المعنى وصار بمنزلة الأفعال التي تجري على أصولها و لم يدخلها من المعنى أكثر من ذلك"[4].

ففي الأمثلة التي ساقها المبرد:

- ما أحسن زيدا ! لفظه لفظ شيء أحسن زيد معناه التعجب
- علم الله لفظه لفظ رزق الله معناه القسم
- غفر الله لزيد لفظه لفظ الخبر معناه الدعاء

وهذه الأمثلة هي بمنزلة الجملة الخبرية لكنها خرجت إلى معنى التعجب، والقسم والدعاء. ولو تصرفت هذه الجمل وحولت إلى:

- ما يحسن زيدا
- علم الخليفة
- غفر القاضي للمذنب

---

[1]- ابن يعيش، شرح المفصل، ج 7، ص 49.

[2]- المبرد أبو العباس، المقتضب، تحقيق عبد الخالق عظيمة، بيروت، 1963، ج 4، ص 132.

[3]- المرجع نفسه، ج4، ص 175.

[4]- المرجع نفسه، ج 4، ص 175

لم يبق فيها من التعجب، والقسم، والدعاء وعادت إلى الأخبار. وكأن المبرد هنا يشير إلى ظاهرة لغوية أُطلق عليها التحجر. فقد "يحصل عبر التطور اللغوي أن يتغير وضعا القوتين الحرفية والمستلزمة بحيث تصبح القوة الثانية تعدل أو تفوق أهمية بالنظر إلى دلالة العبارة، القوة الأولى"[1] ففي حالة التحجر، إذا، تصبح القوة المستلزمة مع التداول قوة حرفية ثانية. وفي بعض الحالات تختفي القوة الإنجازية الحرفية الأولى وتكاد تكون القوة الإنجازية المستلزمة القوة الحرفية الوحيدة، كما في الإستفهامات المنفية التي تؤول إلى أخبار مثبة.

"ألم أنذرك؟"   لقد أنذرتك.

وحسب المتوكل فإن التحجر يتم في مرحلتين:

أ- تفقد القوة الإنجازية المستلزمة سمتها بالتدريج عبر التطور اللغوي حيث تصبح معنى معمما يواكب التركيب المعني بالأمر في جميع مقامات إنجازه، ويصبح بذلك قوة إنجازية حرفية لا يقل أهمية عن القوة الإنجازية الحرفية الأصل.

ب- قد يقف مسلسل التحجر عند هذه المرحلة، مرحلة توارد قوتين إنجازيتين على التركيب الواحد، إحداهما قوة حرفية أصلية والثانية قوة مستلزمة اكتسبت عبر الاستعمال وضع القوة الحرفية. وقد يستمر التحجر فيبلغ منتهاه بحيث يصبح وجود القوة الحرفية الأصلية شبه منعدم وتنفرد بذلك القوة المستلزمة بتشكيل القوة الإنجازية للعبارة[2]. فتحجر القوة المستلزمة إما أن يكون جزئيا أو تاما مثل صيغ التعجب التي تجمدت وأصبحت غير متصرفه لاختصاصها بمعنى التعجب.

[1]- أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الرباط، ط1، 1993، ص 23.

[2]- المرجع نفسه، ص 24-25.

الأمــــر:

للأمر صيغة قائمة الذات في العربية على وزن "افعل" تؤاسرها صيغة أخرى وهي لام الأمر داخلة على فعل مضارع "لتفعل" وتعمل اللام في الفعل ظاهرة ومضمرة. كما أن فعل الأمر يؤدى بصيغة اسم الفعل: صه، مه.... يقول ابن يعيش "اعلم أن الأمر معناه طلب الفعل بصيغة مخصوصة وله ولصيغته أسماء بحسب إضافاته فإن كان من الأعلى إلى من دونه قيل له أمر وإن كان من النضير إلى النضير قيل له طلب، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له دعاء"[1].

فللأمر إذا استعمال أصلي، واستعمالات فرعية منها الطلب والدعاء. فالأمر والدعاء والطلب من قبيل الأفعال الحاصلة على اختلاف مترلة المتكلم بالنسبة إلى المخاطب وعلاقة أحدهما بالآخر، وهو الأمر الذي نبه عليه النحاة العرب الذين أفردوا لكل معنى اسما خاصا رغم اشتراك هذه المعاني في الصيغة اللغوية التي تتحقق بها.

والمبرد من جهته يركز على جانب المعنى للتمييز بين هذه الأفعال الكلامية يقول: "والدعاء يجري مجرى الأمر والنهي، إنما سمي هذا أمرا ونهيا وقيل للآخر طلب للمعنى. فأما اللفظ فواحد، وذلك قولك في الطلب "اللهم اغفر لي"، و"لا يقطع الله يد زيد"، "وليغفر لخالد"، فإنما تقول سألت الله ولا تقول أمرت الله، وكذلك لو قلت للخليفة "انظر في أمري" و"أنصفني"، لقلت "سألته" و لم تقل "أمرته"[2]. ويبرر سيبويه العدول عن استعمال لفظ الأمر والنهي إلى الدعاء بقوله: "واعلم أن الدعاء بمترلة الأمر والنهي، وإنما قيل: "دعاء" لأنه استعظم أن يقال أمر ونهي، وذلك قوله: اللهم زيدا فاغفر له، وزيدا فاصلح شأنه، وعمرا ليجزه الله خيرا"[3]. فالدعاء مشتق من المعنيين الأصليين-الأمر والنهي- بسبب اختلال العلاقة القائمة بين الآمر والمأمور، والناهي والمنهي.

---

[1]- ابن يعيش، شرح المفصل، ج 7، ص 58.

[2]- المبرد، المقتضب، ج 2، ص 44

[3]- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988، مج 1، ص 142.

الاستفهام:

الاستفهام استخبار والاستخبار طلب الخبر من المخاطب أو طلب الفهم[1]. أي طلب العلم بشيء لم يكن معلوما. ويتحقق في العربية بتصدير الجملة بإحدى أدواته سواء كانت حروفا مثل: الهمزة وهل، أم أسماء مثل: ما، ومن، وكيف، وكم، وأي، وأنّى ومتى، وأيان[2].

وإذا كان الاستفهام مسألة وطلبا للفهم والمعرفة فذلك لا يكون إلا متى توفرت شروطه، ومن أهم شروطه جهل المتكلم بما يسأل عنه وتقديره علم المخاطب به. فإذا لم تتوفر شروطه انصرف من المسألة إلى معان أخرى فرعية. فقد ذكر ابن هشام أن الهمزة مثلا "قد تخرج [...] عن الاستفهام الحقيقي، فترد لثمانية معان"[3]: التسوية، والإنكار الإبطالي، والإنكار التوبيخي، والتقرير، والتهكم، والأمر، والتعجب، والاستبطاء[4]. وهذه المعاني لا سبيل إلى الظفر بها بالاقتصار على مجرد الصيغة دون اعتماد الظروف المحيطة باستعمالها، ومقتضى الحال، وقصد المتكلم. لأن "المستفهم عن الشيء قد يكون عارفا به مع استفهامه في الظاهر عنه، لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء"[5].

ومن أمثلة خروج الاستفهام إلى معنى التوبيخ والإنكار ما ذكره المبرد في "باب المصادر في الاستفهام على جهة التقدير على المسألة" فقد أورد المثال التالي "أقياما وقد قعد الناس؟" قائلا إنك "لم تفعل هذا سائلا، ولكن قلته موبخا منكرا عليه لما هو عليه، ولولا دلالة الحال على ذلك لم يجز الإضمار، لأن الفعل إنما يضمر إذا دل عليه دال، كما أن الاسم لا يضمر حتى يذكر، وإنما رأيته في حال قيام في وقت يجب فيه غيره فقلت له منكرا"[6]. ويعضد هذا الكلام المثال الذي جاء به سيبويه (ت 180هـ) موضحا المعنى الذي خرج إليه الاستفهام "أتميميا مرة وقيسيا أخرى" وإنما هذا أنك رأيت رجلا في حال تلوّن وتنقل، فقلت أتميميا مرة وقيسيا أخرى.كأنك قلت أتحوُّل تميميا مرة وقيسيا أخرى. فأنت في هذا الحال تعمل في تثبيت هذا له، وهو عندك في تلك الحال في

[1]- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، د.ط، 1425هـ–2005م، ج 2، ص 203.

[2]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 308.

[3]- ابن هشام، مغني اللبيب، ص 23.

[4]- المرجع نفسه، ص 23-25.

[5]- ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ج2، ص 464.

[6]- المبرد، المقتضب، ج 3، ص 228.

تلّون وتنقل، وليس يسأله مسترشدا عن أمر هو جاهل به ليفهمه إيّاه ويخبره عنه، ولكنه وبخه بذلك"[1] فالاستفهام في المثال خرج إلى الإثبات-أي إثبات حالة التنقل بين أمرين. والإثبات بدوره خرج إلى التوبيخ. فالإنكار والتوبيخ في الأمثلة السالفة الذكر حاصلان بالمقام لا بالصيغة.

وقد يخرج الاستفهام إلى معنى الخبر إذا انضم التعجب إليه يقول ابن جني (ت 392هـــ): "لفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التعجب استحال خبرا، وذلك قولك، مررت برجل أي رجل، فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل، ولست مستفهما، وكذلك مررت برجل أيما رجل، لأن "ما" زائدة وإنما كان كذلك لأن أصل الاستفهام الخبر، والتعجب ضرب من الخبر، فكأن التعجب لما طرأ على الاستفهام إنما أعاده إلى أصله من الخبرية"[2]. وقد يخرج الاستفهام إلى التقرير، والتمني، والعرض[3].

---

[1]- سيبويه الكتاب، مج1، ص 343.

[2]- ابن جني، الخصائص، ج 3، ص 269.

[3]- ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج 8، ص 48-49.

الأدوات:

كما أن الأدوات والحروف احتلت مواقع هامة في كتب النحويين كـــ "مغنى اللبيب" لابن هشام. وحروف المعاني تؤدي وظائف معينة في اللغة العربية أو أفعالا إنجازية بالتعبير التداولي في سياقات محددة ومناسبة لمعانيها. وقد تؤدي معاني فرعية يقتضيها المقام. ومن مثل هذه الحروف أو الأدوات "لعل" التي تفيد الترجي، وفي مقامات معينة التوقع، والتعليل، والاستفهام[1]، وكم الخبرية الدالة على التكثير، وربّ الدالة على التقليل، ونعم الدالة على المدح وبئس الدالة على الذم، وألا الدالة على العرض، وهلا الدالة على التحضيض. يقول مسعود صحراوي "وأما المعاني والإفادات" التي تستفاد من تلك "الحروف" أو "الأدوات"،[...]، فنراها ممثلة بصدق ودقة لنظرية الأفعال الكلامية كما يتصورها الفكر المعاصر، ولذلك صح في تصورنا أن تعد تلك المعاني والإفادات والمقاصد "أفعالا كلامية" [..] ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو ذاتية بالكلمات، أي ترمي إلى التأثير في المخاطب بحمله على فعل أوترك [..] أو تقرير حكم من الأحكام، أو تأكيده [...] وهي معان عديدة لا يمكن أن تحصى أو تحصر جميعا لأنها تتجاوز الإحصاء و الحصر كما ذكر علماؤنا القدماء"[2].

كانت هذه بعض الأمثلة التي درسها النحويون وتجاوزوا فيها مجرد النظر إلى الصيغه اللغوية. فقد تخرج بعض الأساليب عن معانيها الأصلية إلى معان فرعية يقتضيها السياق المقامي والعرف، وهذا السياق يعرفه المخاطب كما يعرفه السامع اللذان يشتركان في العلم بأصول اللغة وقواعدها. وقد وردت متناثرة في أبواب كثيرة متفرقة في كتب النحو واللغة. وهذا ما يدل على أن بعض النحاة لم تكن دراستهم النحوية دراسة شكلية خالصة، بل راعوا فيها الاستعمال اللغوي.

المقاربة البلاغية:

على عكس النحويين تجاوز البلاغيون الصيغة إلى المعنى، وعالجوا الترابط القائم بين الخصائص الشكلية والخصائص التداولية للعبارات والأساليب النحوية. فإذا كانت الدراسة النحوية في عمومها قد عنيت بالتحليل لا بالتركيب-كما يقول تمام حسان- فإن البلاغيين اهتموا بالتراكيب وتعلق الكلام بعضه ببعض. فعبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" يكشف

[1]- ابن هشام، مغني اللبيب، ج 1، ص 315.

[2]- مسعود صحراوي، التداولية ...، ص 266-267.

عن رؤية شمولية لموضوعات النحو العربي "لا بوصفه أبوابا وفصولا، بل بوصفه نظاما من العلاقات هو ذاته نظام العربية كلغة، كنص، كخطاب"[1]. ومنذ البداية يشرح نظريته في النظم قائلا: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض. والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما"[2].

ونظرية النظم عند الجرجاني تقوم على أساس أن التعالق القائم بين مكونات الجملة تعالق نحوي بلاغي وأن اللفظ تابع للمعنى ويعكس ترتيبه في النطق ترتيب المعاني في النفس. "وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك،[أي لا يشبه نظم الحروف]، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتّبها على حسب ترتيب المعاني في النفس. فهو إذا نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء كيف جاء واتفق"[3]. ثم يضيف قائلا: "والفائدة في معرفة هذا الفرق أنّك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها والتقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[4]. وليس النظم عند الجرجاني إلا توخي معاني النحو وأحكامه، لأن النحو يقوم بدور مركزي إذ أنّ قواعده وأحكامه تعد الأداة الرابطة بين البنية اللفظية والمعنى الذي يتوخاه المتكلم ويريد تبليغه سواء كان إخبارا أم أمرا أم نهيا أم استخبارا... "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت له فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها"[5]. كما أرجع الجرجاني المزية للمعاني وليس للألفاظ، لأن الألفاظ تابعة للمعاني وخادمة لها. "...إنّ الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق"[6].

---

[1]- الجابري محمد عابد، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، نقد العقل العربي 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 8، 2007، ص 84.

[2]- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط 1، 1425هـ -2005م، ص 11-12.

[3]- المرجع نفسه، ص 50.

[4]- المرجع نفسه، ص 51.

[5]- المرجع نفسه، ص 69-70.

[6]- المرجع نفسه، ص 52.

ويضيف قائلا: "وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[1].

كما ميّز الجرجاني بين المعنى ومعنى المعنى. فهو يقسم الكلام إلى ضربين "ضرب: أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، [...] وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض. ومدار هذا الأمر على الكناية، والاستعارة والتمثيل"[2]. ولا سبيل للوصول إلى معنى المعنى- المعنى المستلزم- إلا عن طريق الاستدلال "فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك كمعرفتك من كثير رماد القدر أنّه مضياف، ومن طويل النجاد أنه طويل..."[3]. ويشرح الجرجاني معنى المعنى قائلا: "نعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي نصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر كالذي فسرت لك"[4].

فهذه الأساليب البيانية البلاغية تجعل المخاطب أو المتلقي يسهم في إنتاج المعنى المقصود بدل إعطائه إياه جاهزا، وذلك بواسطة عمليات استدلالية ينتقل فيها من خلال اللفظ ومعناه الظاهر المتعارف عليه إلى المعنى الذي يقصده المتكلم.

لقد اهتم الجرجاني إذا بدراسة المعنى سواء كان معنى مباشرا أو غير مباشر، وهذا المعنى لا يحصل برصف الكلمات بعضها ببعض كيفما اتفق بل يحصل بمراعاة أحكام النحو. لأن النظم في حقيقته وجوهره هو "توخي معاني النحو وأحكامه وفروقه ووجوهه والعمل بقوانينه وأصوله"[5].

أما فيما يخص الأفعال الكلامية-الخبر والإنشاء- فقد درست في إطار "علم المعاني" الذي يعرفه السكاكي بقوله: "اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل

1- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 53.
2- المرجع نفسه ، ص 178.
3- المرجع نفسه، ص 178-179.
4- المرجع نفسه، ص 179.
5- المرجع نفسه، ص 336.

بها من الإستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[1] فعلم المعاني يهتم بمقولات من قبيل مقولة الإفادة، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال: حال السامع، والمعنى السابق إلى الفهم أثناء العملية التواصلية، وبالقواعد التي تحكم عملية الانتقال من الأغراض الأصلية إلى الأغراض الفرعية. ويميز السكاكي بين أسلوبي الخبر والطلب استنادا إلى معايير الهدف، واتجاه المطابقة مع الواقع، والحالة النفسية للمتكلم، وطبيعة العلاقة القائمة بينه وبين المخاطب، والصيغة ومضمون العبارة اللغوية[2]. ويربط الكلام بسياقاته المختلفة. فلكل مقام مقال. يقول: "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل. وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يباين مقام الكلام على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"[3].

فإذا كان الخبر لا يعدو أن يكون "الحكم بمفهوم لمفهوم"[4] فإنّ له استعمالات متباينه لتباين مقامات ورودها. فمن المقامات ما يقتضي إطلاق الحكم، ومنها ما يقتضي تأكيده، ومنها ما يلزم تخصيص المسند، ومنها ما يتطلب الإيجاز، ومنها ما يتطلب الإطناب. وقد فرق بين الأخبار بحسب حال المخاطب إلى ثلاثة أضرب:

– ابتدائي يلقى إلى خالي الذهن لإفادة المخاطب حكما إما إثباتا أو نفيا: زيد عارف.

– طلبي يلقى إلى مخاطب طالب للمعلومة يستحسن تقوية معناه بمؤكد: لزيد عارف/ إنّ زيدا عارف.

– إنكاري يلقى إلى مخاطب معترض على حكم ما ليرده إلى حكم نفسه: إنّ زيدا لعارف[5].
لعارف[5].

[1]- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 161.
[2]- نعيمة الزهري، الأمر والنهي ...، ص 55.
[3]- المرجع نفسه، ص 168.
[4]- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 167.
[5]- المرجع نفسه، ص 170.

ويورد السكاكي قول الكندي لأبي العباس ليبين الفرق بين أضرب الخبر الثلاثة: "إني أجد في كلام العرب حشوا. يقولون: عبد الله قائم، إنّ عبد الله قائم. ثم يقولون إن عبد الله لقائم والمعنى واحد"[1]. فيجيب أبو العباس بأن المعاني مختلفة "فالأول إخبار عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال سائل، والثالث جواب عن إنكار منكر قيامه"[2] فالمحتوى القضوي لهذه الجمل-على تعبير سورل- واحد وهو إسناد القيام إلى عبد الله لكن الاختلاف يكمن في شدة قوة الفعل الإنجازي.

"فسؤال الكندي وجواب المبرد يكشف لنا عن موقفين أحدهما لفيلسوف لا يرى في الكلام إلا معناه القضوي دون نظر إلى معناه الإنجازي الذي يراد به، فهو لا يرى في الأمثلة السابقة إلا نسبة القيام إلى [عبد الله]، والقضية تقوم على هذه النسبة، فلم يتجاوزها فكره، أما المبرد فهو لغوي أديب ذو بصر حديد بأن المعنى الذي يقصده المتكلم يتخذ له من الوسائل اللغوية والمقامية ما يعين على إدراكه فقد أدرك أن قصد المتكلم مراعى فيه حال المخاطب"[3].

وقد أورد السكاكي عبارة تداولية بامتياز حين تكلم عن خروج الأساليب الخبرية والطلبية عن معانيها الأصلية إلى معان فرعية حيث قال: "والسابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان: الخبر والطلب المنحصر في الأبواب الخمسة... وما سوى ذلك نتائج امتناع إجراء الكلام على الأصل"[4] ويقول في موضع آخر، "متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل تولد منها ما ناسب المقام"[5] فكيف تناول السكاكي خروج الطلب من المعاني الأصلية إلى المعاني الفروع؟ لكن قبل التطرق إلى هذا، كيف عرّف السكاكي الطلب؟ جاء في "مفتاح العلوم": أنّ القانون الثاني من علم المعاني هو قانون الطلب. وأغراضه الأساسية خمسة: الاستفهام، والتمني، والنداء، والأمر، والنهي. ويرتكز الطلب على المبادئ التالية: التصور، والمطلوب، ومطلوب غير حاصل وقت الطلب. يقول السكاكي: "لا ارتياب في أن الطلب من غير تصور إجمالا أو تفصيلا لا يصح، وأنّه يستدعي مطلوبا لا محالة، ويستدعي فيما هو مطلوبه أن لا يكون حاصلا وقت الطلب"[6]. ويقسم الطلب

---

[1]- السكاكي: مفتاح العلوم ، ص 171.

[2]- المرجع نفسه، ص 171.

[3]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة ...، ص 108.

[4]- السكاكي: مفتاح العلوم ، ص 164.

[5]- المرجع نفسه، ص 304.

[6]- المرجع نفسه، ص 302.

إلى نوعين "نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول.[...] والمطلوب[...] يستلزم انحصاره في قسمين: حصول ثبوت متصور، وحصول انتفاء. وبالنظر إلى كون الحصول ذهنيا وخارجيا يستلزم انقساما إلى أربعة أقسام: حصولين في الذهن، وحصولين في الخارج"[1].

ويوضح السكاكي الشروط التي تضبط إجراء معاني الطلب على أصلها أي داخل مقامات تتلاءم وشروط الإجراء على الأصل بحيث تحمل العبارة اللغوية المعنى الذي تدل عليه صيغتها. يقول في التمني الذي يقع تحت شرط "غير ممكن الحصول" "أو ما ترى كيف تقول ليت زيدا جاءني. فتطلب كون غير الواقع فيما مضى واقعا فيه مع حكم العقل امتناعه، أو كيف تقول ليت الشباب يعود، فتطلب عود الشباب مع جزمك أنه لا يعود"[2].

ويقول في النوع الثاني من الطلب والذي يقع تحت شرط "ممكن الحصول" "والاستفهام لطلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن، إما أن يكون حكما بشيء على شيء أو لا يكون.[...] وأما الأمر، والنهي، والنداء فلطلب الحصول في الخارج، أما حصول انتفاء متصور،[...]، وأما حصول ثبوته،[...]، والفرق بين الطلب في الاستفهام، وبين الطلب في الأمر والنهي والنداء واضح، فإنك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق، وفيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج مطابق، فنقش الذهن في الأول تابع وفي الثاني متبوع"[3].

لقد فرق السكاكي بين الطلب بالأمر، والنهي، والنداء، والطلب بالاستفهام بالاختلاف في اتجاه المطابقة، وهو ما ذهب إليه سورل وأخذ به كمعيار للتفريق بين الأفعال الكلامية.

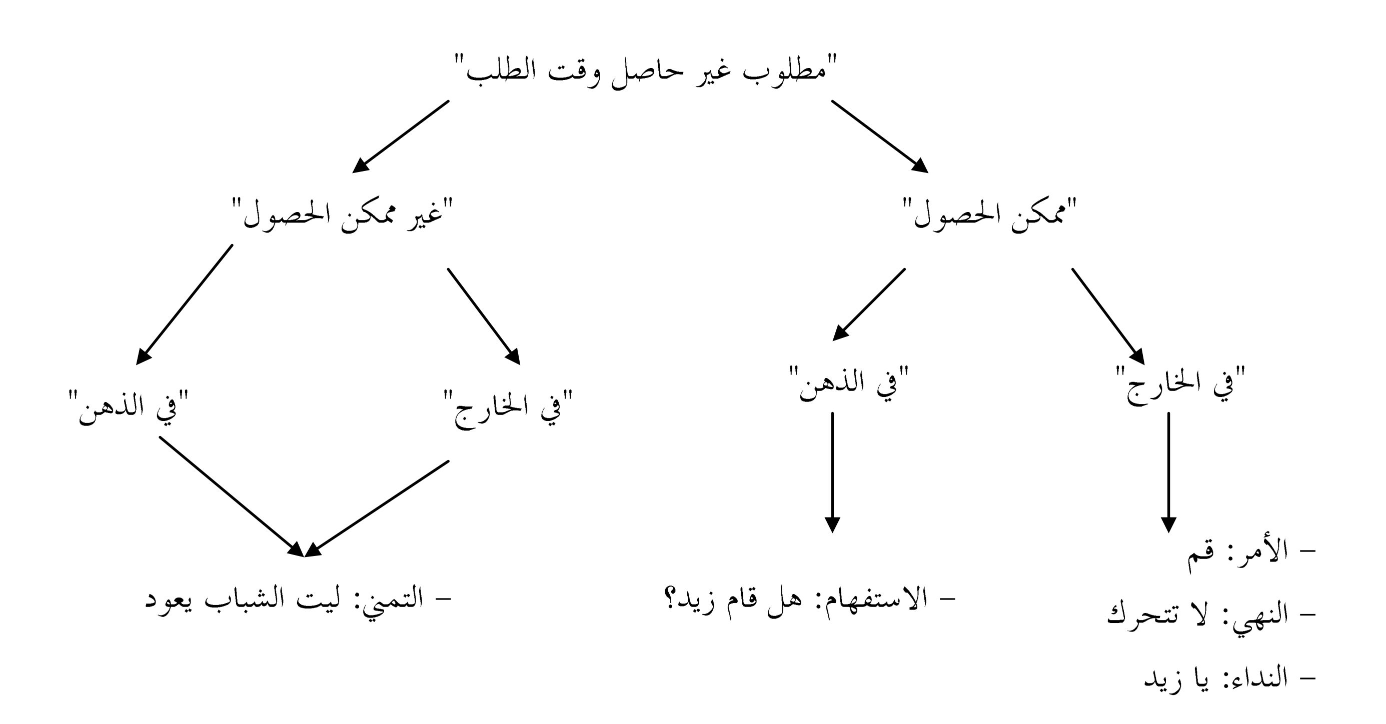
---

[1]- السكاكي: مفتاح العلوم ، ص 302.

[2]- المرجع نفسه، ص 303.

[3]- المرجع نفسه ، ص 304.

ويمكن توضيح قانون الطلب عن طريق الرسم التالي:



ففي حالة إجراء معاني الطلب الخمسة على أصلها تحمل الجملة المعنى الذي تدل عليه صيغتها وبنيتها. فالاستفهام مثلا كي يجرى على أصله أي يدل على سؤال حقيقي يجب أن تنجز الجملة الإستفهامية في مقام يطابق الشروط التالية:

- مطلوب غير حاصل وقت الطلب.
- ممكن الحصول.
- في الذهن.

كما هو الحال في الأمثلة التالية:

- هل غادر الطلبة المدرج؟
- متى سيجرى الامتحان؟
- هل عاد خالد من السفر؟

وحين لا يطابق المقام شروط إجراء الاستفهام على أصله، يختل أحد هذه الشروط فيمتنع إجراء السؤال، وتنتقل الجملة من الدلالة على هذا الغرض الأصلي إلى الدلالة على الغرض الذي من شروط إجرائه عكس الشرط المختل. ففي المثال الذي ساقه السكاكي

- هل لي من شفيع؟

"في مقام لا يسع إمكان التصديق بوجود الشفيع. امتنع إجراء الاستفهام على أصله، وولد بمعونة قرائن الأحوال معنى التمني"[1].

والشرط المختل هنا هو شرط " ممكن الحصول" وحلول الشرط عكسه "غير ممكن الحصول". وفي المثال التالي إذا قلت لمن همك همه:

- ليتك تحدثني

امتنع إجراء التمني، وولد بمعونة قرينة الحال معنى السؤال"[2].

والشرط المختل هنا هو شرط "غير ممكن الحصول" وحلول الشرط عكسه "ممكن الحصول". فعملية الانتقال "تتم في مرحلتين متلازمتين اثنتين:

- يؤدي عدم المطابقة المقامية إلى خرق أحد شروط إجراء المعنى الأصلي فيمتنع إجراؤه.
- يتولد عن خرق شرط المعنى الأصلي وبالتالي امتناع إجرائه معنى آخر يناسب المقام"[3]

وقد ينجم عن خرق المقام الملائم الانتقال من معنى طلبي أصلي إلى معنى طلبي أصلي آخر، فيخرج الاستفهام إلى التمني، والتمني إلى السؤال-كما مر بنا- وقد تخرج المعاني الطلبية الأصلية إلى معان فرعية: كالإنكار، والتوبيخ، والإلتماس، والتعجيز، والتهديد، والتعجب، والتعجيب وغيرها.

وحسب تحليل السكاكي للأمثلة التي ساقها قد تحمل العبارة اللغوية الواحدة إضافة إلى قوتها الإنجازية الحرفية أكثر من قوة إنجازية مستلزمة يقول السكاكي إذا قلت لمن تراه يؤدي الأب:

- أتفعل هذا؟

امتنع توجه الاستفهام إلى فعل الأذى لعلمك بحاله وتوجه إلى ما لم تعلم مما يلابسه من نحو: أتستحسن؟

---

[1]- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 304.

[2]- المرجع نفسه، ص 304.

[3]- نعيمة الزهري، الأمر والنهي في اللغة العربية، ص 57.

وولد الإنكار والزجر.

أو كما قلت لمن يهجو أباه:

- هل تهجو إلا نفسك؟ أو غير نفسك؟

امتنع إجراء الاستفهام على ظاهره، وتولد منه بمعونة القرينة الإنكار والتوبيخ.

أو كما إذا قلت لمن بعثت إلى مهم وأنت تراه عندك:

- أما ذهبت بعد؟

امتنع الذهاب عن توجه الاستفهام إليه لكونه معلوم الحال واستدعى شيئا مجهول الحال مما يلابس الذهاب مثل:

- أما يتيسر لك الذهاب؟

وتولد منه الإستبطاء والتحضيض.

أو كما إذا قلت لمن يدعي أمرا ليس في وسعه:

- إفعله !

امتنع أن يكون المطلوب بالأمر، حصول ذلك الأمر في الخارج بحكمك عليه بامتناعه، وتوجه إلى مطلوب ممكن الحصول مثل بيان عجزه، وتولد التعجيز والتحدي.

أو كما إذا قلت لعبد شتم مولاه:

- اشتم مولاك.

امتنع أن يكون المراد الأمر بالشتم. والحال ما ذكر وتوجه بمعونة قرينة الحال إلى نحو:

- اعرف لازم الشتم

وتولد منه التهديد[1].

اشتم مولاك.

من خلال الأمثلة يتبين أن العبارة اللغوية الواحدة يمكن أن تحمل في مقامات معينة قوى استلزامية متعددة بقطع النظر عن قوتها الإنجازية الحرفية. فللجملة:

أما ذهبت بعد؟

الحمولة الإنجازية التالية:

---

[1]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 305-306.

أ- القوة الحرفية السؤال المنصبة على السؤال ذاته.

ب- والقوة المستلزمة السؤال المنصبة على تيسر الذهاب حيث ترادف:

- أما يتيسر لك الذهاب.

ج- والقوة المستلزمة الاستبطاء التي تجعلها مرادفة للجملة.

- لقد أبطات في الذهاب.

د- وأخيرا القوة المستلزمة التحضيض التي تصبح على أساسها بمعنى الجملة:

- هلاّ ذهبت[1].

فالمخاطب يقوم بمجموعة من الاستدلالات انطلاقا من القوة الإنجازية الحرفية ووصولا إلى القوى الإنجازية المستلزمة التي يراها ملائمة لقصد المتكلم، ومبدأ الخرق يشكل أساس عملية "الاستدلال" أو "الاستلزام الحواري" كما يسميه جرايس.

ومن خلال استقراء الأمثلة التي ساقها السكاكي فالاستفهام على سبيل المثال قد يخرج وفي طبقات مقامية معينة إلى:

التمني، والإنكار، والزجر، والتوبيخ، والوعد، والوعيد، والعرض، والإستبطاء، والتحضيض، والتقرير، والتعجب، والتعجيب، وما إلى ذلك[2].

لقد تصدى البلاغيون إذا لدراسة ظواهر لغوية تعد من صميم الدرس التداولي. واتسمت دراستهم لهذه الظواهر بالدقة، والإتساق، والشمول.

المقاربة الأصولية:

إذا كان علم أصول الفقه "هو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف"[3] فإن علماء الأصول تصدوا لكيفية استنباط هذه الأحكام والتكاليف معتمدين على اللغة وقضايا المعنى. فـــ "السلطة المرجعية الأولى في علم أصول الفقه هي للبحوث اللغوية سواء منها ما يدرس مجموعا في "أبواب الخطاب" أو ما يأتي متفرقا في الأبواب الأخرى. والمحور الرئيسي الذي ينتظم هذه البحوث هو العلاقة بين اللفظ والمعنى، أو مسألة الدلالة"[4]. فالبحث الأصولي

1- المتوكل أحمد، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص 28.

2- ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص 305-306-314، 315.

3- ابن خلدون، مقدمة...، ص 435.

4- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص 55.

بحث في الدلالة، دلالة الخطاب القرآني. والمعاني هي المقصودة وما اللفظ إلا وسيلة لتحصيل المعنى المراد. وعلم العربية كما يقول الآمدي (ت 631 هـ) يتوقف عليه "معرفة دلالات الأدلة اللفظية [...] من جهة الحقيقة والمجاز، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والحذف والإضمار، والمنطوق والمفهوم، والاقتضاء والإشارة، والتنبيه والإيماء، وغيره، مما لا يعرف في غير علم العربية"[1].

لقد تناول علماء الأصول ،إذا، القضايا الدلالية المتعلقة بألفاظ القرآن الكريم؛وقسموا اللفظ باعتبار المعنى الذي وضع له إلى ثلاثة أصناف: خاص، وعام، ومشترك؛ وباعتبار المعنى الذي استعمل فيه ضمن سياق معين إلى حقيقة ومجاز، وباعتبار درجة وضوح معناه إلى محكم ومتشابه؛ وباعتبار طريق دلالته على المراد منه إلى منطوق ومفهوم. والمنطوق ما فهم من دلالة اللفظ قطعا في محل النطق أما المفهوم فهو ما فهم من اللفظ في غير محل النطق.

وإلى جانب السياقات اللغوية وغير اللغوية، فقد راعى علماء الأصول مقاصد المتكلم وغرضه فـ "دلالات الألفاظ ليست لذواتها بل هي تابعة لقصد المتكلم وإرادته"[2] ويقول الجويني: "ومن لم يتفطن لوقوع المقاصد في الأوامر والنواهي فليس على بصيرة في وضع الشريعة"[3].

كما تناول علماء الأصول الخبر والإنشاء والأفعال الكلامية المنبثقة عنهما. فجهودهم لم تقتصر "على دراسة الصيغ والأساليب الجارية على الأصل فحسب، بل درسوا وبتوسع ما يجيء مخالفا لهذا الأصل، والمعنى المقصود يثبت عندهم بالقرينة أي بما يساعد في توجيه المعنى من دلائل المقال أو الحال"[4] لهذا كان بحثهم أكثر دقة، وأقرب إلى واقع الاستعمال. وقد كان اهتمامهم شديدا بالخبر لتعلقه بالأسانيد والمتون، وبالأمر والنهي لتعلقهما بالأحكام الشرعية.

[1]- الآمدي سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، ضبطه وكتب حواشيه إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، مج 1، ج 1، ص 9.

[2]- المرجع نفسه، ج1، ص 16.

[3]- الجويني (إمام الحرمين)، البرهان في أصول، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1997، ج1، ص 101.

[4]- محمد حسن عبد العزيز، كيف تنجز الاشياء بالكلمات (2)، ص 35.

الخبـــر:

عرّف الغزالي الخبر بقوله: "وحده أنه القول الذي يتطرق إليه التصديق أو التكذيب، أو هو القول الذي يدخله الصدق أو الكذب، وهو أولى من قولهم: يدخله الصدق والكذب إذ الخبر الواحد لا يدخله كلاهما، بل كلام الله تعالى لا يدخله الكذب أصلا"[1]. فالصدق والكذب لا يجتمعان في الخبر الواحد، ولا يسوغ وصفه بهما في الوقت ذاته وإلا كان تناقضا. ويعرفه الآمدي بعدما أورد عدة أقوال فيه: "الخبر عبارة عن اللفظ الدال بالوضع على نسبة معلوم إلى معلوم أو سلبها على وجه يحسن السكوت عليه من غير حاجة إلى تمام مع قصد المتكلم به الدلالة على النسبة أو سلبها"[2] وقوله "قصد المتكلم به الدلالة على النسبة أو سلبها احتراز عن صيغة الخبر إذا وردت ولا تكون خبرا، كالوارد، على لسان النائم والساهي والحاكي بها، أو لقصد الأمر مجازا كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾[3]

خبر قصد به الأمر على معنى "فليرضعن"[4]. فقد أولى علماء الأصول أهمية كبرى لقصد المتكلم، فالصيغة وحدها لا تكفي لتحديد نوع الفعل الكلامي ولا تكون وحدها معيارا للتميز بين الخبر والإنشاء.

وقسم الآمدي الخبر إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الخبر ينقسم إلى صادق وكاذب لأنه لا يخلو إما أن يكون مطابقا للمخبر به أو غير مطابق.

القسم الثاني: الخبر ينقسم إلى ما يعلم صدقه، وإلى ما يعلم كذبه، وإلى ما لا يعلم صدقه ولا كذبه.

القسم الثالث: الخبر ينقسم إلى متواتر وآحاد[5].

---

[1]- الغزالي أبو حامد، المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد مصطفى أبو العلاء، القاهرة، 1971، ج 1 ص 156.

[2]- الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، مج 1، ج 2، ص 253.

[3]- البقرة: 233.

[4]- الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، مج 1، ج 2، ص 253.

[5]- المرجع نفسه، ص 253- 255 -257.

وتندرج الأخبار بأنواعها ضمن صنف "الإخباريات" أو "التقريريات" بلغة سورل، والقوة الإنجازية لهذه الأفعال الكلامية هي "التقرير" والذي يتمثل في إقرار المتكلم مسؤوليته عن صحة ما يتلفظ به[1].

وتناول الأصوليون الأغراض المنبثقة عن الخبر. فقد اعتبروا الشهادة خبرا، والرواية خبرا، والإقرار خبرا، والمقدمة خبرا، والنتيجة خبرا، وكذا الوعد والوعيد[2] والخبر يتقلب بين ثلاثة أفعال كلامية: فقد يكون رواية محضة، أو شهادة محضة، وقد يكون رواية أو شهادة بحسب المقام. و"الأساس التميزي الذي يقوم عليه التفريق بين هذه الأخبار هو"الآثار المترتبة" عن الخبر والمتعلقة بالمخبر عنه"[3]. فإذا كان المخبر عنه أمرًا عاما لا يختص بمعين فهو رواية، وإذا كان المخبر عنه معينا خاصا فهو شهادة، وإذا كان في مقام غير رسمي فهو رواية، وأما إذا كان في مقام رسمي كأن يكون أمام القاضي فهو شهادة. وقد تنتقل الشهادة من الخبرية إلى الإنشائية. فلو قال الشاهد:"أشهد عندك أيها القاضي بكذا" كان إنشاء، ولو قال "شهدت" لم يكن إنشاء. وهذا بسبب الصيغة اللغوية[4].

فبعض الأفعال الكلامية تؤثر صيغتها في إيقاعها الإنجازي مثل ألفاظ العقود. لهذا لا يقول الأصوليون بتوحيد صيغ الأفعال الكلامية فالإنشاء في الشهادة بالمضارع، وفي العقود بالماضي، وفي الطلاق بالماضي واسم الفاعل. فصيغ ألفاظ العقود كبعت، وطلقت، واشتريت، وزوجت إنشائية إذا لم يتم وقوع فعلها في الماضي. فإن وقع فعلها في الماضي لم تعد إنشاء بل إخبارا[5].

لكن الصيغة وحدها لا تكفي لتحديد الفعل الكلامي، بل قصد المتكلم كذلك، والسياق الذي وقع فيه التلفظ. فالعبرة عند الأصوليين بالمقاصد والمعاني.

الأمر والنهي:

وإلى جانب الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر، درس علماء الأصول الأفعال المنبثقة عن الأمر والنهي فقد وظفوا ثنائية معنى حقيقي ومعنى مجازي لرصد تعدد الأغراض الكلامية بالنسبة للعبارة

1- مسعود صحراوي، التداولية ...، ص 171.

2- المرجع نفسه ، ص 169.

3- المرجع نفسه، ص 172.

4- ينظر: المرجع نفسه ، ص 171-183.

5- ينظر: المرجع نفسه، ص 206-212.

اللغوية الواحدة. فصيغة "افعل" عند بعض الأصوليين حقيقة في الطلب والأمر مجاز في غيره، وصيغة "لا تفعل" حقيقة في النهي مجاز في غيره. والقرينة هي مؤشر الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي. فصيغة "افعل" تفيد الأمر أصلا، فإذا صاحبتها قرينة ما صرفتها عن الأمر إلى الإلتماس أو التهديد أو التحدي، أو الدعاء. لهذا عرّف علماء الأصول الأمر على أنه"طلب الفعل على جهة الاستعلاء"[1]. وقولهم "طلب الفعل" احتراز عن النهي وغيره من أقسام الكلام؛ وقولهم على "جهة الاستعلاء" احتراز عن الطلب بجهة الدعاء أو الإلتماس. يقول الآمدي في صيغة "إفعل": "ومنهم من قال أنها حقيقة في الطلب ، ومجاز فيما سواه. وهذا هو الأصح، وذلك لأنا إذا سمعنا أن أحدا قال لغيره: "افعل كذا" وتجرد ذلك عن جميع القرائن، وفرضناه كذلك، فإنه يسبق إلى الإفهام منه طلب الفعل واقتضاؤه من غير توقف على أمر خارج دون التهديد المستدعي لترك الفعل، والإباحة المخيّرة بين الفعل والترك. ولو كان مشتركا أو ظاهرا في الإباحة، لما كان كذلك. وإذا كان الطلب هو السابق إلى الفهم عند عدم القرائن مطلقا، دلّ ذلك على كون صيغة "افعل" ظاهرة فيه"[2] والفعل المطلوب قد يكون واجبا أو مندوبا أو إرشادًا "إذا ثبت أن صيغة "افعل" ظاهرة في الطلب والاقتضاء، فالفعل المطلوب لا بد وأن يكون فعله راجحا على تركه، فإن كان ممتنع الترك، كان واجبا، وإن لم يكن ممتنع الترك، فإما أن يكون ترجحه لمصلحة أخروية، فهو المندوب، وإما لمصلحة دنيوية، فهو الإرشاد"[3].

واعتبر الشاطبي (ت 790هـ) الأمر الحقيقي هو طلب الفعل مع القصد لإيقاع المطلوب، والنهي الحقيقي هو طلب الترك مع القصد لترك إيقاع المطلوب. يقول: "الأمر والنهي يستلزم طلبا وإرادة من الآمر، فالأمر يتضمن طلب المأمور به وإرادة إيقاعه، والنهي يتضمن طلبا للترك المنهي عنه وإرادة لعدم إيقاعه ومع هذا ففعل المأمور به وترك المنهي عنه يتضمنان أو يستلزمان إرادة، بها يقع الفعل أو الترك أو لا يقع"[4]. وإذا كان الأمر والنهي اقتضاء الفعل أو اقتضاء الترك مع القصد لإيقاع المطلوب، فإن الشاطبي عدّ أمر التعجيز والتهديد أمرا جاريا على غير حقيقته لانعدام القصد

---

[1]- الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، مج 1، ج 2، ص 365.

[2]- المرجع نفسه، ص 368.

[3]- المرجع نفسه، ص 368.

[4]- الشاطبي أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1395هـ - 1975م، ج3، ص 119.

إلى إيقاع المطلوب. فالمعجّز والمهدد غير قاصدين لإيقاع المأمور به. فالأمر فيهما "طلب للتحصيل لا طلب للحصول"[1] ويراد بطلب التحصيل طلب شيء متعذر الحصول. فالمتكلم يفصح عن قصده ولا يريد من المخاطب إنجاز المطلوب، عكس طلب الحصول فالمتكلم يطلب شيئا ممكن الوقوع ويريد من المخاطب إنجازه.

كما تناول مسألة دلالة الألفاظ على المعاني وصنّفها صنفين: دلالة أصلية ودلالة تابعة. وتساءل عمّا إذا كانت الأحكام الشرعية تستنبط من الدلالة الأصلية أم من الدلالة التابعة. "إذا ثبت أن للكلام من حيث دلالته على المعنى اعتبارين: من جهة دلالته على المعنى الأصلي، ومن جهة دلالته على المعنى التبعي الذي هو خادم للأصل، كان الواجب أن ينظر في الوجه الذي تستفاد منه الأحكام، هل يختص بجهة المعنى الأصلي؟ أو يعم الجهتين معا؟"[2] واعتبر صيغ الأوامر والنواهي ذات دلالات أصلية إذا تجردت عن القرائن الصارفة لها عن مقتضى الوضع الأول وبذلك "فلا إشكال في صحة اعتبارها في الدلالة على الأحكام بإطلاق"[3]. وتكون ذات دلالة تابعة إذا صرفتها القرائن عن معناها الحقيقي إلى معان أخرى كالتهديد، والتعجيز، والتوبيخ. يقول الشاطبي في قوله تعالى: "ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ "[4]: "فإن مثل هذا لم يقصد به الأمر، وإنما هو مبالغة في التهديد أو الخزي، فلذلك لم يقبل أن يؤخذ منه حكم في باب الأوامر، ولا يصح أن يؤخذ"[5].

والمعاني التي يخرج إليها الأمر عند الأصوليين كثيرة. فقد أورد الآمدي هذه الآيات لبيان المحامل التي ترددت بينها صيغة "افعل"

1- الوجوب كقوله تعالى:

"أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴿٧٨﴾ "[6]

---

[1]- الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة ، ص 125.

[2]- المرجع نفسه، ج2، ص 95.

[3]- المرجع نفسه، ص 95.

[4]- الدخان: 49

[5]- الشاطبي، الموافقات، ج2، ص 99.

[6]- الإسراء: 78.

2- الندب كقوله تعالى:

"وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ﴿٣٣﴾ "[1]

3- الإرشاد كقوله تعالى:

﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ [2]

4- الإباحة كقوله تعالى:

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ ﴿٢﴾ "[3]

5- الإمتنان كقوله تعالى:

"وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴿١٤٢﴾ "[4]

6- الإكرام كقوله تعالى:

"ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾"[5]

7- التهديد كقوله تعالى:

"إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ "[6]

8- الإنذار وهو في معنى التهديد كقوله تعالى:

---

[1]- النور: 33.

[2]- النساء: 15.

[3]- المائدة: 2.

[4]- الأنعام: 142.

[5]- الحجر: 46.

[6]- فصلت: 40.

"وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ٣٠ "[1]

9- التسخيير كقوله تعالى:

"وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ٦٥"[2]

10- التعجيز كقوله تعالى:

"۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ "[3]

11- الإهانة كقوله تعالى:

"ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩ "[4]

12- التسوية كقوله تعالى:

"ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٦"[5].

13- الدعاء كقوله تعالى:

"رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨"[6]

14- كمال القدرة كقوله تعالى:

"كُن فَيَكُونُ ٨٢ "[7]

وقد ترددت صيغة "لا تفعل" بين المحامل الآتية:

1- التحريم كقوله تعالى:

---

[1]- إبراهيم: 30.

[2]- البقرة: 65.

[3]- الإسراء: 50.

[4]- الدخان: 49

[5]- الطور: 16.

[6]- نوح: 28.

[7]- يس: 82.

"وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾"[1]

2- الكراهة والتحقير كقوله تعالى:

"وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾"[2]

3- بيان العاقبة كقوله تعالى:

"وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾"[3].

4- الدعاء كقوله تعالى:

"رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾"[4]

4"

5- اليأس كقوله تعالى:

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾"[5]

6- الإرشاد كقوله تعالى:

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ... ﴿١٠١﴾"[6].

7- الانتقام والإهانة كقوله تعالى:

"وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا

---

[1]- النساء: 22.

[2]- طه: 131.

[3]- إبراهيم: 42.

[4]- آل عمران: 8.

[5]- التحريم: 7.

[6]- المائدة: 101.

تَقۡبَلُوا۟ لَهُمۡ شَهَـٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَـٰسِقُونَ ۝٤ "[1]

من خلال المعاني التي ترددت بينها صيغة "افعل" "ولا تفعل" يتضح أن علماء الأصول سعوا لوضع تنظير تداولي لظاهرتي الأمر والنهي معتدين بالمعنى أكثر من الصيغة، ومركزين على أهمية السياق المقامي في تحديد المعنى الشامل للعبارات اللغوية. وهذا ما يوضحه قول الشاطبي: "فالأوامر والنواهي من جهة اللفظ على تساو في دلالة الاقتضاء، والتفرقة بين ما هو أمر وجوب أو ندب، وما هو نهي تحريم أو كراهة، لا تعلم من النصوص، وإن علم منها بعض فالأكثر منها غير معلوم، وما حصل لنا الفرق إلا باتباع المعاني، والنظر إلى المصالح، وفي أي مرتبة تقع؟ وبالاستقراء المعنوي، و لم نستند فيه لمجرد الصيغة، وإلا لزم في الأمر أن لا يكون في الشريعة إلا على قسم واحد، لا على أقسام متعددة، والنهي كذلك أيضا"[2] ويعلل الشاطبي كلامه هذا وضرورة الأخذ بالسياق بقوله: "بل نقول: كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ، وإلا صار ضحكة وهزءة. ألا ترى إلى قولهم: فلان أسد أو حمار. أو عظيم الرماد [...] لو اعتبر اللفظ بمجرده لم يكن له معنى معقول. فما ظنك بكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم؟"[3]

فمن جراء البحث في المقاصد والأغراض التي يؤول إليها كل من الأمر والنهي، واعتماد القرائن اللفظية والحالية والمعنوية التي تهدي إلى تلك المقاصد استنبط علماء الأصول أفعالا كلامية جديدة لم يتطرق لها المبحث النحوي والبلاغي.

وخلاصة القول أن العلماء العرب من نحويين، وبلاغيين، وأصوليين تصدوا لدراسة ظواهر لغوية تؤاسر الظواهر التي وصفت في إطار فلسفة اللغة العادية. وخاصة ظاهرة الأفعال الكلامية والإستلزام الحواري. فثنائية خبر -إنشاء تشبه إلى حد كبير ثنائية أوستين وصف/ إنجاز. فالجمل الخبرية هي الجمل التي تحتمل الصدق أو الكذب، والجمل الإنشائية هي الجمل التي لا تحتمل الصدق والكذب ومدلولها يتحقق بمجرد النطق بها. كما درسوا الجمل الخبرية لفظا والإنشائية

---

[1]- النور: 4.

[2]- الشاطبي، الموافقات، ج3، ص 153.

[3]- المرجع نفسه، ص 153.

معنى، والجمل الإنشائية لفظا الخبرية معنى. وتناولوا القوى الإنجازية الأصول وما يتفرع عنها من أغراض- قوى إنجازية مستلزمة-في طبقات مقامية معينة. وبعبارة أخرى فقد ميزوا بين الأفعال الكلامية المباشرة، والأفعال الكلامية غير المباشرة وإن لم يعرفوا هذه المصطلحات و لم يستعملوها، فإنهم عرفوا ما يدخل فيها وما يندرج تحتها، وأطلقوا عليها مصطلحات أخرى.

وبحسب تصنيف سورل للأفعال الكلامية يمكن دخول معظم صور الخبر إلى قسم الإخباريات، ومعظم صور الإنشاء تدخل في الإعلانيات، والتوجيهات، والتعبيريات والإلتزاميات.

الفصل الثالث: تحليل الخطاب القرآني في ضوء نظرية أفعال الكلام

المبحث الأول: في تداولية الخطاب القرآني

المبحث الثاني: أفعال الكلام في سورة البقرة

المبحث الأول: في تداولية الخطاب القرآني

ماهية الخطاب:

جاء في المفردات: الخطب والمخاطبة والتخاطب المراجعة في الكلام. والخطب الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب[1].

وجاء في لسان العرب: الخطب الشأن أو الأمر، صغر أو عظم. والخطب للأمر الذي تقع فيه المخاطبة. ويقال خطب فلان إلى فلان فخطبه وأخطبه أي أجابه. والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام. وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان[2].

ويفسر الزمخشري "فصل الخطاب" في قوله تعالى: "وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠"[3] بالبين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه[4].

ويفسر قوله تعالى "... فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ۝٢٣"[5] عزني: غلبني وجاءني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرده به. وأراد بالخطاب: مخاطبة المحاج المجادل[6].

يأتي الخطاب إذا بمعنى الكلام الذي يوصل المعنى إلى السامع، ويتصف بالبيان والتبيين. يعرفه الكفوى "بأنه الكلام اللفظي أو النفسي الموجه نحو الغير للإفهام"[7] فالخطاب يفترض متكلما ومستمعا ورسالةً تُبلع وفهما وإفهاما.

وعند هاريس الخطاب "ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تتكون من مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في

---

[1]- الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة: خطب، ص 157.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مج5، مادة: خطب، ص 97.

[3] - ص: 20.

[4]- الزمخشري، الكشاف...، ج4، ص 61.

[5]- ص: 23.

[6]- الزمخشري، الكشاف...، ج 4، ص 64.

[7]- الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات – معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، د.ط، 1982، ص 194.

مجال لساني محض"[1]. فالخطاب عند هاريس وحدة جملية كبرى قابلة للتوصيف اللساني من وجهة تحليل الخطاب.

وإذا كان اللسانيون البنيويون قد اعتبروا أن الجملة أعلى وحدة لغوية قابلة للوصف اللساني سواء على المستوى المورفو-تركيبي أو الدلالي، وأن الوصف عادة ما يأخذ كل جملة على حدة أو يأخذ متوالية من الجمل منظورا إليها كمركب جملي، فإن فان دايك بيّن أن هناك فرقا شاسعا بين الجمل المركبة ومتواليات الجمل. "توجد فوارق متسقة الاطراد بين الجملة المركبة ومتواليات الجمل، وبالخصوص على مستوى الوصف التداولي"[2] ويضيف قائلا: "هناك أسباب أدت بنا إلى أن نسلم بأن العبارات المنطوقة يجب أن تعاد صياغتها تبعا لوحدة أوسع ما تكون وأعني بذلك المتن أو النص"[3]. ثم يشرح ماذا يعني بالنص "هذا الاصطلاح الأخير [النص] إنما استعمل هنا ليفيد الصياغة الصياغة النظرية المجردة المتضمنة لما يسمى عادة بالخطاب"[4] ويؤكد "بأن كل خطاب مرتبط على وجه الإطراد بالفعل التواصلي"[5].

ففان دايك يفرق بين النص والخطاب. فالنص وحدة لا تتجسد إلا من خلال الخطاب كفعل تواصلي. أما الخطاب فهو فعل الإنتاج اللفظي، ونتيجته الملموسة، والمسموعة، والمرئية وإذا كان النص هو مجموع البنيات النسقية التي تتضمن الخطاب وتستوعبه، فإن الخطاب هو الموضوع الأمبريقي والمجسد أمامنا كفعل[6].

وباختصار فإن فان دايك يعتبر النص وحدة مجردة أو مظهرا تجريديا، أما الخطاب فيعتبره وحدة حسية أو مظهرا حسيا.وبعبارة أخرى فهو ينظر إلى النص بوصفه بنية عميقة، بينما يمثل الخطاب بنية سطحية.

[1]- مداس أحمد، لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، اربد جدارا الكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص 11.

[2]- فان دايك، النص والسياق، ص 19.

[3]- المرجع نفسه، ص 19.

[4]- المرجع نفسه، ص 19.

[5]- المرجع نفسه، ص 20.

[6]- يقطين سعيد، انفتاح النص الروائي –النص والسياق- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت –لبنان، ط3، ط3، 2006، ص 16.

أما المتوكل فيقول: "يعد خطابا كل ملفوظ/ مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات" و"يفاد من التعريف ثلاثة أمور:

أولا، تجسيد الثنائية التقابلية جملة/ خطاب حيث أصبح الخطاب شاملا للجملة؛

ثانيا، اعتماد التواصلية معيارا للخطابية؛

ثالثا، إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب حيث أصبح من الممكن أن يعد خطابا نص كامل أو جملة أو مركب أو ما أسميناه في مكان آخر [...] شبه الجملة"[1].

وما أضافه هذا التعريف هو أن الخطاب قد يكون شفويا أو كتابيا، وقد يكون أصغر من الجملة.

والخطاب هو ثمرة اجتماع عناصر ثلاثة: المرسل، والمرسل إليه، والسياق، ففيه تبرز مكانة المرسل والمرسل إليه والعلاقة بينهما، والأدوات اللغوية المستعملة، والآليات الخطابية المنتقاة. وفيه تبرز كيفية تعامل المرسل مع المرسل إليه. هل هي معاملة إجلال وإكبار؟ أم هي معاملة ازدراء واحتقار؟ وتبرز أيضا الإستراتيجية المستعملة لتوصيل مضمون الخطاب. فالإستراتيجية تختلف باختلاف المخاطبين، ودرجة استيعابهم وفهمهم، وميولهم ورغباتهم. فقد تكون إستراتيجية مباشرة صريحة أو إستراتيجية تلميحية غير مباشرة.

الخطـــاب القرآني:

القرآن الكريم خطاب الله سبحانه وتعالى لعباده مؤمنهم وكافرهم روحه عربية وأسلوبه عربي مبين والنفاذ إلى مقاصده إنما يقوم على التمثل الكامل لهذه الروح العربية. وما تنوع الموضوعات والأساليب اللغوية في القرآن إلا مراعاة لطاقات المخاطبين وأحوالهم, فقد جاء للناس كافة. وقد جاء الخطاب معجزًا في إيجازه وإطنابه فيه قصص ومواعظ، وأمثال وحكم، ووعد ووعيد، وأوامر ونواهي، وعقائد وتشريعات، وأدلة وبراهين على التوحيد. وتعدد المواضيع يفرض تعدديه في الأدوات اللغوية الثاوية في الخطاب. فالله سبحانه وتعالى خاطب خلقه بما يفهمونه لأن الغرض الأكبر من القرآن هو إصلاح الناس جميعًا بدعوة الكفار إلى الإيمان والتوحيد، وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على الهداية والرشاد.

---

[1]- المتوكل أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية –دراسة في الوظيفة والبنية والنمط –دار الآمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 1431هـ -2010، ص 24.

فالقرآن كتاب تشريع وتأديب وتعليم فكان حقيقا أن يودع فيه من الأساليب ما يناسب أحوال المخاطبين. ففي حالة التوجيه والإرشاد يأتي الكلام صريحا مباشرًا, وفي أحيان كثيرة يُخرج أوامره ونواهيه مخرج الاستفهام أو الإخبار تلطفًا وتأنيبًا لما يتعلق الأمر بالمؤمنين الذين يدركون التلميحات. أمّا الذين في قلوبهم مرض فتأتي الآيات فيها مزيد من الإيضاح حتى ترفع كل شبهة وتقطع كل ذريعة. أمّا الكفار فيغلب على مخاطبتهم أسلوب التقريع والتهديد. ولهذا جاءت الأفعال الكلامية في القرآن الكريم أفعالا إنجازية مباشرة، كما جاءت أفعالا إنجازية غير مباشرة كما سنرى لاحقا.

المرســـل:

هو طرف الخطاب الذي يتجه إلى المخاطب بقصد الإخبار، أو إفهام المقاصد، أو التأثير فيه، ودونه لا يكون خطاب. فهو الذات المحورية في إنتاج الخطاب. فالمرسل هو الذي ينقل اللغة من المستو الشكلي الصوري إلى المستوى التداولي.

وفي القرآن الكريم، المخاطب الأول هو الله سبحانه وتعالى. والمعرفة به عزّ وجلّ تتجلى عن طريق صفاته التي تحدث عنها القرآن والسنة النبوية الشريفة، وعن طريق آثاره المتمثلة في إعجاز النظم القرآني من جهة، والكون ونظامه البديع ومخلوقاته من جهة أخرى.

كما أن الرسل عليهم السلام باعتبارهم مخاطَبين ومخاطِبين كانت المعرفة بهم عن طريق ما جاء به القرآن الذي تحدث كثيرا عنهم وعن صفاتهم وأخلاقهم مع أقوامهم. والرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره المبلغ الأول عن الله سبحانه وتعالى أفاض القرآن في ذكر صفاته وأخلاقه الحميدة.

المرســـل إليه:

المخاطَب جزء أساسي من عناصر الخطاب، فإليه تتجه لغة الخطاب التي تعبر عن مقاصد المرسل. ولهذا فهو يوجه المرسل في اختيار الأدوات اللغوية والاستراتيجيات الخطابية. ووظيفته تكمن في تفكيك الخطاب وتأويله لمعرفة مقاصد المرسل وأهدافه. ففهم طبيعة المخاطب تستدعي فهم طبيعة الخطاب.

والمخاطب في القرآن قد يكون ملائكة، أو رسلا، أو مؤمنين، أو كفارا، أو منافقين، أو أمة بكاملها، أو البشرية جمعاء. والمخاطب شرعا قد يكون صحيحا معافى، أو مريضا مبتلّى، أو

مسافرًا، أو مجاهدًا. ويتنوع الخطاب القرآني وتتنوع أحكامه ومقاصده تبعا لتنوع المخاطبين. فأحيانا يكون مقتضبا وأحيانا يكون مرسلا فيه إطناب، وأحيانا فيه حذف لعلم السامع بالأشياء التي تحدث عنها الخطاب. فالخطاب الموجه إلى المؤمنين يختلف عن الخطاب الموجه إلى الكفار. والخطاب الذي نزل بمكة تختلف أساليبه عن الخطاب الذي نزل بالمدينة. ولأن الكفر كان غالبا على أهل مكة خوطبوا بـــ "يا ا الناس"، ولأن الإيمان كان غالبا على أهل المدينة خوطبوا بـــ "يا أيها الذين آمنوا".

السيـــاق:

السياق هو بيئة الكلام ومحيطه. وهو الإطار العام الذي يجري فيه الخطاب. وقد عدّ دعامة رئيسة لتحليل الخطاب، أو ركن أساس في فهم الرسالة اللغوية؛ لأنه هو الذي يسهم في اختيار أدوات لغوية بعينها وآليات خطابية مناسبة لعملية الفهم والإفهام بين طرفي الخطاب من خلال عنصري الزمان والمكان اللذين يتلفظ فيهما المرسل بخطابه. فما يصلح لزمان ومكان قد لا يصلح لزمان ومكان آخرين. ومعرفة عناصر السياق تسهم في عملية التعبير عن المقاصد من جهة وإدراكها من جهة أخرى. كما أن تعدد السياقات مدعاة لتعدد الخطابات وبالتالي تعدد الإستراتيجيات اللغوية والأفعال الكلامية. وباختصار فـــ "السياق يفسر الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللغة في وظيفتها التواصلية والإبلاغية، لدى كل من منتج الكلام والمتلقي"[1].

ويطلق السياق على مفهومين اثنين: السياق اللغوي والسياق المقامي (أو الحالي أو ما يسمى بسياق التلفظ أو سياق الحال).

والسياق اللغوي هو "تلك الأجزاء من الخطاب التي تحف بالكلمة في المقطع وتساعد في الكشف عن معناها"[2] وبعبارة أخرى هو "تجسيد لتلك التتابعات اللغوية في شكل الخطاب، من وحدات صوتية، وصرفية، ومعجمية، وما بينها من ترتيب وعلاقات تركيبية"[3].

وفي معرض حديثه عن نظرية السياق القرآني، يفرق المثنى عبد الفتاح محمود بين السياق [اللغوي] والنظم استنادا إلى آراء العلماء العرب القدماء قائلا: "أما السياق اللغوي فيختلف عن

---

[1]- العموش خلود، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة"، جدارا للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، عمان –الأردن –إربد –الأردن، ط1، 1429هـــ- 2008م.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب...، ص 40.

[3]- المرجع نفسه، ص 40.

النظم [...] إذ أنه يبحث في الدلالات المعنوية الآتية في مساق واحد، ومدى انسجامها فيما بينها، بحيث تشكل قطعة موضوعية من الحقائق [...] فالسياق يبحث في ترابط المعاني بالمعاني السابقة واللاحقة، والنظم يبحث في ترابط المعاني بألفاظها، وبهذا يظهر الفرق بين المصطلحين، وبعبارة دقيقة موجزة، السياق [اللغوي] هو علاقة المعنى بالمعنى، والنظم هو علاقة اللفظ بالمعنى"[1].

أما السياق المقامي contexte situationnel/contexte de situation فهو مجموع الظروف الطبيعية، والاجتماعية والثقافية التي يتموقع فيها الملفوظ أو الخطاب، إنه المعطيات المشتركة بين المرسل والمتلقي حول الوضعية الثقافية والنفسية وتجارب ومعارف كل منهما[2].

فالسياق يشمل الجو النفسي والبيئي المحيط بطرفي الخطاب، كما يشمل العلاقات الاجتماعية والأعراف ونوع المؤسسات (جامعة، أو محكمة، أو سوق..) التي يجري فيها الخطاب. فكل هذه العوامل والظروف تبين أن هناك علاقة وثيقة بين الخطاب وشروط إنتاجه الخارجية.

علم المناسبة:

بحث علماء المسلمين الإتساق الداخلي للخطاب القرآني من خلال بحوثهم في علم المناسبة. و"المناسبة في اللغة: المشاركة والمقاربة"[3] والمناسبة في القرآن هي "وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة. أو بين السورة والسورة"[4]

وعادة ما يكون مرجع المناسبة في الآيات والسور "إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلي أو حسي، أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه"[5]. فوحدة الخطاب القرآني بوصفه بناء مترابط الأجزاء هي الغاية التي يبحث عنها علم المناسبة. فعادة ما يبحث عن كون الآية مكملة لما قبلها، أو مستقلة عنها، وما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ولما بعدها؟ وكذا في السور ينظر إلى وجه اتصالها بما قبلها وما بعدها. ووظيفة علم المناسبة أيضاً الكشف عن وجوه الربط بين الآيات والمقاطع التي لا يظهر-

---

1- المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني –دراسة تاصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط1، 2008، ص 18-19.

2 - Jean Dubois et autres, Dictionnaire De Linguistique Et Des Sciences du Langage, Larouse, Paris, 1999, p. 116.

3- السيوطي، الإتقان...، ج2، ص 301.

4- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 22، 1987، ص97.

5- السيوطي، الإتقان...، ج2، ص 301.

لأول وهلة- وجه ارتباطها لما قبلها وما بعدها، ولا يتم الربط إلا بمعرفة المعاني التي احتوتها الآيات السابقة واللاحقة"[1].

لهذا قال عنه القاضي أبو بكر بن العربي: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم"[2]. فالآيات القرآنية، إذا، إما ظاهرة الارتباط لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه إلا بذكر الآية الموالية، وإما لكون الآية الثانية للأولى تأكيدا، أو تفسيرا، أو اعتراضا، أو بدلا. وإما غير ظاهرة الارتباط بحيث تبدو كل آية مستقلة عن الأخرى[3].

والمناسبة نوعان: معنوية ولفظية.

ومثال المناسبة المعنوية أن تبتدئ الآية بمعنى وتختم بما يناسبها في المعنى دون اللفظ. ففي قوله تعالى "وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾"[4]. فقد أخبر سبحانه في فاصلة الآية بأنه "قوي عزيز" ليدل على قدرته على نصر المؤمنين دون قتال، وأن الريح التي أصابت المشركين وشتت شملهم في معركة الأحزاب من آثار قوته سبحانه وتعالى وعزته.

أما المناسبة اللفظية فتتعلق بالفواصل والتقفية من مثل:

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴿٣﴾﴾ [5].

وإذا كانت "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[6] كما يقول الرازي، فإن علماء القرآن لم يغفلوا هذه الترتيبات والروابط ودرسوا أنواعا عديدة من المناسبات منها المناسبة بين ترتيب السور، والمناسبة بين فواتح السور وخواتمها، والمناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها. فوجه اتصال فاتحة سورة الحديد مثلا بخاتمة سورة الواقعة، أن سورة الحديد افتتحت

1- المثنى عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني....، ص 19.

2- الزركشي، البرهان، ج1، ص 42.

3- السيوطي، الإتقان، ج2، ص 301.

4- الأحزاب: 25.

5- الكوثر: 1، 2، 3.

6- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 41.

بالتسبيح "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ "[1] فإنه مناسب لختام سورة الواقعة من الأمر به "فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾"[2].

كما أشاروا إلى مجموعة من القضايا والتنبيهات التي تضيء مفهوم الإتساق والانسجام داخل الخطاب القرآني ومن هذه القضايا: معرفة الوقف والابتداء، والمحكم والمتشابه، والعام والخاص، والمجمل والمبين، والإيجاز والإطناب، والخبر والإنشاء. كما تنبهوا إلى دور القرائن المعنوية واللفظية وأهميتها في تفسير آي الذكر الحكيم، وبيان وجوه إعجازه.

وباختصار فإن وحدة الخطاب القرآني باعتباره بناء مترابط الأجزاء، وبوصفه كالكلمة الواحدة هي الغاية التي يبحث عنها علم المناسبة.

أسباب الترول:

معرفة أسباب الترول من الموضوعات المتصلة بالسياق المقامي وروايات أسباب الترول "تتحدث عن وقائع وقعت في زمن نزول الآيات، وهذه الوقائع كانت ملقية بظلالها على السياق القرآني...[وهي] توضح معاني الكتاب العزيز من حيث اتصالها بالواقع الذي نزلت فيه الآيات"[3]. وأسباب الترول ضابط مهم في الوصول إلى المعنى المقصود. فبعض آيات القرآن نزلت عند سبب خاص استوجب نزولها. ومعرفة هذا السبب يعد آلية من آليات فهم المعنى المراد من هذه الآيات. ولهذا يستعين بها المفسر في التفسير وعالم الأصول على استنباط الأحكام الشرعية. "وقد أدرك علماء القرآن أن السبب أو المناسبة أو المناسبة المعينة هي التي تحدد الإطار الواقعي الذي يمكّن من فهم الآية أو الآيات من خلاله بل وأدرك علماء القرآن أن قدرة المفسر على فهم النص لا بد أن يسبقها معرفة بالوقائع التي أنتجت هذه النصوص"[4]. كما أن دراسة الأسباب والوقائع تؤدي إلى فهم حكمة التشريع وتزيل الغموض واللبس والإبهام في فهم بعض الآيات على وجهها. ففي قوله تعالى: "وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ "[5].

---

[1]- الحديد: 1.

[2]- الواقعة: 96.

[3]- المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، ص 143

[4]- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص 83.

[5]- البقرة: 115.

لولا بيان أسباب الترول لأباح الناس لأنفسهم التوجه في الصلاة إلى الناحية التي يرغبون. وهذه الآية عالجت حال نفر من المؤمنين صلّوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فلم يدروا كيف القبلة، فصلى كل رجل على حاله.فلم يضع الله صلاتهم[1].

فبعض آيات التتريل جاءت لتواكب الوقائع والأحداث مراعية زمن الخطاب، وأطراف الخطاب، وأحوالهم النفسية، وسياق التخاطب. فجاءت يإما جوابا لسؤال، أو إنكارا لفعل أو قول، أو بيانا لحكم شرعي وما إلى ذلك. كما أن نزوله منجما على مدار ثلاث وعشرين سنة كان مراعاة لحال المخاطب صلى الله عليه وسلم المتلقي الأول.وتثبيتا لقلبه "وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾"[2].

المكي والمدني:

ضبط العلماء منازل القرآن ضبطا دقيقا مقرونا بالسياق الزماني والمكاني وأحوال المخاطبين. ولا غرابة في ذلك فقد حرص الصحابة الذين عايشوا نزول الوحي كثيرا لحفظ دقائقه وملابسات نزوله؛ بحيث بينّوا ما نزل بمكة، وما نزل بالمدينة، وما نزل ليلا، وما نزل نهارا، وما نزل مفردا، وما نزل مشيعا، واستند علماء القرآن لمعرفة المكي والمدني إلى طريقين: "سماعيّ، وقياسيّ". ولهم في ذلك ثلاثة أقوال. أحدها: أن المكي ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة.

والثاني أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة والثالث أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة ولو نزل بالمدينة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة ولو نزل بمكة[3].

فالقول الأول راعى الاعتبار المكاني. فالمكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة. وهذا المعيار لم ينظر إلى النص القرآني من حيث المضمون أو الشكل، وإنما إلى مكان الوحي. فالرسول صلى الله عليه وسلم الذي هاجر من مكة إلى المدينة عاد إليها معتمرا وفاتحا وحاجا. والقول الثاني راعى الاعتبار الزماني-وهو المشهور-فالظروف التي أحاطت بالمسلمين والدعوة الإسلامية قبل الهجرة وبعدها مختلفة. فهم قبل الهجرة مستضعفون ومحاصرون وقلة وسط قوم لدّ شديدي الحجاج. وبعد

1- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن. دار العلم للملايين، ط 10، 1977، ص ،131

2- الفرقان: 32.

3- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 136.

الهجرة صارت لهم دولة وأصبحوا أقوياء أعزة؛ لكن كثر من حولهم النفاق وعداء أهل الكتاب وبخاصة اليهود. أمّا القول الثالث فقد راعى أشخاص المخاطبين ومن ثمة فإن مضمون وشكل الخطاب هما الفيصل في تحديد المكي والمدني.

ولأن الغالب على أهل مكة الكفر خوطبوا ب "يأيها الناس"، ولأن الغالب على أهل المدينة الإيمان خوطبوا ب "يأيها الذين آمنوا" وإن كان غيرهم داخلا فيهم. وهذا القول لم يؤخذ على إطلاقه فبعض السور المدنية جاء فيها "يأيها الناس" مثل سورة البقرة والنساء وبعض السور المكية جاء فيها "يأيها الذين آمنوا" مثل سورة الحج. ولهذا ذكر العلماء ما نزل من القرآن بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي. فالآيات الأولى من سورة التوبة من "براءة..." إلى قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾"[1] خطاب لمشركي مكة؛ وهي مدنية[2].

ومن المعايير المضمونية التي راعت أحوال المخاطبين أن كل سورة فيها قصة "آدم وإبليس" فهي مكية عدا البقرة، وكل سورة ذكر فيها المنافقون فهي مدنية عدا العنكبوت. وكل ما نزل من القرآن الكريم فيه ذكر الأمم والقرون الخالية فهو مكي؛ وما كان من الفرائض، والحدود والتشريع فهو مدني. ومن المعايير الأسلوبية أن كل سورة فيها "كلا" فهي مكية. فالقرآن المكي الذي خاطب كفار قريش تكررت فيه "كلا" على وجه التهديد والتعنيف والتقريع والإنكار عليهم. "ولعل التفرقة بين المكي والمدني في النص تعد تفرقة بين مرحلتين هامتين ساهمتا في تشكيل النص سواء على مستوى المضمون أم على مستوى التركيب والبناء. وليس لذلك من دلالة سوى أن النص ثمرة للتفاعل مع الواقع الحي التاريخي"[3].

والتفريق بين القرآن المكي والمدني يساعد على معرفة الناسخ والمنسوخ واستنباط الأحكام الشرعية، لذلك ف"المدني من السور ينبغي أن يكون مترلا في الفهم على المكي وكذلك المكي بعضه مع بعض، والمدني بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التتريل. وإلا لم يصح. والدليل

1- التوبة: 23.

2- ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 135-143.

3- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص 91.

على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكي. كما أن المتأخر منهما مبني على متقدمه دل على ذلك الاستقراء. وذلك إنما يكون ببيان مجمل، أو تخصيص عموم، أو تقييد مطلق، أو تفصيل ما لم يفصل، أو تكميل ما لم يظهر تكميله"[1].

كان العلم بالمكي والمدني، إذا، خليقا بالعناية البالغة التي أحيط بها، وجديرا أن يعد بحق منطلق العلماء لاستفاء البحث في مراحل الدعوة الإسلامية والتعرف على خطواتها الحكيمة المتدرجة مع الأحداث والظروف، والوقوف على أساليب القرآن المختلفة في مخاطبة المؤمنين والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين.

[1]- الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج3، ص 406.

المبحث الثاني: أفعال الكلام في سورة البقرة

سورة البقرة:

سورة البقرة سورة مدنية عدد آياتها مائتان وست وثمانون آية. وهي السورة الثانية بحسب الرسم القرآني. وهي السورة الأولى من قسم الطوال. وقد وردت عدة أحاديث في فضلها.

تتألف سورة البقرة من مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة.

أما المقدمة فتتألف من الآيات (1–20)، وتبدأ بتقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام: متقين، وكافرين، ومنافقين وتحدد صفات كل فريق.

أما القسم الأول فيمتد من الآية (21–167)، مبتدئا بدعوة الناس لسلوك طريق العبادة والتوحيد كطريق موصل إلى التقوى. ويناقش قضية الكفر، والآثار الخطيرة المترتبة عن مخالفة الأوامر والوقوع في النواهي من خلال عرض قصة بني إسرائيل. ولا ينتهي القسم إلا وقد تأكدت قضية التقوى وقضية السير فيها وقضية العبادة والتوحيد من خلال عرض نماذج الاستقامة في قصة إبراهيم عليه السلام.

ثم يأتي القسم الثاني من الآية (168–202) فيؤكد قضية التقوى ويرسم طريقة التحقق بها على مستوى الفرد، وعلى مستوى الأمة. وذلك من خلال الكلام عن الإيمان وأركان الإسلام.

ثم يأتي القسم الثالث من الآية (202–284) داعيا إلى الدخول في الإسلام كلّه. ويعرض قضايا في الحرب والعلاقات الاجتماعية في محيط الأسرة، وفي قضايا السياسة والاقتصاد.

ثم تأتي خاتمة السورة وهي تنتظم في الآيتين الأخيرتين في (285–286). وتربط هذه الخاتمة كل شيء بقضايا الإيمان والتوجه إلى الله[1].

وسورة البقرة تضم عدة موضوعات لكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسان فيه ترابطا شديدًا. فهي من جهة تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة ومواجهتهم للرسول – صلى الله عليه وسلم- والجماعة المسلمة الناشئة على أساسها. كما بينت العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين في المدينة من جهة، وبين اليهود والمشركين من جهة ثانية. فالكفر ملة واحدة.

[1]- خلود العموش، الخطاب القرآني...، ص 150-151.

كما تدور حول الجماعة المسلمة وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض بعد نكول بني إسرائيل على حملها. وتبصير الجماعة المسلمة وتحذيرها من العثرات التي كانت سببا في تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم. ويكثر الالتفات في السياق من خطاب قوم موسى إلى خطاب اليهود في المدينة إلى خطاب أجيال بين هذين الجيلين تنبيها وتحذيرًا للأمة المسلمة من دس اليهود وكيدهم المتكرر عبر الأجيال والعصور. وتنتهي هذه الحملة من تيئيس المسلمين من الطمع في إيمانهم بالإسلام، فالمسلمون وحدهم المهتدون، وهم ورثة إبراهيم الخليل عليه السلام.

وبما أنّ المسلمين هم حملة الأمانة والرسالة، فالله يضع لهم الأسس التي تقوم عليها حياتهم المميزة لهم عن غيرهم من الأمم. فيعين لهم القبلة التي يتجهون إليها، ويبين لهم المنهج الرباني الذي يسيرون عليه؛ منهج التصور والعبادة، ومنهج السلوك والمعاملة. ويبين لهم الحلال والحرام في المطاعم والمشارب، وأحكام القصاص في القتلى، وأحكام الوصية، وأحكام الصوم، وأحكام الجهاد، وأحكام الحج، وأحكام الزواج والطلاق مع التوسع في دستور الأسرة، وأحكام الصدقة والربا، وأحكام الدين والتجارة.

وختام السورة ينعطف على افتتاحها، فيبين طبيعة التصور الإيماني، وإيمان الأمة المسلمة بالله وملائكته، وكتبه ورسله.

وتختتم بالدعاء بالمغفرة والعفو والرحمة والنصرة على الكافرين[1].

سأتطرق إلى نماذج من الأفعال الكلامية التي وردت في سورة البقرة، وهذه النماذج يمكن تعميمها على النماذج غير المتناولة. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه بالإمكان اعتبار السورة بأكملها فعلا إنجازيا عاما وشاملاً يتكون من مجموعة من الأفعال الصغرى (الفرعية) كما يقول فان دايك: "إن متواليات أفعال الكلام الإنجازية مثلها مثل الأفعال المجردة تستدعي وضع تخطيط وتأويلا، أعني أن بعض المتواليات الخاصة بأفعال الكلام الإنجازية المتنوعة تنوي قصدًا وتخطيطًا، وتفهم [...] كما لو كانت فعلا إنجازيا واحدا. ومثل فعل الكلام هذا مما ينجز بواسطة متوالية من الأفعال الكلامية يجوز أن نطلق عليه الفعل الكلامي الشامل أو الفعل الكلامي الكلي"[2].

---

[1]- قطب سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ط 15، 1408هـ-1988م، مج1، ج 1، ص 28-35.

[2]- فان دايك، النص والسياق، ص 316.

كما يمكن تقسيم سورة البقرة إلى نصوص كبرى: فالبنى الإنجازية الكبرى تجتمع فيها العديد من المنطوقات الإنجازية الفرعية

فالوصف/ الإخبار كبنية كبرى يجتمع فيه عدد من الأفعال الكلامية كما سنرى، وكذلك النداء والاستفهام.

سأتناول هذه الأفعال الإنجازية بحسب التقسيم الخماسي الذي وضعه جون سورل مع الإشارة إلى الأفعال الإنجازية غير المباشرة...

الإخباريات:

رأينا في الفصل السابق أن الغرض من الإخباريات هو نقل المتكلم لواقعة ما من خلال قضية محددة يعبر بها عن هذه الواقعة. والغرض الإنجازي العام هو التقرير، واتجاه المطابقة في أفعال هذا الصنف يكون من الكلمات إلى العالم. وشرط الإخلاص يتمثل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها[1]. وبعبارة أخرى فأفعال هذا المجال تنقل أو تصف الواقع وصفا أو نقلا أمينا، فإذا تحققت الأمانة في النقل أو الوصف، تنجز الأفعال إنجازا تاما وناجحا؛ وبناء عليه تكون أفعال هذا المجال عرضة للتقييم المستمر في مدى صدقها أو كذبها وذلك للتيقن من أمانة النقل أو الوصف. وتوصف بالصدق لا غير إذا كانت خبرا من الله سبحانه وتعالى أو من رسوله صلى الله عليه وسلم. فهذه الأخبار صادقة في مضمونها محققة الوقوع.

ويدخل تحت الإخباريات كل الجمل الخبرية سواء كانت اسمية أو فعلية مثبته أو منفية أو مؤكدة. والإخباريات تساق عادة لإفادة السامع أمرا يجهله وهو ما يسميه البلاغيون فائدة الخبر، أو تثبيت ما يعرفه في نفسه وتذكيره به وهو ما يسمى "لازم الفائدة".

فالأصل في كل خبر إذا إفادة المخاطب غرضين أصلين. يقول القزويني: "من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب إما نفس الحكم كقولك: "زيد قائم" لمن لا يعلم أنه قائم، ويسمى فائدة الخبر، وإما كون المخبر عالما بالحكم، كقولك لمن زيد عنده، ولا يعلم أنك تعلم ذلك: "زيد عندك" ويسمى هذا لا زم "فائدة الخبر"[2]. وتختلف الإخباريات في درجة قوتها الإنجازية بحسب تجردها من علامات النفي والتوكيد أو عدمها، وذلك بحسب حالة المخاطب. فقد

[1] - Searle, John R, A classification of Illocutionary Acts, p.10.

[2]- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 21.

يكون خالي الذهن، أو مترددا، أو منكرا. والمعاني الإنجازية في الإخباريات تتنوع بين إلقاء الخبر، أو إعلانه أو التنبيه عليه. وغرضها الإنجازي العام هو التقرير. وهذه الأفعال "انجازيتها تتم من خلال خطوتين؛ الأولى تتمثل في أن الإنجاز يتحقق من خلال "نطق الكلام وآدائه"، أما الثانية فمن خلال "الإخبار أو الوصف" باعتبار الإخبار أو الوصف غرضين إنجازيين شأنهما شأن أي غرض آخر كالرفض أو القبول [...]، ولكن هذا الإنجاز قد يظهر في البنية السطحية من خلال استخدام ألفاظ إنجازية يعينها مثل، "أقسم أو أعد"، أو من خلال كونها متضمنة في البنية العميقة للمنطوق لتدل بمعناها العام على إنجاز الإخبار أو الوصف"[1]. وهذا ما توصل إليه أوستين بعد دراسة وتمحيص للمنطوقات. وتكون الإخباريات أفعالا كلامية مباشرة متى جرى استخدامها على أصل استعمالها بحيث يكون الجانب الإنجازي الأبرز فيها هو التقرير. فمتى عبرت عن معاني مغايرة خرجت من صورتها المباشرة إلى أخرى غير مباشرة.

1- وصف الكتاب العزيز:

﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾[2].

بعد الحروف المقطعة المتحدى بها، تفتتح سورة البقرة بوصف الكتاب العزيز والتنويه بشأنه العظيم. فهذا الكتاب الهدى طبيعته، والهدى كيانه، والهدى ماهيته، فليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة. فهو الكتاب الكامل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وقد جاء الخبر عن الكتاب مؤكدا. ففي قوله تعالى: "لا ريب فيه" بيان وتوكيد وتحقيق لقوله تعالى: "ذلك الكتاب، وزيادة تثبيت له، وهو بمنزلة أن تقول: "هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب"، فتعيده مرة أخرى للتثبيت وليس تثبيت الخبر غير الخبر. ولا شيء يتميز عنه فيحتاج إلى ضام يضمه إليه، وعاطف يعطفه عليه[3]. فقد جاء المنطوق الإنجازي في هذه الآية مؤكدا ليناسب الهدف المتوخى منه. فقوة المنطوق الإنجازية جزء من بنيته الدلالية[4].

1- الصرّاف علي محمود حجي، في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1431هـ- 2010م، ص 61.

2- البقرة: 1-2.

3- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 156.

4- ينظر: علي محمود حجي الصرّاف، في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 267-268.

فقد أنجزت هذه الآية القرآنية على وجازتها أفعالا إنجازية كثيرة: التنبيه، والإخبار، والوصف، والشهادة، والتقرير، والثناء. يقول الزمخشري في سر ترتيب جمل هذه الآية: "نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال. فكان تقريرا لجهة التحدي، وشدّا من أعضاده. ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب، فكان شهادة وتسجيلا بكماله، لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين، ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة.[...] ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين، فقرّر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله، وحقا لا يأتيه الباطل"[1]. والإخبار عن الكتاب بالمصدر-"هدى"- إشارة إلى بلوغه الغاية في إرشاد الناس حتى كان هو عين الهدى. و"حصل من وصف الكتاب بالمصدر من وفرة المعاني ما لا يحصل، لو وصف باسم الفاعل فقيل هاد للمتقين، فهذا ثناء على القرآن وتنويه به وتخلص للثناء على المؤمنين الذين انتفعوا بهديه".

وبالإضافة إلى الأفعال الإنجازية السالفة الذكر، فإن الآية القرآنية أنجزت فعلا غير مباشر وهو التعريض بالمرتابين والمشككين في الكتاب، ويلعب الوقف هنا دورا هاما في أداء المعنى وإنجاز الفعل. يقول الطاهر بن عاشور: "إن كان الوقف على قوله "لا ريب" تعريض بكل المرتابين فيه من المشركين وأهل الكتاب أي أن الإرتياب في هذا الكتاب نشأ عن المكابرة، وأن لا ريب فإنه الكتاب الكامل، وإن كان الوقف على قوله "فيه" كان تعريضا بأهل الكتاب في تعلقهم بمحرف كتابيهم مع ما فيهما من مثار للريب والشك"[2].

2- وصف المتقين:

بعد وصف الكتاب العزيز بكل صفات الكمال، تنتقل السورة إلى وصف المتقين الذين يؤمنون بهذا الكتاب. وسمة هؤلاء المؤمنين المتقين الوحدة الشعورية الإيمانية الفعالة. الوحدة التي تجمع في نفوسهم بين الإيمان بالغيب، والقيام بالفرائض، والإيمان بالرسل كافة، واليقين بعد ذلك بالآخرة. "فليس من يعيش في الحيز الصغير الذي تدركه حواسه كمن يعيش في الكون الكبير الذي

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 43.

[2]- الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر- تونس, المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر, دط, ج 1، ص227.

تدركه بديهته وبصيرته"[1]. يقول سبحانه وتعالى في شأنهم:﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [2].

لقد أجريت هذه الصفات إذا للثناء على الذين آمنوا واتقوا. وجاء الإخبار عنهم بصيغة المضارع الدالة على التجدد ايدانا بتجدد إيمانهم بالغيب، وإقامتهم الصلاة، ومداومتهم على الإنفاق في سبيل الله وفي تقديم "وبالآخرة" في قوله تعالى: "وبالآخرة هم يوقنون" "وبناء يوقنون على "هم" تعريض بأهل الكتاب، وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته، وأنّ قولهم ليس بصادر عن إيقان. وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك"[3].

وبعد هذا التعريض الضمني، يأتي الثناء على المؤمنين صريحا من الله عزّ وجل في هذا التقرير الحاسم:"أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾"[4].

فهم على نور من ربهم، وبرهان، واستقامة، وسداد بتسديد الله إياهم وتوفيقه لهم. ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى "على هدى" مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه؛ شبهت حالهم حال من اعتلى الشيء وركبه. ومعنى "هدى من ربهم" أي منحوه من عنده وأوتوه. وتنكير "هدى" يفيد ضربا مبهما من الهدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره. وفي تكرير "أولئك" تنبيه على أنهم كما تثبت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح[5]. وتنتهي الآية بوعد لهم بالفلاح والفوز بالثواب والخلود في الجنان "وأولئك هم المفلحون".

فلاح في الدنيا وفلاح في الآخرة. يقول الزمخشري في شأن هذه الآية: "فانظر كيف كرّر الله عزّ وجلّ التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي: ذكر اسم الإشارة، وتكريره وتعريف المفلحين، وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك، ليبصرك مراتبهم ويرغبك

[1]- سيد قطب، ف ظلال القرآن، مج 1، ج1، ص 39.
[2]- البقرة: 3-4.
[3]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 47.
[4]- البقرة: 5.
[5]- الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 48.

في طلب ما طلبوا، وينشطك لتقديم ما قدّموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته و لم تسبق به كلمته"[1].

بالإضافة إلى القوى الإنجازية الحرفية: الإخبار والوصف، والتقرير، أنجزت الآيات القرآنية أفعالا إنجازية غير مباشرة وهي الثناء والمدح للمؤمنين والذم والتعريض بالكافرين. يقول الطاهر بن عاشور "..جمع هذا الوصف بالصراحة ثناء على المؤمنين، وبالتعريض ذمًا للمشركين بعدم الاهتداء بالكتاب، وذما للمنافقين الذين يؤمنون بالظاهر وهم مبطنون الكفر"[2]. والغرض الإنجازي لهذه الأفعال هو الحث والترغيب في الإيمان واتباع صورة المفلحين.

3- وصف الكافرين:

لّما قدم جلّ ذكره ذكر أوليائه وعباده المتقين بصفاقم التي أهلتهم لإصابة الزلفى عنده والدرجات العلى، قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم الكفار العتاة الذين لا ينفع فيهم الهدى، ويستوي عندهم وجود الكتاب أو عدمه، وإنذار الرسول صلى الله عليه وسلم وسكوته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾[3].

وقد جاءت هذه الأخبار مؤكدة. فقوله تعالى: "لا يؤمنون" تأكيد لقوله "سواء عليهم أأنذرتهم". وقوله: "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم" تأكيد ثان أبلغ من الأول. لأن من كان حاله إذا أنذر مثل حاله إذا لم ينذر كان في غاية الجهل، وكان مطبوعًا على قلبه لا محالة[4]. فهذه الأخبار تختلف في درجة قوقما الإنجازية وتزداد القوة كلما زاد التأكيد. فقوله تعالى: "ختم الله على قلوبهم وعل سمعهم..." أكثر قوة من "لايؤمنون" لأن "معنى: ختم وطبع في اللغة واحد، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق منه، فلا يدخله شيء"[5]. وكذلك قلوبهم مغلقة ومحكمة السد لا يدخلها الإيمان. وقد جاءت الآية مصدرة بحرف التأكيد "إنّ" "إما لمجرد الاهتمام بالخبر وغرائبه

1- المرجع نفسه، ج 1، ص 49.

2- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 229-230.

3- البقرة: 6-7.

4- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 156.

5- ابن قيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، التفسير القيم، جمع وإعداد الشيخ محمد أويس الندوي، تقديم محمد حامد الفقي، ضبطه وحققه رضوان جامع رضوان، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط 1، 1426هـ-2005م، ص 124.

دون رد الإنكار والشك، لأن الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم وللأمة وهو خطاب أنف بحيث لم يسبق شك في وقوعه [...] ومجيء "إنّ" للاهتمام [...] في القرآن كثير. وقد تكون "إنّ" هنا لرد الشك تخريجا للكلام على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأن حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية الكافرين تجعله لا يقطع الرجاء في نفع الإنذار لهم وحاله كحال من شك في نفع الإنذار [...] فأخرج الكلام على غير مقتضى الظاهر ونزل غير الشاك مترلة الشاك"[1].

وعدم اهتدائهم بالقرآن كان لعدم قابليتهم لا لنقص في دلالة القرآن وهديه إليه. فهؤلاء ختم الله على قلوبهم فلا تصل إليها حقيقة من الهدى ولا صدى. وجملة "ختم الله على قلوبهم" جارية مجرى التعليل للحكم السابق" سواء عليهم أأنذرتهم"، ليدفع بذلك تعجب المتعجبين من استواء الإنذار وعدمه عندهم، ومن عدم نفوذ الإيمان إلى نفوسهم مع وضوح دلائله. فإذا علم أن على قلوبهم ختما وعلى أسماعهم، وأنّ على أبصارهم غشاوة علم سبب ذلك كله. وهذه الجملة ذم لأصحابها. فقد وردت "الآية ونظائرها في معنى النعي على الموصوفين بذلك والتشنيع بحالهم"[2].

وجملة "وعلى سمعهم معطوفة على قوله "وعلى قلوبهم" بإعادة الجار لزيادة التأكيد حتى يكون المعطوف مقصودًا لأن على مؤذنة بالمتعلق فكأن ختم كُرر مرتين[3].

لقد جاء الإخبار عن تكبرهم وإعراضهم عن الهدى والاستماع إلى ما دعوا إليه من الحق ذمًا وتشنيعًا عليهم. فأنجزت الآيتان فعلاً إنجازيًا مباشرًا وهو الإخبار، وفعلين إنجازيين غير مباشرين وهما الذم والتشنيع. ثم يأتي الوعيد الصادق: "ولهم عذاب عظيم". وهذه هي النهاية الحتمية للكفر العنيد.

4- وصف المنافقين:

والنموذج الثالث المخبر عنه هو نموذج المنافقين. فقد كانوا صورة جديدة على المؤمنين؛ لذلك كان الأمر في حاجة إلى كشف وتنبيه مفصل لأحوالهم وسماتهم حتى يحذرهم المؤمنون ويأمنوا كيدهم. فالمنافقون أخطر من الأعداء الصرحاء لأن كيدهم خفي. فهم يظهرون شيئا ويبطنون آخر. هذا النوع من الناس الذي لا يجد في نفسه الشجاعة ليواجه الحق بالإيمان الصريح، أو يجد في نفسه الجرأة ليواجهه الحق بالإنكار الصريح. فوردت في شأنهم ثلاث عشرة آية (8-

[1]- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 247 – 248.
[2]- المرجع نفسه، ج1، ص 254.
[3]- المرجع نفسه، ص 257.

20) وصف سبحانه وتعالى فيها حالهم، و"نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم، وفضحهم وسفههم، واستجهلهم، واستهزأ بهم، وتهكم بفعلهم، وسجّل بطغيانهم، وعمّههم، ودعاهم بكما عميا، وضرب لهم الأمثال الشنيعة"[1].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [2].

وفي تقديم الخبر "ومن الناس" إكساب الحديث ذما أو نقصانا، وتنبيه للسامع على عجيب ما سيذكر، وتشويق لمعرفة ما يتم به الإخبار. "وإذا علمت أن قوله "من الناس" مؤذن بأن المتحدث عنهم ستساق في شأنهم قصة مذمومة وحالة شنيعة إذ لا يستر ذكرهم إلا لأن حالهم من الشناعة بحيث يستحي المتكلم أن يصرح بموضوعها. وفي ذلك من تحقير شأن النفاق ومذمته أمر كبير"[3]. وجيء في نفي قولهم بالجملة الإسمية "وما هم بمؤمنين" ولم يجيء بالجملة الفعلية على وازن قولهم "آمنا"، للدلالة على انتفاء الإيمان عنهم. فالقائلين آمنا لم يقع منهم إيمان.

فالجملة الإسمية تدل على ثبوت صفة عدم الإيمان وقوة رسوخها في صاحبها، كما تدل على استقرار أحوال الكفر واستمرارها وعدم تغيرها.

فهؤلاء لا يخادعون المؤمنين وحسب، وإنما يخادعون الله كذلك؛ لكنهم في حقيقة الأمر ما يخدعون إلا أنفسهم، فمعركتهم ليست مع المؤمنين، إنما هي مع الله القوي الجبار. وفي هذا تهديد مرعب للذين يمكرون بالمؤمنين من جهة؛ وطمأنة للمؤمنين كي يمضوا في طريقهم لا يبالون كيد الكائدين من جهة أخرى. ومن ثم كان الوعيد بالعذاب الأليم وسوء الخاتمة والمترل.

"ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون"

فهؤلاء في قلوبهم علة وفي طبيعتهم آفة، وفيهم صفة العناد وتبرير ما يأتون به من الفساد، إنهم لا يقفون عند حد الكذب والخداع بل يضيفون إليهما السفه والإدعاء. ومن ثم يأتي التعقيب الحاسم والتقرير الصادق بعد هذا الوصف المخزي:

---

[1]- الزمخشري، الكشاف...، ج1، ص 54.

[2]- البقرة: 8-9-10.

[3]- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير...، ج1، ص 260.

"أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾"[1].

وقد جاءت الجملة مؤكدة بعدة مِؤكدات وفي هذا رد شديد على الذين ادعوا قصر أنفسهم على الإصلاح في حكاية قولهم: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾"[2] فكان الرد عليهم قويا في جعل الفساد مقصورا على أنفسهم، كما جاءت هذه الأخبار مؤكدة لدحض افترائهم وادعائهم الصلاح والإصلاح.

فالأخبار تختلف في درجة قوتها وشدتها الإنجازية بحسب أحوال المخاطب. فبالإضافة إلى أسلوب القصر، أكد قصر الفساد عليهم بضمير الفصل. كما أن دخول "إنّ" على الجملة وقرنها "بألا" المفيدة للتنبيه تفيد الاهتمام بالخبر وتقويته وإشاعته وإعلانه دلالة على سخط الله عليهم والذم العظيم، وكما قصر عليهم الإفساد قصر عليهم السفه دون غيرهم.

"وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾"[3]

وإذا ثبتت لهم السفاهة انتفى عنهم الحلم لا محالة، فقد وصفهم بانعدام الشعور "لا يشعرون"، وبانعدام العلم "لا يعلمون" مبالغة في الذم وتقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب.

﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[4].

في الآية الأولى، جاء الإخبار بالجملة الفعلية "ءامنا" ثم بالجملة الإسمية "إنا معكم" إنما نحن مستهزؤون" للإشعار بوجود الفرق الدلالي بينهما.

فقد جاء خطابهم للمؤمنين خبرا غير مؤكد على عكس خطابهم مع شياطينهم الذي جاء مؤكدا "إنّا معكم".

---

[1]- البقرة: 12.
[2]- البقرة: 11.
[3]- البقرة: 13.
[4]- البقرة: 14-15.

"فخلو خطابهم مع المؤمنين عما يفيد تأكيد الخبر لأنهم لا يريدون أن يعرضوا أنفسهم في معرض من يتطرق ساحته الشك في صدقه [...] وذلك من إتقان ثقافتهم [...] أما قولهم لقومهم "إنّا معكم" بالتأكيد فذلك لأنه لما بدا من إبداعهم في النفاق عند لقاء المسلمين ما يوجب شك كبرائهم في البقاء على الكفر [...] احتاجوا إلى تأكيد ما يدل على أنهم باقون على دينهم. وكذلك قولهم "إنما نحن مستهزؤون" [...] جاؤوا فيه بصيغة قصر القلب لرد اعتقاد شياطينهم فيهم إنّ ما أظهروه للمؤمنين حقيقة وإيمان صادق"[1]. وجاء الرد بالجملة الإسمية المؤكدة للدلالة على الثبات على الكفر وردّ الإسلام. وجاء الرد عليهم "الله يستهزئ بهم" بالفعل ليفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت. فالله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقامًا للمؤمنين. وما أباس من يستهزئ به الله جبار السموات والأرض وما أشقاه. وفي تقديم اسم الجلالة "الله" على الخبر الفعلي "تنويه بشأن المنتصر لهم وهم المؤمنون"[2]. وتهديد مرعب للمستهزئينن. ومن ثم يأتي التقرير الحاسم:

"أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦"[3].

خسران في الدنيا وخسران في الآخرة.

لقد تنوعت الإخباريات إذا بين جمل خبرية اسمية وفعلية، وجاءت مؤكدة، ومثبتة، ومنفية، واختلفت قوتها الإنجازية شدة وضعفًا بحسب أحوال المخاطبين. وتوزعت على "468" جملة[4].

---

[1]- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 291-292.

[2]- المرجع نفسه، ص 293.

[3]- البقرة: 16.

[4]- محمد خان، لغة القرآن الكريم، دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط 1، 2004.

الأفعال الإنجازية غير المباشرة المتحولة عن الإخباريات:

سأكتفي هنا بعرض الآيات القرآنية والدلالات التي تخرج إليها لأن المقام لا يتسع للشرح والتفصيل. فالأنماط الخبرية إذا امتنع إجراؤها على أصل استعمالها تولدت منها دلالات أخرى مما يناسب السياق بمعونة القرائن. فقد تتحول الإخباريات من صورة دلالية خبرية إلى صورة دلالية خبرية أخرى، وقد تتحول إلى فعل كلامي آخر، أي قد تتحول من الإخباريات إلى التوجيهيات كتحول الخبر إلى الأمر. "فإنما يجيء الأمر بلفظ الخبر الحاصل تحقيقا لثبوته؛ وأنه مما ينبغي أن يكون واقعًا ولا بد"[1] وقد رأينا في الآيات السابقة كيف خرجت الإخباريات إلى عدة معان كالثناء والذم، والتعظيم والتحقير، والتعريض والتقريع، والحث والترغيب، والوعد والوعيد... ومن الدلالات أيضا:

1- المجازاة والعقاب في قوله تعالى: "...وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ... ﴿٦١﴾"[2]

2-

2- الدعاء وهو من الله واقع غير منتظر في قوله تعالى:

"فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾"[3]

وفي قوله كذلك: "... فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾"[4]

---

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 218.

[2]- البقرة: 61.

[3]- البقرة: 79.

[4]- البقرة: 89.

3- الذم في قوله: "وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩٣﴾ "[1]

4- التمني في قوله: "مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۗ ...﴿١٠٥﴾ "[2].

5- الإباحة في قوله: "أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ ... ﴿١٨٧﴾"[3]

6- الأمر في قوله: "۞وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ ... ﴿٢٣٣﴾ "[4]

7- التحليل والتحريم في قوله: "... وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ... ﴿٢٧٥﴾ "[5]

8 - الوعد والوعيد في قوله تعالى: "يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾"[6]

9- النهي في قوله تعالى: "وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ...﴿٨٣﴾ "[7]

يقول الزركشي ضمن معنى "لا تعبدون" معنى "لا تعبدوا" ويقول "لا تعبدون" أبلغ من صريح النهي بما فيه من إيهام أن المنهي يسارع إلى الانتهاء فهو مخبر عنه"[8]

---

[1]- البقرة: 93.

[2]- البقرة: 105.

[3]- البقرة: 187.

[4]- البقرة: 233.

[5]- البقرة: 275.

[6]- البقرة: 276.

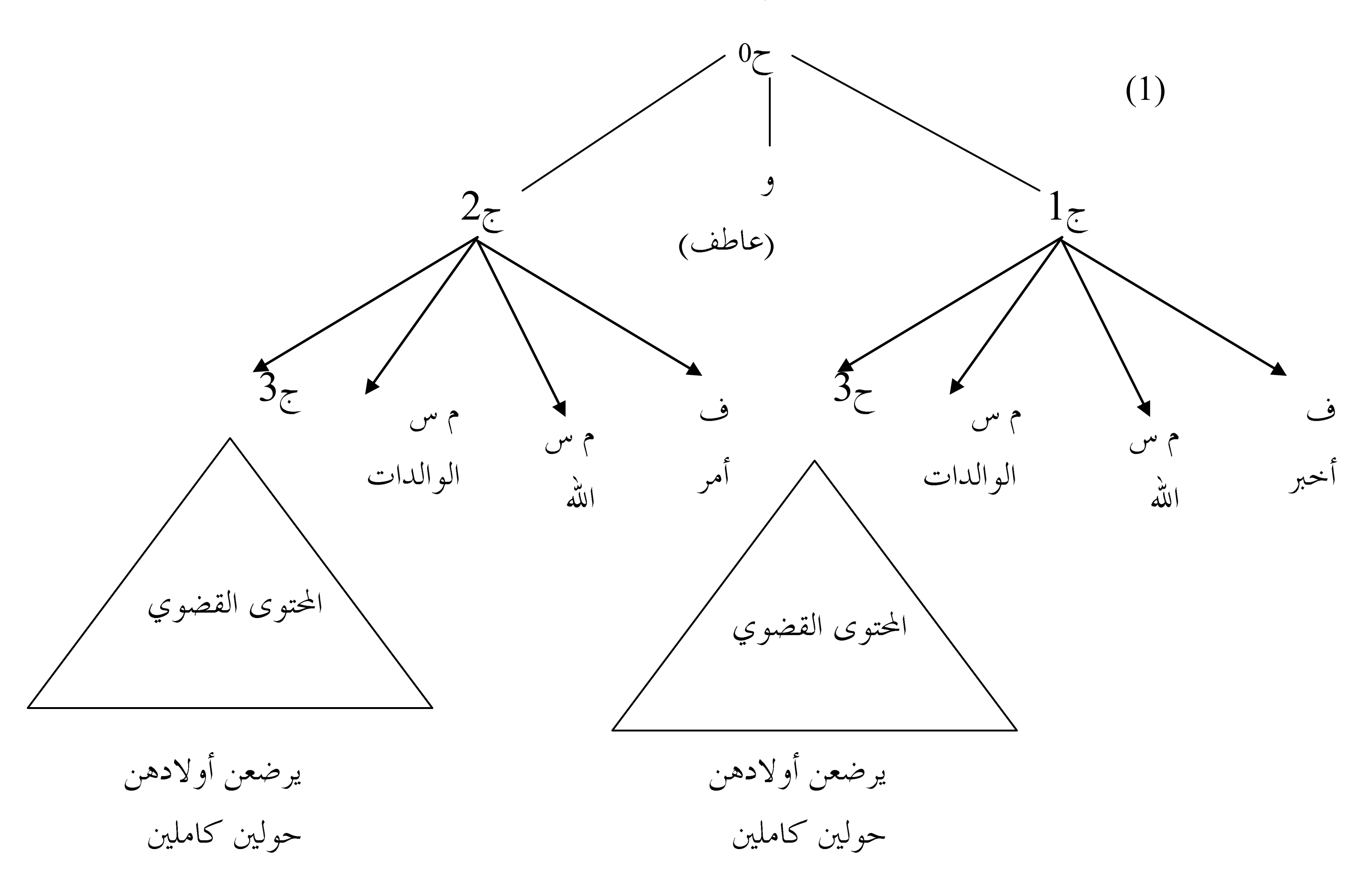
[7]- البقرة: 83.

[8]- الزركشي، البرهان، ج3، ص 217.

وفي قوله أيضا: "وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾"[1].

وفي قوله: "لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ... ﴿٢٥٦﴾"[2]

ويمكن التمثيل للبنية المنطقية للآية: "والوالدات يرضعن أولا دهن حولين كاملين" باعتبارها حاملة للقوتين الإنجازيتين الخبر والأمر كالتالي:



1- البقرة: 84.

2- البقرة: 256.

وبموجب قاعدة تقليص العطف تنقل البنية (1) إلى البنية (2).

(2)

ح0

و

ج1

ف
أخبر

م س
الله

م س
الوالدات

م3

ج3

المحتوى القضوي

أن يرضعن
أولادهن حولين
كاملين

ج2

ف
أمر

م س
الله

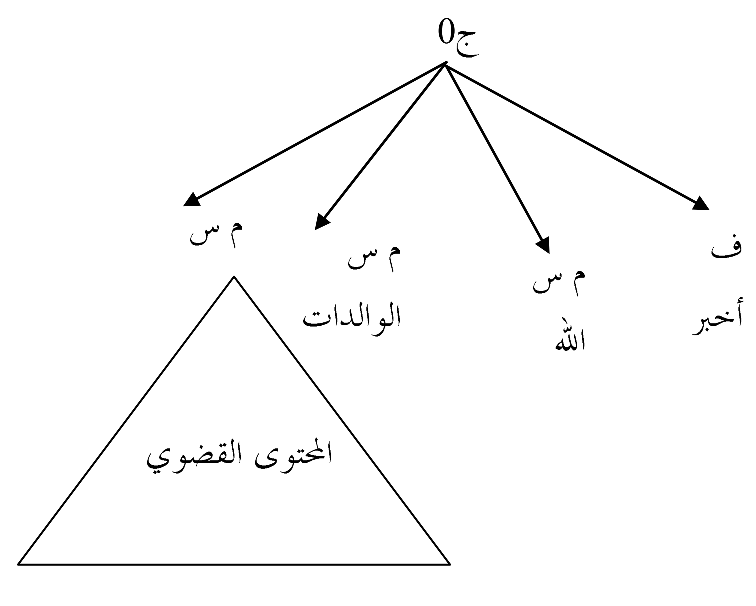
م س
الوالدات

م س

المحتوى القضوي

أن يفعلن ذلك

وبموجب قاعدة حذف الفرضية الإنجازية تنقل البنية (2) إلى البنية (3).



القوى الإنجازية المباشرة والمستلزمة للإخباريات:

القوى الإنجازية المباشرة	القوى الإنجازية المستلزمة
- الوصف - الإخبار - التقرير	- المدح – التعظيم – الثناء- - الذم – التحقير – التقريع التعريض – الوعد- الوعيد - الجزاء – الدعاء – التمني - الإباحة – النهي – الأمر- التحليل – التحريم – الحث – الترغيب - الترهيب

التوجيهيات: Directives

الغرض الإنجازي لهذه الأفعال يتمثل في محاولة المتكلم التأثير على المتلقي ليفعل شيئا ما ويقوم بأداء عمل من الأعمال. والمسؤول عن إحداث المطابقة بين العالم والقول هو المتلقي (المخاطب). والشرط لنجاح التوجيه هو قدرة المتلقي على أداء الفعل المطلوب[1]. يضم هذا المجال مجموعة كبيرة من الأفعال الإنجازية التي تتفرع إلى مجموعة من المجالات الفرعية. وتتدّرج أفعال التوجيه في قوتها الإنجازية باختلاف السلطة أو المكانة بين المتكلم والمخاطب. وهذا ما يعطي أفعال التوجيهيات أشكالها المختلفة: الأمر، والنصح، والاقتراح، والإلتماس، والنهي، والتهديد... وقد تنجز الأفعال التوجيهية من خلال المنطوقات الإنجازية المباشرة، أي من خلال الأفعال المعجمية الدالة بنفسها دلالة معجمية صريحة على الغرض الإنجازي مثل: "آمرك" و"أمنعك" و"أقترح" و"أطلب"... وقد تنجز من خلال المنطوقات الإنجازية غير المباشرة. مثل خروج الأمر لدلالة التهديد أو الدعاء. فما"كان أمرا قد يصبح تهديدا في سياق ومقام معينين، وقد يصبح التماسا... في سياقات ومقامات أخرى، بل إن الفعل اللغوي قد ينقلب ضد لفظه وصيغته فيصبح الفعل اللغوي الخبري فعلا إنشائيا

[1] - Searle, A classification of illocutionary Acts, p.11

والعكس أيضا صحيح. إن الفعل اللغوي [...] ليس فعلا أحادي المعنى ولا شفافا في أغلبه، بل للمقام والسياق دور بنائي في عملية إنتاجه"[1].

يلاحظ إذا في الأفعال التوجيهية كثرة تعدد الدلالات الإنجازية للمنطوق الواحد بحسب السياق الذي يستعمل فيه المنطوق الذي يتحدد دلاليا لا بالمدلول الموضوع له وإنما بقصد المتكلم والمقام. ويدخل في هذا الباب كل الجمل الطلبية سواء كانت أمرا، أم نهيا، أم نداء، أم استفهاما، أم دعاء، أم تمنيا، أم عرضا، أم تحضيضا.

وقد جاءت الجمل الطلبية في سورة البقرة في "252" جملة موزعة كالتالي[2]:

أنواع الجمل الطلبية	عدد كل نوع
جملة الأمر	120
جملة النهي	40
الجملة الإستفهامية	56
الجملة الندائية	36
المجموع العام	252

الاستفهام:

وهو طلب ما ليس عندك، أي طلب الفهم أو العلم بشيء لم يكن معلومًا بواسطة أداة من أدواته وهي: "الهمزة، أم، هل، من، ما، متى، أيان، كيف، أين، أنّى، كم، أي". وتنقسم هذه الأدوات إلى ثلاثة أقسام بحسب ما يطلب بها:

- ما يطلب به تصور أو تصديق أمر ما: "الهمزة".
- ما يطلب به تصديق أمر ما فقط: "هل".
- ما يطلب به تصور أمر ما فقط: باقي الأدوات.

فالمستفهم يكون في طلب التصور مترددا في تعيين أحد الشيئين مثل: أحاضر زيد أم غائب؟

[1]- يحيى رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي، الاستراتيجية والإجراء، عالم الكتب الحديث، إربد –الأردن، جدارا للكتاب العالمي، عمان –الأردن، ط 1، 2007، ص 292.

[2]- محمد خان، لغة القرآن الكريم، ص 187.

ويكون في التصديق مترددًا في تعيين النسبة بين الإثبات والنفي مثل: أنجح علي؟[1]

وبما أن الاستفهام طلب ما في الخارج أو طلب تحصيله في الذهن لزم ألا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاك مصدق بإمكان الإعلام؛ فإنّ غير الشاك إذا استفهم يلزم تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت الفائدة[2].

إذا لا يكون الاستفهام استفهاما حقيقيًا إلا إذا توفرت شروطه. ومن أهم شروطه جهل المتكلم بما يسأل عنه وتقديره علم المخاطب به، فإذا لم تتوفر شروطه انصرف عن معناه الحقيقي وطلبت به معان أخرى.

ويقسم الزركشي الاستفهام بمعنى الخبر إلى ضربين: استفهام الإنكار وهو الوارد للنفي مثل قوله تعالى: "..فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾"[3] واستفهام التقرير وهو الوارد للإثبات، والتقرير هو حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده مثل قوله تعالى:﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴿٢﴾﴾[4]. والاستفهام بمعنى الإنشاء يرد على ضروب كمجرد الطلب، أو التذكير أو التنبيه، أو الترغيب، أو العرض والتحضيض، أو الاستبطاء...[5]

والاستفهام إذا جاء من الله سبحانه وتعالى فإنه يختلف عن استفهام البشر بعضهم بعضا، "لأن ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن فإنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل، فيستفهم عنه نفسه تخبره به، إذ قد وضعه الله عندها، فالإثبات كقوله تعالى: "...وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾"[6] والنفي كقوله تعالى: "هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴿١﴾"[7] ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ

---

[1]- ينظر: محمد خان، لغة القرآن، ص 221-222.

[2]- الزركشي، البرهان، ج2، ص 203.

[3]- الأحقاف: 35.

[4]- الشرح: 1-2.

[5]- البرهان، الزركشي، ج2، ص 204-213.

[6]- النساء: 87

[7]- الإنسان: 1.

بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾ [1]، ومعنى ذلك أنه قد حصل لكم العلم بذلك تجدونه عندكم إذا استفهمتم أنفسكم عنه، فإن الرب تعالى لا يستفهم خلقه عن شيء، وإنما يستفهمهم ليقررّهم ويذكّرهم أنّهم قد علموا حق ذلك الشيء، فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن، وهو في كلام البشر مختلف"[2]

ووردت التراكيب الإستفهامية في سورة البقرة في ست وخمسين (56) موضعا، استخدمت فيها تسع أدوات موزعة كالآتي[3]:

الأداة	العدد
الهمزة	25
ما	11
من	6
أم المنقطعة	4
كيف	3
هل	2
كم	2
أنى	2
متى	1
9 أدوات	56

الاستفهام بالهمزة:

لما أخبر الله سبحانه وتعالى ملائكته بأنه سيجعل في الأرض خليفة ليعمرها بما وهبه من طاقات كامنة واستعدادات مدخورة وقوى خفية تساءلوا وتعجبوا من الحكمة في ذلك:

1- هود: 14.

2- البرهان، الزركشي، ج2، ص 203.

3- محمد خان، لغة القرآن، ص 222.

"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ "[1]

استفهام وتعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم العليم. وتعجبوا منه على الرغم من أنه غيب لأن الله أخبرهم أو سبق في علمهم أن الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون، وتعجبوا لأن من كان شأنه الفساد وسفك الدماء لا يصلح للتعمير؛ لأنه إذا عمّر نقض ما عمّره.

وإن عدّ الزمخشري الاستفهام هنا لمجرد التعجب[2]، فإن الطاهر ابن عاشور قد حمل الاستفهام المحكي عن كلام الملائكة على حقيقته وضمّنه معنى التعجب[3]. وعليه تكون القوة الإنجازية الحرفية هي السؤال، والقوة الإنجازية المستلزمة مقاميا هي التعجب.

"۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ "[4].

الكلام هنا موجه إلى بني إسرائيل. فبعد تذكيرهم بنعمته تعالى عليهم، وضرورة الإيمان والتصديق بالحق، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، أنكر عليهم تصرفهم ووبخهم وتعجب من حالهم. لأنهم يأمرون الغير بالبر والمعروف، ولا يمتثلون هم أنفسهم لما أمروا به وبخاصة وهم يتلون التوراة وفيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل. ومن هنا جاء التوبيخ العظيم "أفلا تعقلون" بمعنى أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه[5].

وجاء الاستفهام هنا للتوبيخ والإنكار بقرينة المقام ولعدم استقامة حمله على الاستفهام الحقيقي. "ويتولد منه معنى التعجب من حال الموبّخ وذلك لأن الحالة التي وبخوا عليها حالة عجيبة لما فيها من إرادة الخير للغير وإهمال النفس منه، فحقيق بكل سامع أن يعجب منها"[6].

1- البقرة: 30.
2- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 99.
3- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 402.
4- البقرة: 44.
5- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 105.
6- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 475.

فبعد أن تحدث ابن عاشور عن خروج الاستفهام إلى التوبيخ، أخرج التوبيخ وهو من قبيل المعنى المستلزم مقاميا إلى التعجيب. فقد تم العدول من الاستفهام إلى التوبيخ ومن التوبيخ إلى التعجيب. فنحن هنا وانطلاقًا من صيغة لغوية واحدة تجاه ثلاث درجات من المعنى، أو ثلاث قوى إنجازية.

معنى الصيغة ـــــ السؤال (قوة إنجازية حرفية).

معنى المعنى ـــــ التوبيخ (قوة إنجازية مستلزمة).

معنى معنى المعنى ـــــ التعجيب (قوة إنجازية مستلزمة).

وينبه ابن عاشور إلى أن التعجب ليس بلازم لمعنى التوبيخ في كل موضع بل في نحو هذا مما كان فيه الموبخ عليه غريبا غير مألوف من العقلاء[1].

وتلحق بهذه الصورة قوله تعالى:

"...قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴿٦١﴾"[2].

فقد خرج الاستفهام إلى الإنكار والتوبيخ والتعجيب من حال بني إسرائيل الذين سألوا مما تنبت الأرض طعاما لهم راغبين عن طعام السماء –المن والسلوى؛ ولا يستبدل الأدنى بالأرفع إلا الجاهل.

وقد يخرج الاستفهام إلى التقرير والتذكير كما في قوله تعالى:

"قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾"[3].

وفي قوله أيضا:

"۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾"[4]

---

[1]- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 475.

[2]- البقرة: 61.

[3]- البقرة: 33.

[4]- البقرة: 106.

فإن معنى الاستفهام هنا هو التقرير؛ أي قد علمت أن الله على كل شيء قدير.

يقول الزركشي في استفهام التقرير: "هل المراد بالتقرير الحكم بثبوته، فيكون خبرا محضا؟ أو أن المراد طلب إقرار المخاطب به كون السائل يعلم فهو استفهام تقرير المخاطب، أي يطلب أن يكون مقررا به؟ وفي كلام النحاة والبيانيين كل من القولين"[1]. وهذا ما سبقت الإشارة إليه في ظاهرة التحجر. فقد تكون هذه الاستفهامات تحجرت تحجرًا كليا وهنا تختفي القوة الإنجازية الحرفية وتحل محلها القوة الإنجازية المستلزمة. وقد تكون تحجرت تحجرًا جزئيا. فبالإضافة إلى القوة الإنجازية الحرفية "الاستفهام"، تصبح القوة الإنجازية "التقرير" ذات أهمية بحيث يمكن عدها قوة حرفية ثانية.

الاستفهام بـ "كيف":

"كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٨﴾"[2].

يقول الزمخشري جاءت "كيف" بمعنى الهمزة وتقديره "أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان، وهو الإنكار والتعجب. ونظيره أن تقول: أتطير بغير جناح، وكيف تطير بغير جناح؟ [...] وقد أخرج [الكفر] في صورة المستحيل لما قوى من الصارف عن الكفر والداعي إلى الإيمان"[3]. و"كيف" هنا لإنكار الحال التي يقع عليها كفرهم. وكأنه قال كيف تكفرون بالله وأنتم عالمون بحالكم هذه: حال الموت، وحال الإحياء، ثم الموت، ثم النشور (الرجوع). و"معنى الاستفهام في كيف الإنكار. وأن إنكار الحال متضمن لإنكار الذات على سبيل الكناية، فكأنه قيل ما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه"[4]. وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغ.

ويقول ابن عاشور: "والاستفهام هنا مستعمل في التعجيب والإنكار بقرينة قوله "وكنتم أمواتا" [...] أي أن كفركم مع تلك الحالة شأنه أن يكون منتفيًا لا تركن إليه النفس الرشيدة

---

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 214-215.

[2]- البقرة: 28.

[3]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 97

[4]- المرجع نفسه، ص 97.

لوجود ما يصرف عنه وهو الأحوال المذكورة بعد فكان من شأنه أن يُنكر فالإنكار متولد من معنى الاستفهام..."[1].

فالإنكار والتعجب، كقوتين إنجازيتين مستلزمتين، متولدتان عن القوة الإنجازية الحرفية الاستفهام.

وقد ذهب الطبري إلى أن "هذه الآية توبيخ من الله جلّ ثناؤه للقائلين "ءامنا بالله وباليوم الآخر" [البقرة: 8] الذين أخبر الله عنهم أنهم مع قيلهم ذلك بأفواههم غير مؤمنين به، وأنهم يقولون ذلك خداعا لله وللمؤمنين. فعذلهم الله بقوله "كيف تكفرون" ووبخهم واحتج عليهم في نكيرهم ما أنكروا من ذلك"[2].

وبهذا تكون الآية القرآنية قد أنجزت ثلاثة أفعال إنجازية غير مباشرة وهي الإنكار والتعجيب والتوبيخ بالإضافة إلى الفعل الإنجازي المباشر الاستفهام. فالآيات القرآنية مشحونة بالدلالات المتعددة.

الاستفهام بـــ "ما":

" ... فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ ﴿٢٦﴾"[3].

سيقت هذه الآية لبيان ما استنكره الجهلة والسفهاء من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل. فقد وجد المنافقون واليهود والمشركون في ضرب هذه الأمثال منفذا للتشكيك في صدق الوحي بهذا القرآن بحجة أن ضرب الأمثال هكذا بما فيها من تصغير لهم وسخرية منهم لا تصدر عن الله، وأن الله لا يذكر هذه الأشياء الصغيرة كالبعوض، والذباب، والعنكبوت، فجاءت هذه الآية دفعا لهذا الدس وبيانا لحكمة الله في ضرب الأمثال. فالمؤمنون زادتهم إيمانا، وأما الكفار فيتساءلون: "ماذا أراد الله بهذا مثلا"

[1]- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير...، ج1، ص 374.

[2]- الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، قدّم له خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي حميد العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ- 2001م، ج1، ص 250.

[3]- البقرة: 26.

وهو سؤال من لا يتأدب مع الله الأدب اللائق. قالوه في صيغة الاعتراض والاستنكار والتشكيك في صدور مثل هذا القول عن الله[1]

و"ماذا أراد الله بهذا مثلا": استرذال واستحقار[2] والاستفهام هنا إنكاري والإشارة "بهذا " مفيدة للتحقير بقرينة المقام[3]. ويقول محمد خان في شأن هذا الاستفهام "وربما كان المعنى إلى الاستخفاف أقرب"[4]

وجاء الاستفهام على حقيقته في أسئلة قوم موسى عليه السلام عن صفات البقرة التي أمروا أن يذبحوها. فقد سألوا عن صفاتها وأجيبوا في كل مرة عن سؤالهم. وجاء تكرير السؤال "ما هي" ليزدادو بيانا لوصفها. وتكرار هذه الأسئلة يرسم سمة اللجاجة في بني إسرائيل، والتعنت، والتلكؤ في الإجابة، وتلمس الحجج والمعاذير لعدم الامتثال لأوامر نبيهم التي عدوها من باب الاستهزاء بهم.

"قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ "[5].

كما جاء السؤال على حقيقته في سؤال يعقوب عليه السلام لبنيه:

﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾[6]

---

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج 1، ص 50-51.

[2]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 91.

[3]- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 364-365.

[4]- محمد خان، لغة القرآن الكريم، ص 240.

[5]- البقرة: 68-69-70-71.

[6]- البقرة: 133.

وجاء جوابهم:

"... قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾"[1].

وجاء أيضا على حقيقته، لمّا سأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ماذا ينفقون أو أي شيء ينفقون. فهي أسئلة عن الإنفاق المقبول عند الله تعالى.

"يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ ... ﴿٢١٥﴾ "[2].

والسؤال هنا عن نوع ما ينفقون فجاء الجواب يبين صفة الإنفاق "ما أنفقتم من خير" ويحدد أولى مصارفه "فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل". فكان الجواب إذا عن النوع والجهة.

"... وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ ..."[3].

أما الجواب هنا فعن المقدار والدرجة لأن العفو: الفضل والزيادة فكل ما زاد عن النفقة الشخصية فهو محل للإنفاق.

وقد جاءت الأسئلة هنا بالوحدة المعجمية"يسألونك، وبأداة الاستفهام "ما". والفعل هنا فعل مباشر قوته الإنجازية الحرفية السؤال.

كما جاءت عدة أسئلة بالوحدة المعجمية "يسألونك" فقد كان حرص الصحابة شديدا لمعرفة أحكام دينهم في كل شأن من شؤون حياتهم اليومية. وكان القرآن يتزل فيها بالقول الفصل حتى تطمئن قلوب المؤمنين.

"۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ ...﴿١٨٩﴾ "[4].

"يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ ... ﴿٢١٧﴾"[1].

[1]- البقرة: 133.

[2]- البقرة: 215.

[3]- البقرة: 219.

[4]- البقرة: 189.

"۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ... ﴿٢١٩﴾ "[2]

".... وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ ... ﴿٢٢٠﴾ "[3].

"وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى ... ﴿٢٢٢﴾ "[4].

والإجابات في هذه الآيات تتضمن أحكاما وقع السؤال عنها.

فقد سأل الصحابة عن الأهلة، وعن القتال في الشهر الحرام، وعن الخمر والميسر، وعن اليتامى، وعن المحيض.

الاستفهام بــ "من"

جاء الاستفهام بــ "من" في سورة البقرة في ستة مواضع وقد خرج إلى معنى النفي في قوله تعالى:

"وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ ... ﴿١٣٠﴾ "[5].

"من يرغب" استنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة إبراهيم عليه السلام[6]. فإن الإعراض عن ملته مع العلم بفضلها ووضوحها أمر لا يقبله عاقل. فالاستفهام الإنكاري نفي ولذا جاء بعده الاستثناء كقرينة دالة على إرادة النفي. فلا يرغب عن ملة إبراهيم إلا السفيه.

"وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ ... ﴿١١٤﴾ "[7].

الآية تشير إلى منع أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من الدخول إلى المسجد الحرام، وإطلاق النص يوحي بأنه حكم عام في منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه والسعي في

[1]- البقرة: 217.
[2]- البقرة: 219.
[3]- البقرة: 220.
[4]- البقرة: 222.
[5]- البقرة: 130.
[6]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 145 .
[7]- البقرة: 114.

خرابها. فهؤلاء بلغوا الذروة من الظلم. فلا يوجد من هو أظلم منهم. والاستفهام الإنكاري بمعنى النفي بمعنى لا أحد أظلم منهم.

وجاء الاستفهام بمعنى النفي مع إفادة التعظيم للمولى عز وجل في قوله:

"صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾"[1] بمعنى لا أحد أفضل صبغة أو دينا من الله. فهو من يصبغ عباده بالإيمان ويطهرهم به.

وجاء الاستفهام بـــ "من" للترغيب والحث على الإنفاق في سبيل الله وتعظيم من يفعل ذلك في قوله: "مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾"[2].

ويقول ابن قيم الجوزية في شأن هذه الآية: "صدّر سبحانه الآية بألطف أنواع الخطاب، وهو الاستفهام المتضمن لمعنى الطلب وهو أبلغ في الطلب من صيغة الأمر "ويشرح الآية قائلا: "والمعنى: هل [من] أحد يبذل هذا القرض الحسن، فيجازى عليه أضعافاً مضاعفة؟ وسمى ذلك الانفاق قرضا حسنا حثا للنفوس، وبعثًا لها على البذل. لأن الباذل متى علم أن عين ماله يعود إليه ولا بد طوعت له نفسه بذله، وسهل عليه إخراجه"[3].

الاستفهام بـــ "أم":

وتسمى "أم" المنقطعة ولا يفارقها الإضراب، وقد يكون له مجردًا، وقد تتضمن مع ذلك استفهاما إنكاريًا، أو استفهاما طلبيًا[4]. وجاء في سورة البقرة أربعة تراكيب بـــ "أم" بمعنى "بل" و"همزة الاستفهام"[5].

"أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾"[6].

---

[1]- البقرة: 138.
[2]- البقرة: 245.
[3]- ابن قيم الجوزية، التفسير القيم، ص 155.
[4]- ابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص 55.
[5]-محمد خان، لغة القرآن، ص 234.
[6]- البقرة: 108.

فبعد أن بيّن سبحانه وتعالى بأنه هو ولي المؤمنين وناصرهم، ليس لهم من دونه ولي ولا نصير مذكرا إياهم من مغبة الانخداع بأهل الكتاب الذين لا يريدون لهم الخير يأتي صريح التحذير والاستنكار: "أم تريدون أن تسألوا رسولكم..." وهو تحذير واستنكار لتشبه بعض المؤمنين بقوم موسى في تعنتهم وطلبهم للبراهين والخوارق وإعناهم لموسى عليه السلام كلما أمرهم بأمر أو أبلغهم بتكليف. وهو تحذير من نهاية هذا الطريق وهو الضلال، واستبدال الكفر بالإيمان، وهي النهاية التي صار إليها بنو إسرائيل ويتمنون قيادة المسلمين إليها. "فالآية مسوقة مساق الإنكار التحذيري"[1].

وجاءت "أم" استفهاما بمعنى التوبيخ والإنكار في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ ﴾[2]

يقول ابن عاشور: "أم منقطعة بمعنى بل وهي إضراب للانتقال من غرض إلى غرض وفيها تقدير استفهام وهو استفهام للتوبيخ والإنكار وذلك لمبلغهم من الجهل بتاريخ شرائعهم زعموا أن إبراهيم وأبناءه كانوا على اليهودية أو على النصرانية كما دل عليه قوله تعالى: "... قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ ... ﴿١٤٠﴾ ". وما نزلت التوراة والإنجيل إلا من بعدهم. وقد اجتمعت في الآية ثلاث أدوات: "أم"، و"الهمزة"، و"من"[3].

ومثله قوله تعالى:

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[4].

فالاستفهام إنكاري. والمخاطبون هم اليهود. والمعنى ما كنتم شهداء عند احتضار يعقوب عليه السلام وإبلاغ وصيته لأبنائه بأن يعبدوا إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إبطالا لدعاوى اليهود ونقضا لمعتقدهم الذي لا دليل عليه ولادعائهم أن يعقوب مات على اليهودية وأوصى بها أولاده.

---

[1]- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 665.

[2]- البقرة: 140.

[3]- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 747.

[4]- البقرة: 133.

كما دل عليه الإنكار "أم كنتم شهداء". والاستفهام هنا غير حقيقي لأن عدم شهودهم احتضار يعقوب محقق.

الاستفهام بـــ "متى":

جاء الاستفهام بـــ "متى" في موضع واحد في قوله تعالى: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾"[1].

تخاطب الآية المؤمنين الذين كانوا يعانون مشقة العداء مع المشركين وأهل الكتاب، وما كان يجره هذا العداء من حروب ومتاعب وويلات وتخبرهم بأن هذه سنة الله في تمحيص المؤمنين وإعدادهم لدخول الجنة ليكونوا أهلا لها. فإذا ما ثبتوا على العقيدة، وصبروا على المحن جاءهم نصر الله واستحقوا الثواب. فلا تحسبوا أيها المؤمنون أنكم ستدخلون الجنة و لم يصبكم مثل ما أصاب من قبلكم من أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار، فتبتلوا بمثل ما ابتلوا من البأساء.

وسؤالهم: "متى نصر الله" يصور مدى المحنة التي تزلزل مثل هذه القلوب الموصولة بالله، ولن تكون إلا محنة فوق الوصف.وعندما تثبت القلوب على مثل هذه المحن يجيء النصر من عند الله.

والاستفهام يفيد استبطاء النصر وتمنيه وطلبه واستطالة زمان الشدة[2].

الاستفهام بـــ: "هل":

يحذر الله من عاقبة الانحراف عن الدخول في السلم واتباع خطوات الشيطان متحدثا بصيغة الغيبة بدل صيغة الخطاب بقوله تعالى:

"هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾"[3].

---

[1]- البقرة: 144.

[2]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 196.

[3]- البقرة: 210.

يقول سيد قطب في شأن الاستفهام الوارد في الآية الكريمة: "وهو سؤال استنكاري عن علة انتظار المترددين المتلكئين الذين لا يدخلون في السلم كافة. ما الذي يقعد بهم عن الاستجابة؟ ماذا ينتظرون؟ وماذا يرتقبون؟ تراهم سيظلون هكذا في موقفهم حتى يأتيهم الله-سبحانه- في ظلل من الغمام وتأتيهم الملائكة؟ [...] وفجأة- وبينما نحن أمام السؤال الاستنكاري الذي يحمل طابع التهديد الرعيب – نجد أن اليوم قد جاء، وأن كل شيء قد انتهى، وأن القوم أمام المفاجأة التي كان يلوح لهم بها ويخوفهم إياها: "وقضي الأمر".. وطوي الزمان، وأفلتت الفرصة، وعزت النجاة ووقفوا أمام الله؛ الذي ترجع إليه وحده الأمور"[1].

وحرف "هل" يفيد الاستفهام ويفيد التحقيق. والاستفهام إنكاري لا محالة بدليل الاستثناء، فالكلام خبر في صورة الاستثناء. وهذا المركب ليس مستعملا فيما وضع له من الإنكار بل مستعملا إما في التهديد والوعيد للتاركين الدخول في السلم، وإما في التهكم إن كان المقصود من الضمير المنافقين اليهود أو المشركين[2].

فالاستفهام خرج إلى الإنكار، والإنكار خرج إلى التهديد والوعيد والتهكم.

وفي قوله تعالى:

" قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ... ﴿٢٤٦﴾"[3].

الاستفهام هنا للتقرير: بمعنى هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون؟[4]

الاستفهام بـــ "أنّى":

جاء الاستفهام في سورة البقرة بـــ "أنّى" في موضعين: الأول:

"قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ "[5]

لقد كان مطلب بني إسرائيل لنبيهم أن يكون لهم ملكا يقاتلون تحت لوائه، فلما بعث الله لهم ملكا يجادلون نبيهم في هذا الاختيار، وينكرون أن يكون طالوت ملكا عليهم لأنهم أحق بالملك

1- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص 212.
2- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير...، ج2، ص 282-283.
3- البقرة: 246.
4- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 223.
5- البقرة: 247.

منه، ولأنه لم يؤت سعة من المال ولذلك جاء استفهامهم، "أنى يكون له الملك". وأنى بمعنى كيف ومن أين. وهو إنكار لتملكهم عليهم واستبعاد. والمعنى كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك منه[1]. كما أن الاستفهام مستعمل في التعجب، تعجبوا من جعل مثله ملكا، وكان رجلا فقيرا[2]، ولهذا رد عليهم نبيهم بأن الله اصطفاه وزاده بسطة في العلم والجسم.

فبالإضافة إلى القوة الإنجازية الحرفية المؤشر لها بأداة الاستفهام "أنّى"، أفاد التركيب الاستفهامي الإنكار والتعجب وهما قوتان إنجازيتان مستلزمتان مقاميا وسياقيا.

"... قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ... ﴿٢٥٩﴾"[3].

إن الذي مر على القرية الخاوية على عروشها هزه مشهد البلى والخواء والعظام النخرة. وكان وقعه في حسه عنيفا مما جعله يحار ويتساءل: كيف يحي هذه الله؟ وكيف تذب الحياة في هذه العظام البالية؟ وقول السائل: "أنى يحي" اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء، واستعظام لقدرة المحي"[4] وتعجب من إحياء العظام وهي رميم ولهذا أماته الله وبعثه بعد مائة سنة. وقد جيء بالآية والمقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحياء خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم، وأنه الذي بيده الحياة والموت.

فالاستفهام هنا أفاد إنكار فعل الإحياء والتعجب من وقوعه.ولشدة إنكار وتعجب السائل لم يقل له الله كيف يحي الموتى، وإنما أراه ذلك في عالم الواقع، والحس، والمشاهدة، والتجربة الذاتية.

الاستفهام بـــ "كم":

بعدما أمات الله الرجل المتسائل عن كيفية إحياء الموتى بعثه وسأله:

"قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ ...﴿٢٥٩﴾"[5].

---

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 224.

[2]- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير...، ج2، ص 490.

[3]- البقرة: 259.

[4]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 235.

[5]- البقرة: 259.

وما يدريه كم لبث والإحساس بالزمن لا يكون إلا مع الحياة والوعي. ومن ثم جاء الجواب عن جهله من المولى عزّ وجلّ:

" ... بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ ... ﴿٢٥٩﴾ "[1]

وتبعا لطبيعة التجربة وكونها تجربة حسية واقعية فلا بد من آثار محسوسة تصور فعل مائة عام. وهذه الآثار لم تكن في طعام الرجل ولا شرابه، بل كانت في عظام حماره التي تعرت وتفسخت.

"ثم كانت الآية هي ضم هذه العظام بعضها إلى بعض وكسوتها باللحم وردها إلى الحياة على مرأى من صاحبه الذي لم يمسه البلى، ولم يصب طعامه ولا شرابه التعفن. ليكون هذا التباين في المصائر، والجميع في مكان واحد، معرضون لمؤثرات حيوية واحدة آية أخرى على القدرة التي لا يعجزها شيء، والتي تتصرف مطلقة من كل قيد، وليدرك الرجل كيف يحي هذه الله بعد موتها"[2].

وجاء الاستفهام هنا على حقيقته. وهو سؤال عن الزمن يراد به اختبار المستفهم منه ليدرك جهله، فقد ظن أنه لبث يوما أو بعض يوم، فالقوة الإنجازية الحرفية هي السؤال.

والاستفهام الثاني بـــ "كم" في سورة البقرة جاء في قوله تعالى:

"سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ "[3].

السؤال موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليسأل بني إسرائيل عن الآيات والمعجزات التي آتاهم الله على يد أنبيائهم، أو الآيات التي يجدونها عندهم في الكتب، فهي شاهدة على صحة دين الإسلام فبنو إسرائيل قد رأوا آيات كثيرة فكان المناسب لهم أن يبادروا بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم، لأنهم أعلم الناس بأحوال الرسل عليهم السلام.

فبالإضافة إلى الوحدة المعجمية "سل" التي تجيء بما يجيء له أدوات الاستفهام، جاء السؤال بـــ "كم". وكم للعدد المبهم. وتكون للإخبار والاستفهام، وإذا كانت للإخبار دلت على عدد كثير مبهم. وذهب الزمخشري إلى أن "كم" في هذا الموضع تحتمل أن تكون خبرية أو استفهامية.

---

[1]- البقرة: 259.

[2]- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 300.

[3]- البقرة: 211.

وذهب إلى أن معنى الاستفهام فيها للتقرير[1]. ويبين بن عاشور الغرض من التقرير قائلا: "والمقصود من التقرير إظهار إقرارهم لمخالفتهم لمقتضى الآيات فيجيء من هذا التقرير التقريع فليس المقصود تصريحهم بالإقرار؛ بل مجرد كونهم لا يسعهم الإنكار"[2]. ويذهب إلى أنها هنا جاءت استفهامية لوقوعها في حيز السؤال، فالمسؤول عنه هو عدد الآيات[3]. بمعنى لقد آتينا بني إسرائيل معجزات كثيرة على يد أنبيائهم.

ففي هذه الآية تم العدول من الاستفهام إلى التقرير ومن التقرير إلى التقريع. وبعبارة أخرى فقد أنجرت الآية القرآنية فعلا لغويا مباشرا قوته الإنجازية الحرفية الاستفهام. وفعلين لغويين غير مباشرين قوتهما الإنجازية مستلزمة مقاميا وسياقيا.

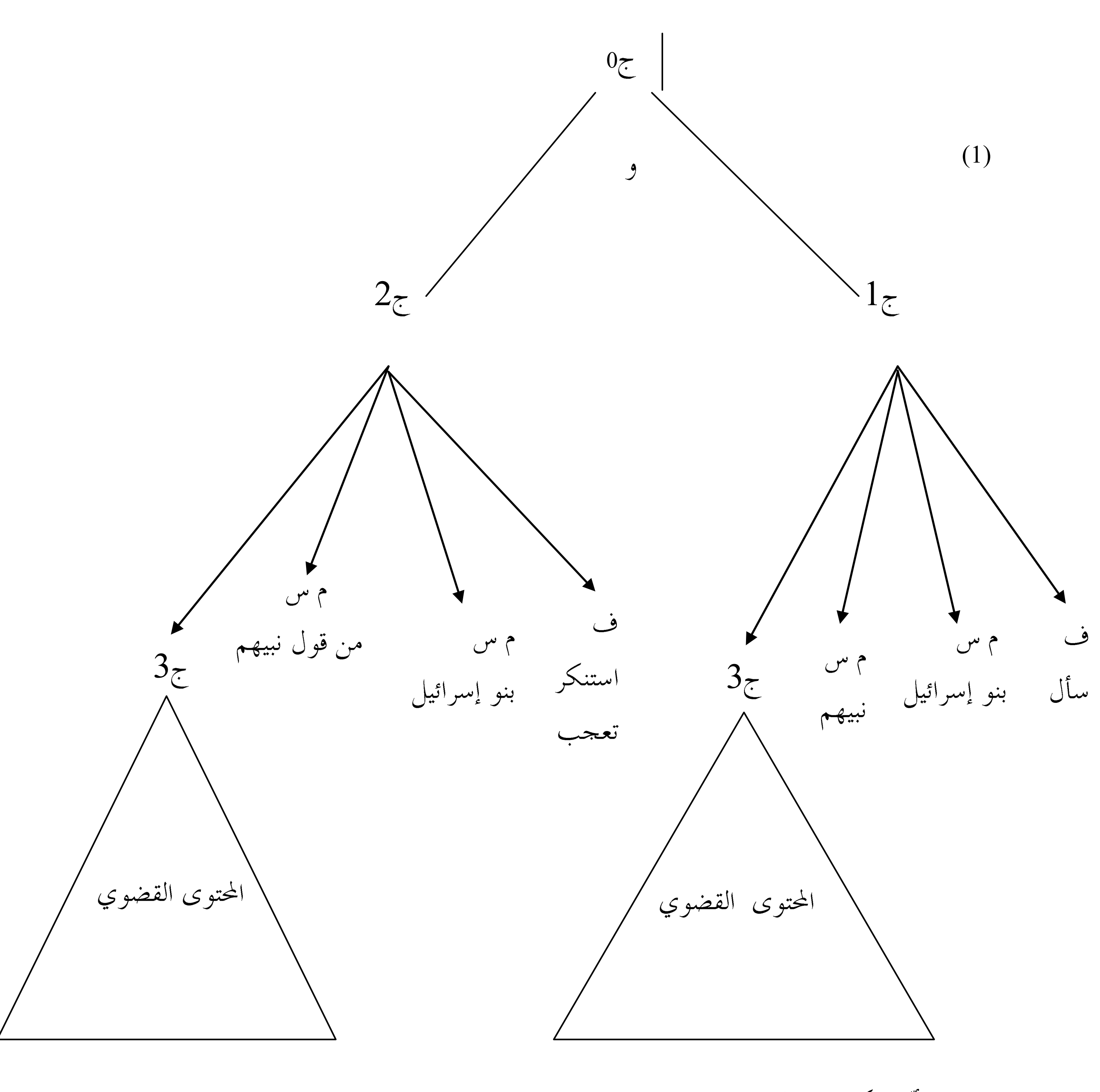
ويمكن التمثيل للبنية المنطقية للآية الكريمة:

﴿ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾ [البقرة:247] باعتبارها حاملة للقوتين الإنجازيتين الاستفهام (السؤال) والإنكار (التعجب)

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 194.

[2]- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص 288.

[3]- المرجع نفسه، ص 289.



أنّى يكون له الملك علينا

(يكون له الملك)

أنّى يكون له الملك علينا

(يكون له الملك)

وبموجب قاعدة تقليص العطف تنقل البنية (1) إلى البنية (2).

(2)

ج0

ج1 ج2

ف
سأل

م س
بنو إسرائيل

م س
نبيهم

ج3
المحتوى القضوي
أنّى يكون له الملك علينا

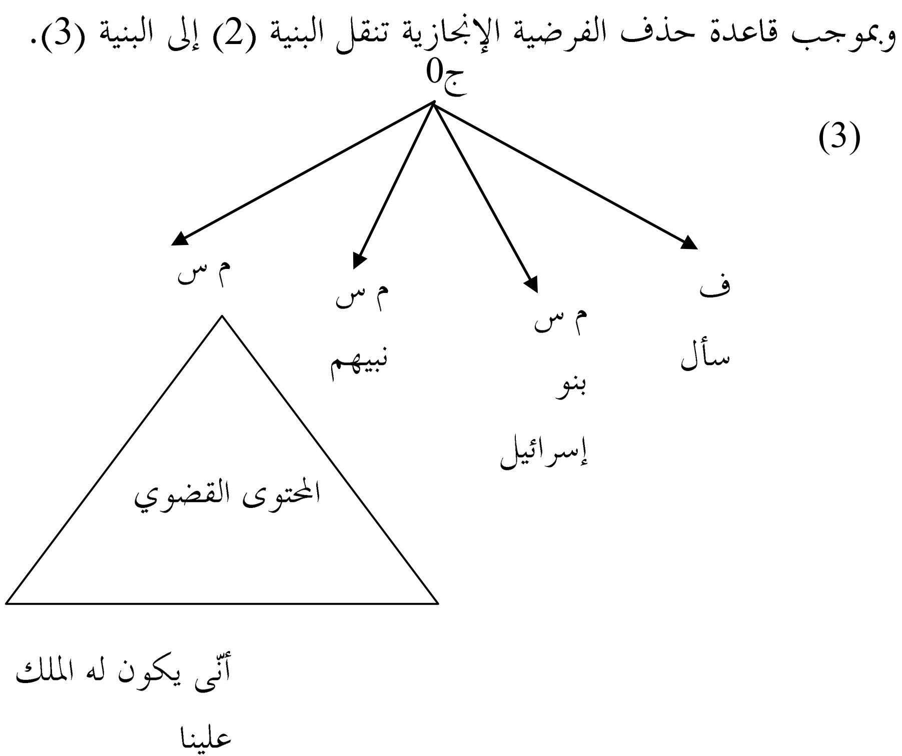
ف
استنكر تعجب

م س
بنو إسرائيل

م س
من قول نبيهم

ج3
المحتوى القضوي
فعل أنت ذلك

وبموجب قاعدة حذف الفرضية الإنجازية تنقل البنية (2) إلى البنية (3).



القوى الإنجازية المباشرة والمستلزمة للاستفهام

القوة الإنجازية الحرفية	القوى الإنجازية المستلزمة مقاميا
السؤال	- التقرير- الإنكار- التعجب - الاستبطاء والتمني- التحقير- الاستخفاف- التقريع- التهديد والوعيد – التهكم - التوبيخ - التعظيم- الترغيب والحث على الفعل.

الأمـــر:

وهو طلب الفعل على جهة الاستعلاء أو الإلزام. وبعبارة أخرى هو طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى حقيقة أو ادعاء. وينصرف زمنه للاستقبال ويقوم على عمليتين أساسيتين:

- عملية التلفظ والنطق بالأمر.
- وعملية استجابة المأمور والقيام بالفعل المأمور به.

وعادة ما يؤدي الأمر بصيغة "افعل"، ولام الأمر الداخلة على الفعل المضارع "لتفعل"، واسم الفعل، وبالمصدر الذي يؤتى به بدل التلفظ بفعله.[1] وكما يؤدى الأمر باستعمال اشتقاقات مادة "أمر" المعجمية، أو أفعال أخرى معجمية مثل: "يجب". وعلو درجة الآمر شرط في بقاء التركيب على دلالته، لأن الأمر قد يخرج إلى دلالات أخرى تفهم من السياق وقرائن المقام. وعليه يتولد مقاميا بامتناع إجراء الأمر على أصله التعجيز والتهديد، والتحدي والإلتماس... والاختلاف بين هذه الأفعال هو في درجة قوتها الإنجازية: فالأمر مثلا أقوى في الأداء الإنجازي من الإلتماس. ولهذا يعد أقوى المجالات الفرعية لمجال التوجيهات."إذا فالقضية ليست قضية لغوية صرفة، بل لغوية تداولية، فليس الوضع اللغوي هو المعيار الأوحد، بل يلزم إدراك مكانة المتكلم أو الآمر؛ لأنها هي التي تحول دلالة الصياغة من صورتها المباشرة الدالة على الأمر إلى صورة أخرى مغايرة[2].

وينبني الموقف اللغوي لتركيب الأمر على الوضع التالي:

- الآمر: وهو المتكلم وعلو درجته شرط في بقاء التركيب على دلالته.
- المأمور: وهو المتلقي الذي يتوجه إليه الأمر، وانخفاض درجته شرط لبقاء الأمر على أصله.
- المأمور به: وهو الفعل الذي يطلب حصوله. وقد يكون معللا لإقناع المأمور" وورد الأمر في سورة البقرة في "120" جملة.[3]

---

[1]- دفة بلقاسم، بنية الجملة الطلبية ودلالتها في السور المدنية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، د ط، 1429هـ -2008م، ج 1، ص 21.

[2]- علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية...، ص 111.

[3]- محمد خان، لغة القرآن الكريم، ص 191.

جملة الأمر بصيغة "افعل":

تمثل جملة الأمر بصيغة "افعل" الصدارة في سورة البقرة. وقد جاءت معظم الأوامر من الأعلى إلى الأدنى –من الله سبحانه وتعالى لملائكته، ورسله، وللمؤمنين، ولبني إسرائيل، وللناس جميعا.

وجاءت في أغلبها على سبيل الوجوب لارتباطها بالأحكام الشرعية والتكاليف التي أمر الله بها عباده على سبيل الإلزام. ومن أمثلتها أوامره عز وجل للمؤمنين في قوله:

"وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ ﴿١١٠﴾ "[1].

"...ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ...﴿١٨٧﴾ "[2].

"وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ...﴿١٩٦﴾ "[3]

كما جاء الأمر للوجوب في قوله تعالى لملائكته:

"وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ ...﴿٣٤﴾"[4].

فقد أفاد الأمر هنا الفورية في التنفيذ. فقد أنجز فعل السجود دون تراخ دلت عليه القرينة اللفظية. "الفاء" التي تفيد الفورية. وكذلك في قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام:

"إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ "[5].

وكذلك أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام بالتوجه نحو القبلة فقد أنجز فعل التوجه نحو القبلة فورا:

" ... فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ ...﴿١٤٤﴾ "[6].

---

[1]- البقرة: 110.

[2]- البقرة: 187.

[3]- البقرة: 196.

[4]- البقرة: 34.

[5]- البقرة: 131.

[6]- البقرة: 144.

وقد يجيء الأمر بصيغة "افعل" للندب لمّا يتعلق الأمر بمصلحة أخروية كما في الطاعات المقربة لله عز وجل والمعلية من شأن الممتثل لها في مثل قوله تعالى:

" ....وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٨٩﴾"[1].

"...وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾"[2].

وقد يجيء الأمر للإرشاد لما يتعلق بمصلحة دنيوية. كما في قوله عز وجل: " ... وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٨٩﴾"[3].

فدرجة القوة الإنجازية في الوجوب أقوى من الندب والإرشاد لأن قصد الآمر عز وجل هو الامتثال للأمر وإنجاز العمل. كما أن بعض الأوامر جاءت معللة لجعلها ذات قوة إنجازية أكبر ليمتثل لها المتلقي عن قناعة وثبات.

وقد يخرج الأمر بصيغة "افعل" إلى دلالات أخرى يدل عليها السياق وقرائن الحال مثل التحدي والتعجيز في قوله تعالى:

"وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾"[4].

في هذه الآية يأتي التحدي لأولئك المشككين من اليهود والمنافقين والمشركين في صحة رسالة النبي-صلى الله عليه وسلم. يتحداهم بتجربة واقعية. وهذا التحدي ظل قائما في حياته صلى الله عليه وسلم وما يزال قائما. لكن الجزم بعدم القدرة على التحدي يأتي في قوله عز وجل: "فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾" [5].

[1]- البقرة: 189.
[2]- البقرة: 195.
[3]- البقرة: 189.
[4]- البقرة: 23.
[5]- البقرة: 24.

"والتحدي هنا عجيب، والجزم بعدم إمكانيته أعجب [...] وما من شك أن تقرير القرآن الكريم أنهم لن يفعلوا، وتحقق هذا كما قرره هو بذاته معجزة لا سبيل إلى المماراة فيها"[1] ثم يأتي التهديد والوعيد لمن يعجزون عن التحدي ولا يؤمنون بالحق الواضح "فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة". وفي مقابل هذا الوعيد والإنذار يأتي الوعد والبشرى للمؤمنين:

"وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾"[2].

فصيغة "افعل" أنجزت أفعالا مختلفة بحسب المقام الذي وردت فيه:

-"فأتوا بسورة" ــــــ التحدي والتعجيز.

-"فاتقوا النّار" ــــــ الوعيد والتهديد/ الإنذار.

-"بشر الذين آمنوا ــــــ الوعد.

فعل الأمر غير ظاهر:

يقول محمد خان في شأن هذا النمط من التركيب: "هذا النمط ينبني على حذف فعل الأمر من ظاهر التركيب: ويعتمد اسم الزمان "إذ" في تقدير المحذوف، كما يعتمد العطف وحذف ما ذكر في صدر الخطاب لتفادي التكرار، فهو نمط جيء به لسرد القصص بغية التذكير والاعتبار، وربما كان هذا من خصائص القرآن المدني"[3]. ويقول ابن هشام: "والغالب على [إذ] المذكورة في أوائل القصص في التزيل أن تكون مفعولا به بتقدير "اذكر" نحو "وإذ قال ربك للملائكة"[4] فالفعل والفاعل لا يظهران في البنية السطحية لكنهما يقدران في البنية العميقة. "وتلزم إذ الإضافة إلى جملة اسمية [...] أو فعلية فعلها ماض لفظا ومعنى [...] أو فعلية فعلها ماض معنى لا لفظا"[5]

وجاء هذا النمط في سورة البقرة في اثنين وعشرين تركيبا منها قوله تعالى:

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 1، ص 48.

[2]- البقرة: 25.

[3]- محمد خان، لغة القرآن الكريم، ص 202.

[4]- ابن هشام، مغني اللبيب، ج 1، ص 94.

[5]- المرجع نفسه، ص 99.

"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ "[1]

"وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ "[2]

وقصة خلق آدم سيقت للتذكير بمنزلة الإنسان العظيمة والتكريم الذي شاءه له الله، فقد وهبه سر المعرفة مما جعله أهلا لخلافة الأرض هذا من جهة. ومن جهة ثانية سيقت لتحذير بني آدم من عدوهم اللدود-إبليس، وتذكيرهم بالمعركة الخالدة بينهم وبينه.

كما وردت عدة آيات لتذكير بني إسرائيل بالنعم التي أنعمها الله عليهم، ولتحذير المسلمين من مغبة الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل من خطايا ومعاصي، وتنبيههم إلى أنهم عدو دائم.

يقول تعالى:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾[3].

فهذه الآيات وأمثالها تذكير بنعمته تعالى على بني إسرائيل: نجاتهم من فرعون، وتظليلهم بالغمام، وإنزال المن والسلوى، وتفجير الصخر لهم بالماء، وما كان منهم من انحرافات وعصيان. فما يكاد سبحانه يعفو عنهم من معصية حتى يقعوا في أخرى. ونفوسهم هي هي في التوائها، وعنادها، وإصرارها على الكفر والجحود والنكوص على حمل التكاليف والأمانة: قتلهم الأنبياء، وعبادتهم العجل، وطلب رؤية الله جهرة، ومجاذلتهم في ذبح البقرة... وقد خاطبت الآيات اليهود في المدينة كما لو كانوا هم أنفسهم الذين كانوا على عهد موسى. وعلى عهود خلفائه من الأنبياء باعتبارهم جبلة واحدة. ومن ثم كثر الالتفات من خطاب قوم موسى إلى خطاب اليهود في المدينة، إلى خطاب أجيال بين هذين الجيلين.

---

[1]- البقرة: 30.

[2]- البقرة: 35.

[3]- البقرة: 49 -50 -51.

فالأفعال الإنجازية غير ظاهرة في هذا النمط من التركيب، وإنما تدل عليها القرائن. وغرضها الإنجازي هو التذكير والاعتبار.

لام الأمر الداخلة على الفعل المضارع:

يتم الأمر في هذا التركيب باللام وهي التي تسمى "بلام الأمر" وذلك في صيغة "ليفعل". وتدخل اللام للمأمور الغائب "ليفعل" أو "ليفعلوا"، ولكل من كان غير مخاطب. وتدل على طلب الفعل على سبيل الاستعلاء. وقد يخرج الأمر بلام الأمر إلى دلالات أخرى تفهم من خلال السياق كالدعاء، والإلتماس، والندب، والإباحة، والتهديد. ولهذا سماها ابن هشام "لام الطلب". يقول: "وأما اللام العاملة للجزم فهي اللام الموضوعة للطلب، [...]، نحو" فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي" [...] ولا فرق في اقتضاء اللام الطلبية للجزم بين كون الطلب أمرا، نحو "لينفق ذو سعة من سعته" أو دعاء نحو "ليقضي علينا ربك" أو التماسا كقولك لمن يساويك "ليفعل فلان كذا" إذا لم ترد الاستعلاء عليه، وكذا لو أخرجت عن الطلب إلى غيره، كالتي يراد بها وبمصحوبها الخبر نحو "من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدّا" "اتبعوا سبيلنا ولنحمل عليكم خطاياكم" أي فيمد ولنحمل، أو التهديد نحو"ومن شاء فليكفر"[1].

ومن أمثلته في سورة البقرة ما ورد في آيتي الدين (282 -283) "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ ...﴿٢٨٢﴾"[2]

هذه الأحكام الخاصة بالدين والتجارة والرهن تكملة للأحكام التي ذكرت سابقا في الصدقة والربا. فكتابة الدين أمر مفروض بالنص غير متروك لحالة الاختيار. "وليكتب كاتب" أمر باستدعاء طرف ثالث يقوم بكتابة الدين ومقدار الدين للاحتياط والحيدة المطلقة. وهذا الكاتب مأمور أن يكتب بالعدل، وليشهد على العقد شاهدان. وقد ذهب الطبري إلى أن كتابة الدين لمن وجد كاتبا وكتابا فرض، وإنما رخص الله للذين لا يجدون كتابا وكاتبا لكتابة الدين "إن الله عز

1- ابن هشام، مغني اللبيب، ج 1، ص 249.

2- البقرة: 282.

وجل أمر المتداينين إلى أجل مسمى باكتتاب كتب الدين بينهم وأمر الكاتب أن يكتب ذلك بينهم بالعدل. وأمر الله فرض لازم، إلا أن تقوم الحجة بأنه إرشاد وندب"[1]. فالأمر إذا في هذه الصيغ: "وليكتب"، " فليكتب"، و"وليملل"، "وليتق" للوجوب. وقد جاءت هذه الأوامر على جهة الاستعلاء من الله عز وجل إلى عباده المؤمنين.

المصدر النائب عن فعل الأمر:

جاء الأمر بالمصدر النائب عن فعل الأمر في سورة البقرة في موضع واحد في قوله تعالى:

"...وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ... ﴿٨٣﴾ "[2]

والمصدر "إحسانا" ناب عن فعل الأمر الذي لا يظهر في البنية السطحية للجملة —وبنيتها العميقة تكون "وأحسنوا بالوالدين إحسانا". والطلب هنا أمر جاء على جهة الاستعلاء، أمر من الله عز وجل إلى بني إسرائيل للإحسان إلى الوالدين ومعاشرتهما بالمعروف، وامتثال أمرهما، وكذلك بالإحسان إلى ذي القربى، واليتامى والمساكين. والأمر هنا على سبيل الوجوب.

وقد ذهب الزمخشري إلى أن جملة "وبالوالدين إحسانا" معطوفة على "لا تعبدون" وجملة "لا تعبدون" "إخبار في معنى النهي [...] وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء"[3]...

وأما الطاهر ابن عاشور فيقول: "وقوله "لا تعبدون" خبر في معنى الأمر ومجيء الخبر للأمر أبلغ من صيغة الأمر لأن الخبر مستعمل في غير معناه لعلاقة مشابهة الأمر الموثوق بامتثاله بالشيء الحاصل حتى أنه يخبر عنه"[4] ويضيف و"المصدر بدل من فعله والتقدير وأحسنوا "بالوالدين إحسانا"[5]. فما أباح هنا عطف جملة أمرية على جملة خبرية هو القوة الإنجازية المستلزمة من الخبر وهي الطلب سواء كان نهيا أو أمرا- وقد سبقت الإشارة إلى هذا في الفصل الثاني.

الأمر في سورة البقرة في أغلبه يدل على الوجوب لأنه يرتبط بالأحكام الشرعية والفرائض التي يؤمر بها على سبيل الإلزام والوجوب. وقد خرج إلى دلالات أخرى تفهم من السياق منها:

---

[1]- الطبري، جامع البيان...، ج 3، ص 149.

[2]- البقرة: 83.

[3]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 123.

[4]- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير...، ج1، ص 582.

[5]- المرجع نفسه، ص 583.

1- الندب في قوله تعالى: "وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴿١٩٥﴾"[1].

2- الإرشاد: " ...وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ ...﴿٢٨٢﴾"[2]

3- الإباحة: "فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ ﴿١٨٧﴾"[3]

4- التسخير أو التذليل: "وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾"[4]

5- التحدي والتعجيز: " فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾"[5].

6- الامتنان: " ... كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ ... ﴿٥٧﴾"[6].

7- التعجيز: "...فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾"[7]

8- الوعيد والتهديد: "فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾"[8].

9- الوعد: "وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ...﴿٢٥﴾"[9]

---

[1]- البقرة: 195.
[2]- البقرة: 282.
[3]- البقرة: 187.
[4]- البقرة: 65.
[5]- البقرة: 23.
[6]- البقرة: 57.
[7]- البقرة: 258.
[8]- البقرة: 24.
[9]- البقرة: 25.

10- الوجوب: "وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾"[1].

11- الدعاء: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ [2]

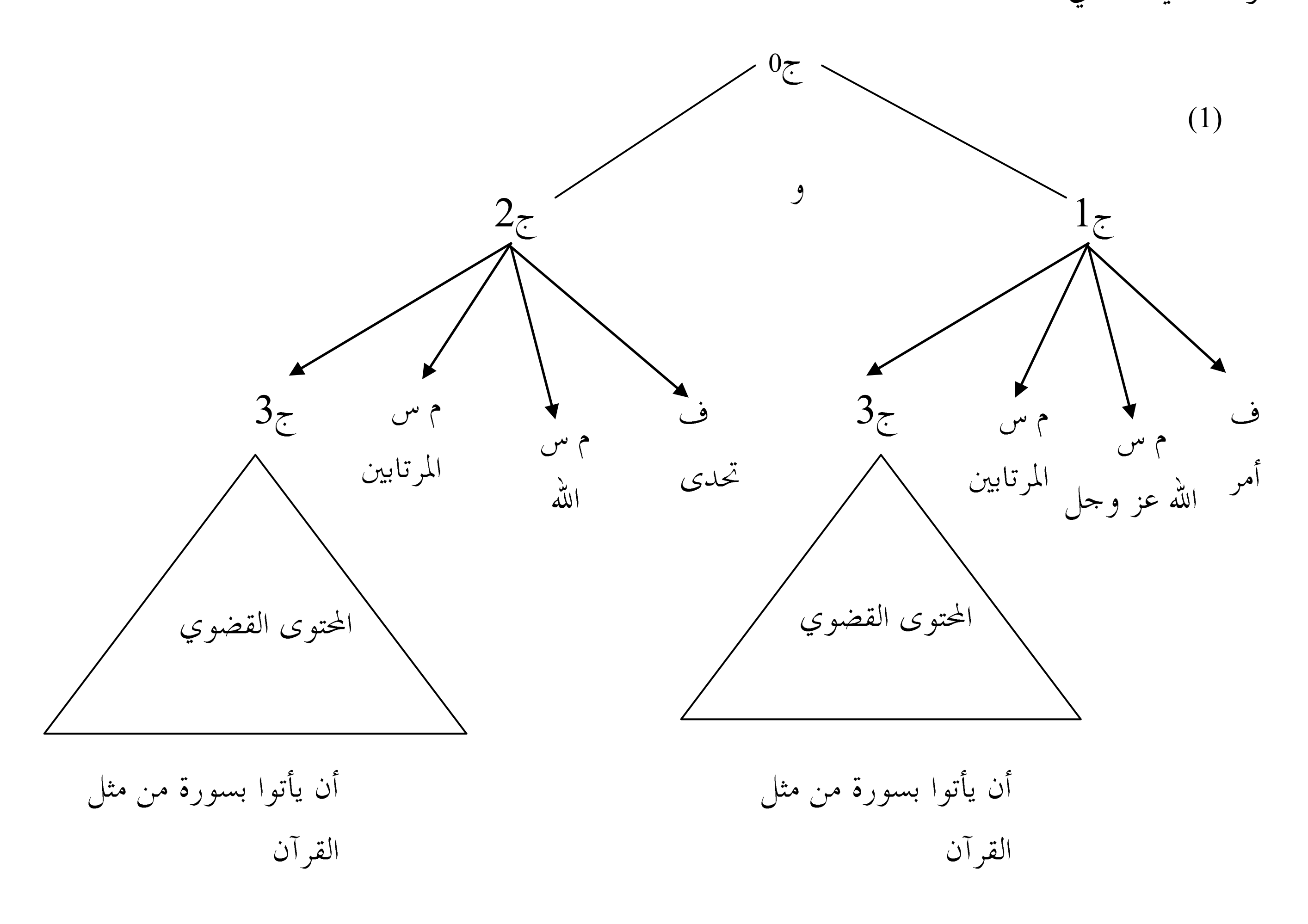
القوى الإنجازية المباشرة والمستلزمة للأمر.

القوة الإنجازية الحرفية	القوى الإنجازية المستلزمة مقاميا
الأمر	-الوجوب –الندب –الإرشاد –الإباحة –التسخير –التذليل –التحدي –التعجيز –الوعيد –التهديد –الوعد –الدعاء

1- البقرة: 110.

2- البقرة: 128.

ويمكن التمثيل للبنية المنطقية (العميقة) للآية الكريمة: "...فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾"[1] باعتبارها حاملة للقوتين الإنجازيتين الأمر والتحدي كالتالي:



[1]- البقرة: 23.

وبموجب قاعدة تقليص العطف تنقل البنية (1) إلى البنية (2)

ج0

(2)

و

ج1

ف
أمر

م س
الله عز

م س
المرتابين

ج 3

المحتوى القضوي

أن يأتوا بسورة من مثل القرآن

ج2

ف
تحدى

م س
الله

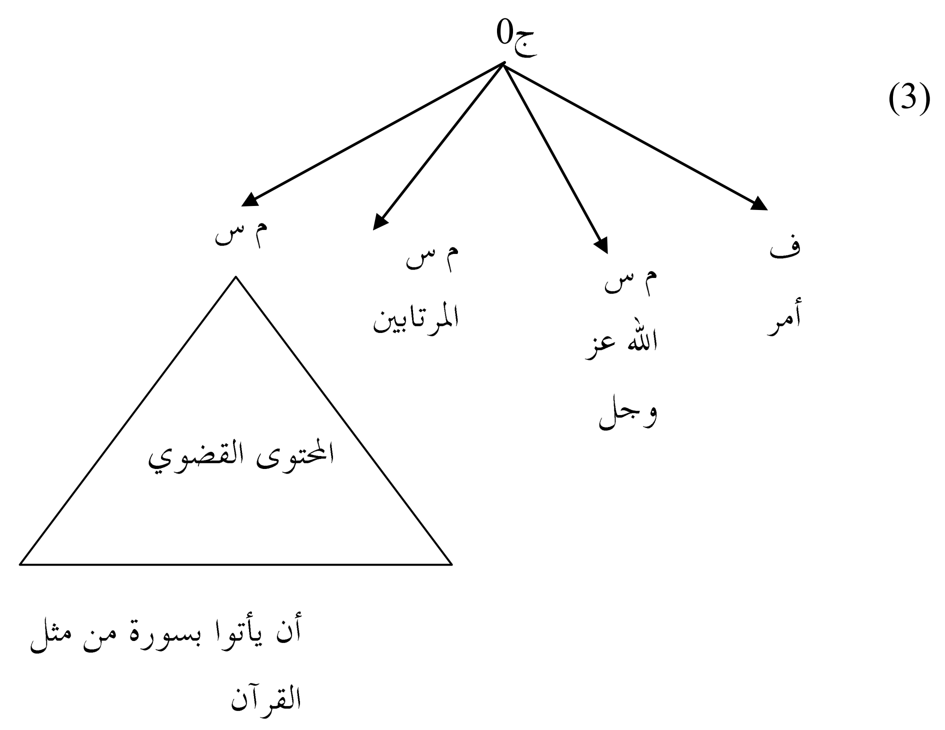
م س
المرتابين

ج 3

المحتوى القضوي

أن يفعلوا ذلك

وبموجب قاعدة حذف الفرضية الإنجازية تنقل البنية (2) إلى البنية (3)



النـــهي:

هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء أو طلب الترك. وله صيغة واحدة هي الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية التي تفيد وجوب الامتناع عن الفعل وتركه استعلاء. فالطلب من النهي بمترلته من الأمر[1]. وقد يستعمل لتوجيه المتلقي أو الغائب. وللنهي درجات تقدر بناء على السياق التداولي وذلك بمعرفة خصائص المرسل إليه من الضعف والقوة وكذلك أهمية الأمر المنهي عنه. كما يمكن استعمال ألفاظ معجمية للدلالة على النهي كمادة "حرم"، و"حظر"، و"منع" و"نهى" ومشتقاتها، أو الألفاظ الدالة معجميًا على الترك وإن كانت بصيغة الأمر مثل: "دع" و"ذر"، و"كفّ"، وكذلك الألفاظ الداله على عدم الحل بأسلوب النفي: "لا يحل" ولا يجوز"[2].

وقد يخرج النهي إلى دلالات أخرى تفهم من السياق وقرائن المقام –كما مرّ بنا في الفصل السابق.

وجاء من تركيب النهي في سورة البقرة أربعون جملة ذات نمط واحد، أي تركيب يعتمد الأداة "لا" في تأدية وظيفة النهي[3].

جاء النهي في قوله تعالى:

"وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾"[4].

في هذا النهي "ولا تكونوا أول كافر به" تعريض ببني إسرائيل لأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم لمعرفتهم به وبصفته. فقد كانوا المبشرين بزمان قدومه[5]

فالنهي في الآية الكريمة ليس نهيا عن الكفر وحسب بل عن أن يكونوا أول الكافرين به. والنهي عن أن يكونوا أول الكافرين يستلزم أن يكونوا أول المؤمنين. "والمقصود من النهي توبيخهم على تأخرهم في إتباع دعوة الإسلام فيكون هذا المركب قد كنّى به عن معنيين من

---

[1]- أبو سريع ياسين عبد العزيز ، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، مطبعة السعادة، ط1، 1410هـ-1989م، ص 313.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب...، ص 351.

[3]- محمد خان، لغة القرآن الكريم، ص 208.

[4]- البقرة: 41.

[5]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 104.

ملزوماته، هما معنى المبادرة إلى الإسلام ومعنى التوبيخ المكنى عنه بالنهي، فيكون معنى النهي مرادا ولازمه وهو الأمر بالمبادرة بالإيمان مرادا وهو المقصود فيكون الكلام كناية اجتمع فيها الملزوم واللازم معًا، فباعتبار اللازم يكون النهي في معنى الأمر فيتأكد به الأمر الذي قبله كأنه قيل "وآمنوا بما أنزلت" وكونوا أول المؤمنين، وباعتبار الملزوم يكون نهيا عن الكفر بعد الأمر بالإيمان فيحصل بذلك الغرضان"[1]

ويورد ابن عاشور عدة معان للنهي في الآية الكريمة، والمقصود الأهم هو المعنى التعريضي ببني إسرائيل لأن لا يكونوا المبادرين بالكفر، أي لا يكونوا متأخرين عن الإيمان.

والمعنى الثاني هو التعريض بالمشركين وأنهم أشد من اليهود كفرًا فلا تكونوا في عدادهم. والمعنى الثالث لا تعجلوا بالتصريح بالكفر قبل التأمل. والمعنى الرابع لا تكونوا مقرين للكافرين بكفرهم، فإنهم إن شاهدوا كفركم كفروا واقتدوا بكم.

فالقوة الإنجازية الحرفية للفعل الكلامي "ولا تكونوا أول كافر به" هي النهي، أما القوة الإنجازية المستلزمة مقاميًا فهي التعريض ببني إسرائيل وبالمشركين والتحذير من الضلال والكفر. وفي قوله تعالى "وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا" نهي موجه لعلماء بني إسرائيل وهم القدوة لقومهم. فالذي صدّهم عن قبول دعوة الإسلام هو خشيتهم أن تزول رئاستهم وتذهب مكانتهم. وقد "عظم الآيات بشيئين الجمع والإضافة إلى ضمير الجلالة وحقر العوض بتحقيرين التنكير والوصف بالقلة [...] وفي ذلك تعريض بغبن صفقتهم إذ استبدلوا نفيسا بخسيس"[2].

والخطاب وإن كان لبني إسرائيل، فالمسلمون محذرون من مثل ما وقع فيه هؤلاء لأن خطابات القرآن وقصصه المتعلقة بالأمم الأخرى إنما يقصد منها الاعتبار والاتعاظ[3].

وجاء النهي في الآية الكريمة:

"وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾"[4]

---

[1]- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 460.

[2]- المرجع نفسه، ج1، ص 465.

[3]- المرجع نفسه، ص 466.

[4]- البقرة: 42.

وفي قوله "ولا تكتموا" جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا أي فلا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق[1]. وقد عطف "ولا تكتموا" على "لا تلبسوا" لأن كلا الأمرين منهي عنه والتغليظ في النهي عن الجمع بينهما واضح بالأوْلى"[2]. ولبس الحق بالباطل ترويج الباطل في صورة الحق حتى يوهم أنه يراد الحق. وقوله تعالى: "وأنتم تعلمون" أبلغ في النهي لأن صدور ذلك من العالم أشد، أي وأنتم تعلمون لبسكم الحق بالباطل.

فالقوة الإنجازية الحرفية هي النهي، أما القوة الإنجازية المستلزمة فهي التحذير من إضلال الناس لأنهم يظهرون الباطل في صورة الحق فينخدع بهم الآخرون.

وجاء النهي خطابا لآدم وزوجه في قوله تعالى:

"وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ "[3].

فبعد أن اسكنهما الله عزّ وجل جنته الواسعة أباح لهما أن يأكلا منها رغدا حيث شاءا ومتى شاءا ولم يحظر عليهما إلا شجرة واحدة بين أشجار الجنة حتى لا يبق لهما العذر إن عصيا أمر ربهما. والنهي عن القرب من الشجرة نهي عن الأكل منها. "فالنهي عن القربان أبلغ من النهي عن الأكل. لأن القرب من الشيء ينشئ داعية وميلاً إليه"[4]. وجاء النهي معللا لإقناع المخاطبين حتى يكفا عن الفعل في قوله تعالى: "فتكونا من الظالمين" أي من المعتدين الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله والحرمان من دوام التنعم في الجنة.

فالقوة الإنجازية الحرفية للفعل الكلامي هي النهي الجازم بدليل العقاب الذي تلقياه من المولى عزّ وجلّ بعد ارتكابهما ما نهيا عنه وهو الخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض.

وقوله تعالى:

"إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ "[5].

---

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 105.

[2]- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 470.

[3]- البقرة: 35.

[4]- المرجع نفسه، ص .

[5]- البقرة: 119

في هذه الآية قراءتان. قرأ الجمهور "ولا تُسألُ" على أن "لا" نافيه بمعنى لا يسألك الله عن أصحاب الجحيم، وهو تقرير لمضمون "إنّا أرسلناك بالحق" والسؤال كناية عن المؤاخذة واللوم بمعنى لست مؤاخذا ببقاء الكافرين على كفرهم بعد أن بلغت لهم الدعوة[1]. فأنت مرسل بالحق لتبشر وتنذر، فبلغت ما ارسلت به، وإنما عليك البلاغ والإنذار ولست مسؤولا عمن كفر بما أتيته به من حق وكان من أهل الجحيم. وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كان يضيق صدره لإصرارهم وتصميمهم على الكفر.

وقرأ نافع "ولا تَسْألْ" على أنّ "لا" حرف نهي جازم للمضارع. والسؤال هنا مستعمل في الاهتمام والتطلع إلى معرفة الحال. و"هو كناية عن فظاعة أحوال المشركين والكافرين حتى إن المتفكر في مصير حالهم يُنهى عن الاشتغال بذلك لأنها أحوال لا يحيط بها الوصف ولا يبلغ إلى كنهها العقل في فظاعتها وشناعتها، وذلك لأن النهي عن السؤال يرد بمعنى تعظيم المسؤول عنه"[2].

ويعضد قراءة الجمهور قراءة أبي "وما تُسأَلُ" وقراءة عبد الله بن مسعود "ولنْ تُسأَلَ" وكلتا القراءتين تشهد بالرفع والخبر فيه دون النهي –كما يقول الطبري. ويذهب إلى أنّ الخبر أولى من النهي، والرفع أولى من الجزم[3].

وكلتا القراءتين صحيحتان متواترتان. فالآية القرآنية تحتمل المعنيين. فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس مؤاخذا بعدم إيمان الكفار، كما أن أحوال الكفار من الفظاعة والشناعة والعذاب العظيم فلا تسأل عنهم حتى لا تسمع ما لا تقدر على سماعه.

وقد أدت الآية القرآنية فعلين كلاميين مباشرين، ففي قراءة "لا تُسألُ" الخبر المنفي، وفي قراءة "ولا تَسأَلْ" النهي، والقوة الإنجازية المستلزمة من القوة الحرفية النهي هي التهويل والتعظيم

وجاء النهي مقيدًا في عدة آيات خطابا للمسلمين في قوله تعالى:

"...وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ ... ﴿١٨٧﴾"[4].

---

[1]- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 692.

[2]- المرجع نفسه، ص 692.

[3]- الطبري، جامع البيان...، ج1، ص 658-659.

[4]- البقرة 187.

فالنهي عن المباشرة مقيد بزمن الاعتكاف. فإذا لم يكن اعتكاف فلا نهي. والنهي هنا موجه إلى عموم المسلمين المعتكفين في المساجد.

وكذلك في قوله تعالى:

"... وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ ... ﴿١٩١﴾"[1]

والنهي هنا موجه للمسلمين وهو مقيد بالمسجد الحرام فإن تغير مكان القتال فلا نهي. وإن بادر الكفار بالقتال فلا نهي كذلك وإن كان في المسجد الحرام وفي مثل قوله تعالى:

" ... وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ.. ﴿١٩٦﴾"[2].

فالنهي مؤقت ومقيد ببلوغ الهدي محله، فإذا بلغ محله أبيح الحلق.

فالآيات القرآنية أنجزت أفعالا إنجازية مباشرة قوتها الحرفية هي النهي. وجاءت النواهي من الأعلى إلى الأدنى. من الله عزّ وجلّ المشرّع الناهي إلى عباده.

وإذا كان النهي طلب الكف عن الفعل على سبيل التحريم في أصل معناه، فقد يخرج إلى دلالات أخرى. وعليه تكون القوة الإنجازية الحرفيه هي النهي أما القوى الإنجازية المستلزمة فتتنوع بحسب السياقات التي ترد فيها صيغة النهي ومنها:

1- التهويل والتعظيم على قراءة نافع "ولا تسأل"، في قوله تعالى:

"إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾"[3]

2- الاستمرار على الحال التي عليها المخاطب في قوله تعالى:

"ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾"[4]

فالمخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم غير متصف بالمنهي عنه، فهو ليس من الممترين الشاكين. فالنهي استمرار على الحال التي هو عليها من انتفاء المرية والشك عنه.

3- بيان العاقبة، عاقبة الشهادة في سبيل الله الحياة لا الموت في قوله تعالى:

---

[1]- البقرة: 191.

[2]- البقرة: 196

[3]- البقرة: 119.

[4]- البقرة: 147.

"وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾"[1]

4- الكراهة، كراهة نسيان التفضل والإحسان والمودة عند الطلاق في قوله تعالى:

"...وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾"[2].

5- الإرشاد، إرشاد المتداينين أن يكتبوا الدين سواء كان صغيرا أم كبيرا في قوله تعالى:

"...ۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ... ﴿٢٨٢﴾"[3]

6- الدعاء، دعاء المؤمنين ربهم بأن لا يؤاخذهم عند النسيان والخطأ وأن يرحم ضعفهم في قوله تعالى:

"...ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ... ﴿٢٨٦﴾"[4]

ويمكن التمثيل للبنية المنطقية (العميقة) للآية القرآنية

"...وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ"

---

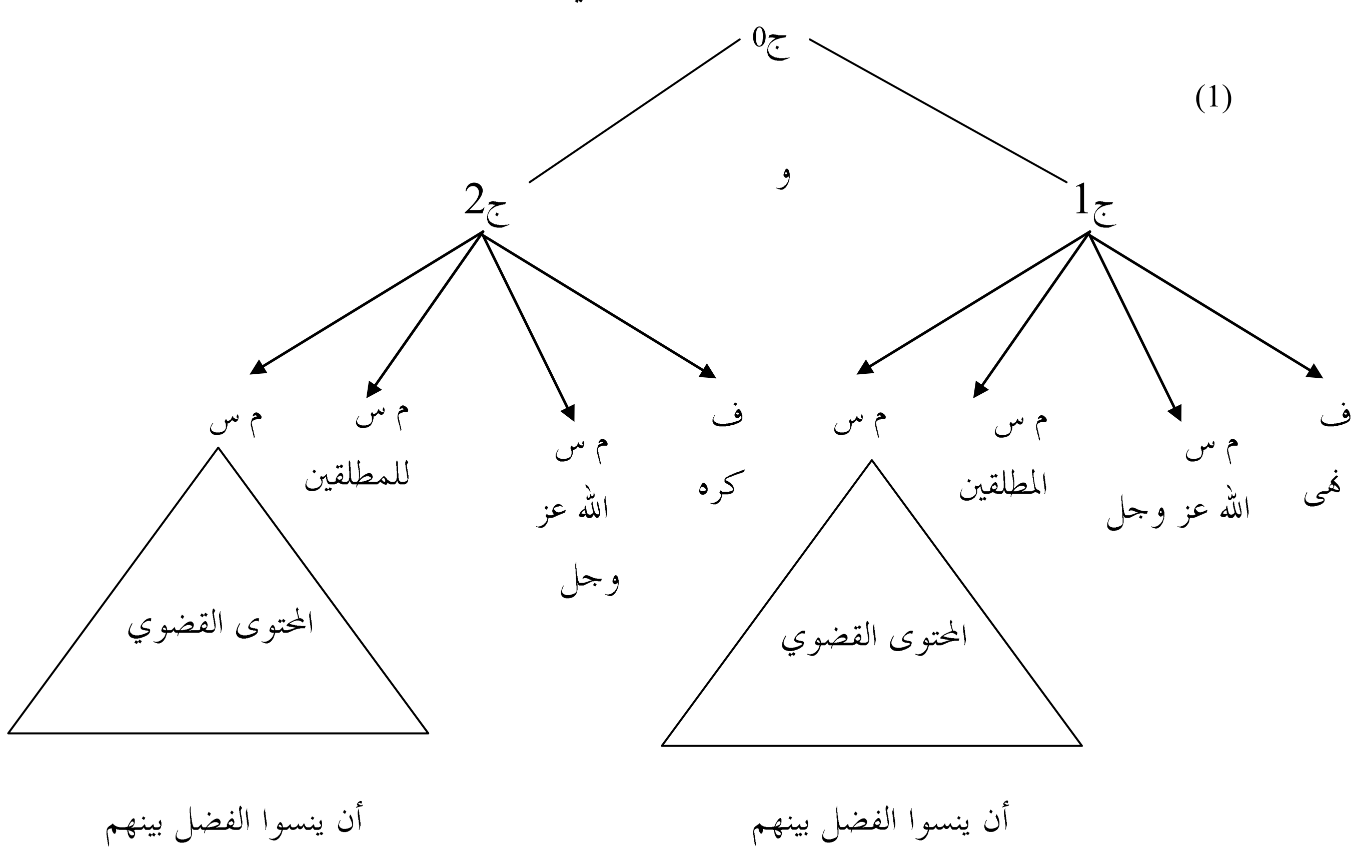
[1]- البقرة: 154.

[2]- البقرة: 237.

[3]- البقرة: 282.

[4]- البقرة: 286.

باعتبارها حاملة للقوتين الإنجازيتين النهي، والكراهة كالتالي:



وعن طريق قاعدة "تقليص العطف" تنتقل البنية (1) إلى البنية (2).

(2)

ج0

و

ج1

ج2

ف
نهى

م س
الله عز وجل

م س
المطلقين

م س
ج3

المحتوى القضوي

أن ينسوا الفضل بينهم

ف
كره

م س
الله

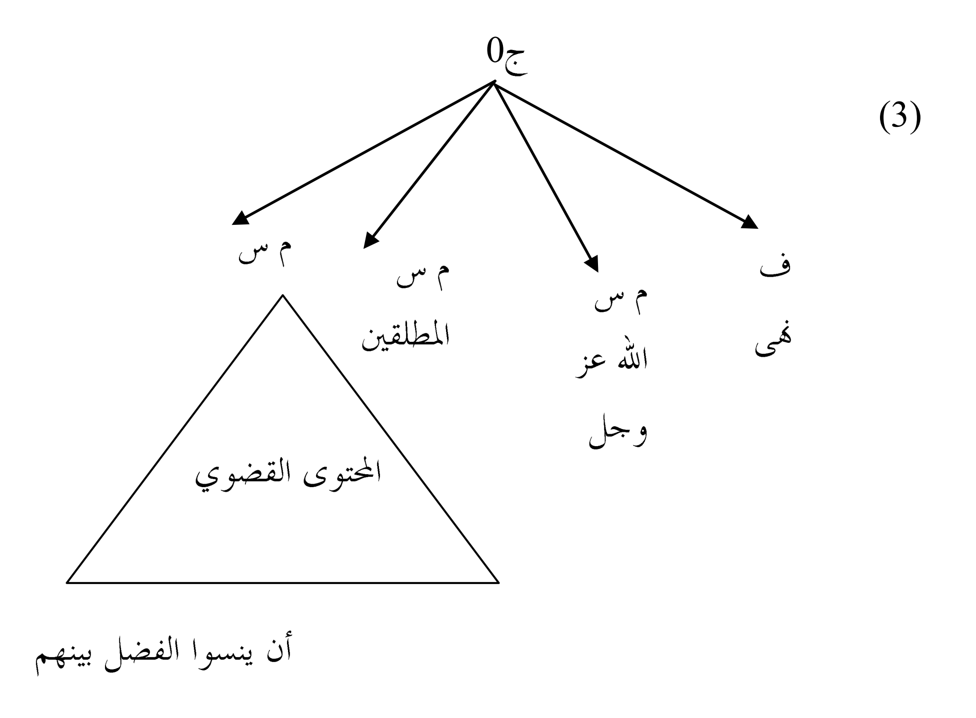
م س
للمطلقين

م س
ج3

المحتوى القضوي

أن يفعلوا ذلك

وبموجب حذف الجملة الإنجازية تنتقل البنية (2) إلى البنية (3)



القوى الإنجازية المباشرة والمستلزمة للنهي

القوة الإنجازية الحرفية	القوى الإنجازية المستلزمة
النهي (التحريم)	-الكراهة —الإرشاد —التهويل —التعظيم — التحذير —التعريض —بيان العاقبة —التحقير — الدعاء

النـــداء:

النداء تركيب طلبي يقصد به تنبيه المنادى ودعوته للإقبال على المتكلم لإبلاغه أمراً يريده، وأدواته: "يا- أيا- هيا- أي- الهمزة " ينادى بالأربع الأولى منها البعيد، أو ما نُزل منزلة البعيد كالساهي والنائم وينادى القريب بالهمزة، وقد ينادى بغيرها لضرب من التوكيد، "والياء" أكثر الأدوات استعمالا واستخداما ينادى بها القريب والبعيد ولذلك لم يستعمل القرآن في النداء غيرها. وتتكون الجملة الندائية من أداة النداء مذكورة أو محذوفة والمنادي الذي لا يظهر في التركيب السطحي للجملة، والمنادى وهو المخاطب والمنادى له: أي جواب النداء وهو المضمون المراد تبليغه للمنادى وقد يكون جملة خبرية أو طلبيه أو شرطية[1].

إذاً فالنداء عادة ما يأتي مقرونا بمقاصد أخرى كالأمر والنهي، والإخبار. فالنداء فعل كلامي يعتبر مدخلاً لأفعال كلامية أخرى هي الهدف المقصود مباشرة من تنبيه المنادى ودعوته للإقبال على الداعي"فالنداء كالغرض الثاني لا يطلب لذاته، إنما يطلب لتحقيق غرض آخر أوأغراض أخرى، وعمل النداء من قبيل خاص، فهو ممهد لسائر الأعمال اللغوية أو قل لسائر المعاني والمقاصد وليس من قبيلها"[2]. فالنداء إذاً ليس مقصوداً لذاته، بل هو لتنبيه المخاطب ليصغي إلى ما يجيء بعده من الكلام المنادى له، فالمنادى له أكثر أهمية من النداء، يقول الزركشي: "قال الزمخشري رحمه الله: كل نداء في كتاب الله يعقبه فهم في الدين، إما من ناحية الأوامر والنواهي التي عقدت بهما سعادة الدارين، وإما مواعظ وزواجر وقصص لهذا المعنى كل ذلك راجع إلا الدين الذي خلق الخلق لأجله، وقامت السموات والأرض به فكان حق هذه أن تدرك بهذه الصيغة البليغة"[3].

والقوة الإنجازية للنداء هي التنبيه (أداة النداء + المنادى) وطلب إقبال المدعو على الداعي، أما القوة الإنجازية في جواب النداء قد تكون:

أمرا، أونهيا، أو إخبارا، أو وصفا، أو دعاء، أو إرشادا.....

---

[1]- محمد خان، لغة القرآن الكريم، ص 261-262-263.

[2]- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب...، ج2، ص 681.

[3]- الزركشي، البرهان...، ج2، ص 201-202.

وجاء النداء في سورة البقرة في ستة وثلاثين موضعا تتوزعه الأنماط التالية:

1- أداة نداء + منادى (مركب بياني) + مضمون النداء

يأتي النداء الأول في سورة البقرة نداء للناس كافة، نداء للبشرية جمعاء أن تختار الطريق المستقيم، طريق التقوى والهداية، وطريق العبادة والخضوع لله تعالى خالق الأولين والآخرين.

"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ "[1]

إنه الخطاب للناس أجمعين لعبادة ربهم لعلهم يصيرون إلى الصورة المختارة من صور البشرية صورة العابدين المتقين. ويفتتح بالنداء تنويها بمضمونه. فهو "خطاب موعظة لكل فريق من الفرق المتقدم ذكرها، فإنه لما استوفى وصف أحوال المؤمنين، وأضدادهم من المشركين، والمنافقين لا جرم تهيأ المقام لخطاب عمومهم بما ينفعهم إرشادا لهم ورحمة بهم لأنه لا يرضى لهم الضلال [...] ليعلموا أن الإغلاظ عليهم ليس إلا حرصا على صلاحهم"[2]. وبعد التنبيه بالنداء يأتي الأمر الصارم بعبادة ربهم الذي خلقهم والذين من قبلهم، والذي جعل لهم الأرض فراشا والسماء بناء، وأخرج لهم من الثمرات رزقا. والإتيان بلفظ الرب في "واعبدوا ربكم" إيذانا بأحقية الآمر بعبادته فإن المدبر لأمور الخلق هو جدير بالعبادة. ثم يأتي النهي الجازم:

"... فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ "[3]

وقد جعلت حالهم "وأنتم تعلمون" محط النهي تمليحا في الكلام للجمع بين التوبيخ وإثارة الهمة، فإنه أثبت لهم علما ورجاحة رأي ليثير همتهم ويلفت بصائرهم إلى دلائل الوحدانية ونهاهم عن اتخاذ الآلهة توبيخا لهم على ما أهملوا من مواهب عقولهم. فهم يعلمون أن الله لا ند له ولكنهم تعاموا وتناسوا[4].

ومضمون النداء في هذا التركيب جملة أمرية أفادت الوجوب. وجوب عبادة الله الواحد الأحد. وتلتها جملة نهي بعدم جعل الأنداد لله عز وجل.

- يا أيها الناس ⟵ التنبيه والإقبال على الداعي المنادي عز وجل

1- البقرة: 21.

2- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 323-324.

3- البقرة: 22.

4- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 335.

- اعبدوا ربكم ⟵ أمر بوجوب العبادة

- فلا تجعلوا الله أندادا ⟵ نهي جازم

- وأنتم تعلمون ⟵ جملة خبرية للتوبيخ وإثارة الهمم

2- أداة نداء + منادى علم + مضمون النداء

"قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ " [1]

وابتداء خطاب آدم بندائه تنويه بشأنه وإظهار لاسمه في الملإ الأعلى وتكريم له. وجاء مضمون النداء جملة أمرية " أنبئهم بأسمائهم"وإن كان الأمر فيها موجه لآدم فهو بمثابة خطاب للملائكة لأن المقصود من خطابه أن يظهر فضله عليهم في العلم لقوله جل شأنه لما أخبرهم بأسمائهم:

" أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ " وقد جعل الله علمه بالأسماء وعجز الملائكة عن ذلك دلالة على أهليته لخلافة الأرض. والأمر في هذا النداء على سبيل الوجوب فقد أنجز الفعل إنجازا فوريا "فلما أنبأهم بأسمائهم".

فالقوة الإنجازية الحرفية لتركيب النداء "يا آدم" هي التنبيه والدعوة إلى الإقبال على الداعي سبحانه وتعالى. أما القوة الإنجازية الحرفية لمضمون النداء (المنادى به) فإنها الأمر على سبيل الوجوب.

ومن نداء البشر بعضهم بعضا نداء قوم موسى لموسى عليه السلام في قوله تعالى:

"وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ "[2]

جاء النداء من قوم موسى "يا موسى" وفي هذا النداء قلة أدب وجفاء مع نبيهم عليه السلام. والآية دالة على عجرفتهم وقلة اكتراثهم بما أوتوا من النعم وما شاهدوه من معجزات. فقد أرادوا أن يروا الله جهرة وإن لم يروه دخلهم الشك في صدق موسى عليه السلام، فرؤية الله شرط لإيمانهم الإيمان الصادق. وقد جاء مضمون النداء جملة خبرية "لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة"

---

[1]- البقرة: 33.

[2]- البقرة: 55.

ومن ثم جاء العقاب لعجرفتهم وتطاولهم على الله سبحانه وتعالى "فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون". والخطاب هنا موجه لليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليواجههم بهذا التعنت الذي صدر من آبائهم والذي يشابه تعنتهم الجديد مع الرسول صلى الله عليه وسلم. فالآيات الكثيرة والنعم الإلهية، والعفو والمغفرة كلها لا تغير من طبيعتهم القاسية والمجادلة التي لا تؤمن إلا بالمحسوس.

وجاء مضمون النداء جملة خبرية لتقرير صفات راسخة في بني إسرائيل قديما وحديثا وهي المجادلة والتطاول وسوء الأدب وتبرمهم من التكاليف الإلهية ونكوصهم عن حمل الأمانة وكفرهم النعم واستبدالهم الأدنى بالذي هو خير.

"وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ ... ﴿٦١﴾"[1]

لقد أرادوا من ندائهم لموسى عليه السلام أن يطلبوا أمرا زهيدا لا يستحق النداء ولا يستحق الدعاء والإقبال فما يطلبونه متوفر في أي مصر من الأمصار. لقد أرادوا العودة إلى حياتهم المألوفة حياة الذل والانكسار والعبودية رافضين حياة العزة والكرامة. وفي قولهم "لن نصبر على طعام واحد" دليل على أن الأمر بلغ منتهاه. فالصبر عادة ما يكون على المكاره. "والتعبير بلن المفيدة لتأبيد النفي في اللغة العربية لأداء معنى كلامهم المحكي هنا في شدة الضجر وبلوغ الكراهية منهم حدها الذي لا طاقة عنده. فإن التأبيد يفيد استغراق النفي في جميع أجزاء الأبد أولها وآخرها"[2] .

وفي قولهم: "ادع لنا ربك" سوء أدب مع المنعم سبحانه وتعالى. لهذا جاء الاستفهام الاستنكاري من موسى عليه السلام تأنيبا وتوبيخا لهم: "... أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ... ۚ ﴿٦١﴾"[3]

ثم يجيء الأمر مباشرة من موسى عليه السلام:" ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ... "[4]

---

[1]- البقرة: 61.

[2]- الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 522.

[3]- البقرة: 61

[4]- البقرة: 61

أمر قصد منه التهديد على تذكرهم أيام ذلتهم وعنائهم بمعنى ارجعوا إلى ما كنتم فيه من ذلة ومسكنة فلستم جديرين بالحرية والكرامة.

لقد جاء مضمون النداء جملة خبرية أعقبتها جملة طلبية. جملة خبرية تصف طبيعة بني إسرائيل المتكبرة على النعم والجاحدة فضل المنعم. وجملة أمرية تصف غلظتهم وجفاءهم مع أنبيائهم. فطلبهم يخلو من التأدب ودماثة الخلق.

3- أداة نداء + منادى (مضاف)+ مضمون النداء

يبدأ الحديث عن بني إسرائيل في سورة البقرة بنداء علوي جليل يذكرهم بنعمه تعالى عليهم ويدعوهم إلى الوفاء بعهدهم معه ليوف بعهده معهم، وإلى تقواه وخشيته، ويندد بموقفهم من الدين الجديد وكفرهم به، كما يندد بتدليسهم الحق بالباطل، وكتمان الحق آمرا إياهم بالصبر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والركوع مع الراكعين. ويذكرهم بنعمه التي أسبغها عليهم عبر تاريخهم الطويل مخاطبا الحاضرين كما لو كانوا من تلقى هذه النعم على عهد موسى عليه السلام. يقول تعالى:

"يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾"[1]

"يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾"[2]

وبين النداء الأول والنداء الثاني جاءت الآيات (40-48) حافلة بالتكرار سواء كان تكرارا لفظيا أم معنويا. وتراوحت صيغ الخطاب بين الأمر والنهي والاستفهام. فإن من قطع ما أمر به أن يوصل وأفسد في الأرض يحتاج إلى تنبيه، وأمر، ونهي، واستنكار. إن المستعرض لتاريخ بني إسرائيل ليأخذه العجب من فيض آلاء الله عليهم، والجحود المتكرر الذي قابلوا به هذا الفيض المدرار.

ففي النداء يجتمع فعلان لغويان فأكثر في المنطوق الواحد.

4- أداة نداء غير ظاهرة+ منادى+ مضمون النداء

وجاء هذا النمط في قوله تعالى:

---

[1]- البقرة: 40.

[2]- البقرة: 47.

"فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾"[1]

في هذين النداءين حذفت الأداة "يا" مع لفظ "ربنا" لشعور المنادي بقربه من المولى عز وجل. فأداة النداء تحذف في البنية السطحية غالبا مع لفظ "رب".

وهذان النداءان صورتان متباينتان: صورة بعض الناس الذين يسألون متع الدنيا ولا يسألون نعيم الآخرة. وصورة المؤمنين الذين يسألون خير الدنيا والآخرة.

ومضمون النداء في الآيتين جمل أمرية دلت على الدعاء. وقد جاء الوعيد للطائفة الأولى من الله عز وجل بأن ليس لهم حظا من النعيم عند الله في الآخرة "وما له في الآخرة من خلاق"

وحذف حرف النداء كذلك في قوله تعالى على لسان جماعة من المؤمنين في جيش طالوت:

"... رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾"[2]

وقد جاء مضمون النداء ثلاث جمل أمرية أفادت الدعاء تضرعوا فيها لله عز وجل أن يمنحهم قوة الصبر على القتال، والثبات أمام العدو والنصرة على القوم الكافرين.

القوة الإنجازية الحرفية	القوة الإنجازية المستلزمة
افرغ علينا صبرا — الأمر	الدعاء
ثبت أقدامنا — الأمر	الدعاء
انصرنا — الأمر	الدعاء

وتختتم سورة البقرة كما بدأت بحقيقة الإيمان بالله، والملائكة، والكتب، والرسل ختاما يتناسق مع البدء. ثم يرد الدعاء الخاشع من المؤمنين:

---

[1]- البقرة: 200-201.

[2]- البقرة: 250.

"... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ "[1]

تختتم إذاً بالتجاء المؤمنين إلى ربهم يستمدون منه العون على ما كلفهم والنصر على عدوهم."ها هو ذا ينطلق من قلوبهم دعاء خافق واجف. يذكره النص القرآني بطريقة القرآن التصويرية، فكأنما نحن أمام مشهد الدعاء وصفوف المؤمنين قائمة تردده في خشوع، عقب إعلان التكاليف وحقيقة الجزاء"[2].

" رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا " دعاء يصور حال المؤمنين مع ربهم، وإدراكهم لضعفهم وعجزهم، وحاجتهم إلى رحمته وعفوه، وإلى مدده وعونه.

"رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ " وهو دعاء ينبعث من وراثة الأمة المسلمة لتراث الرسالة كله الذي حرمت منه بنو إسرائيل. دعاء يمثل شعور المؤمنين بنعمة العبودية لله، والخوف من الارتداد إلى ذلك الدرك السحيق الذي وقعت فيه الأمم السابقة.

"رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ " دعاء يتوجهون به إلى ربهم راجين متطلعين أن يرحم ضعفهم فلا يكلفهم ما لا يطيقون. طالبين العفو والمغفرة والرحمة. ثم يأتي الاعتراف المطلق والولاء الكامل إلى الركن الحصين –ركن الله– "أنت مولانا".

ويعقبه طلب بالنصر على القوم الكافرين. "إنه الختام الذي يلخص السورة، ويلخص العقيدة.ويلخص تصور المؤمنين، وحالهم مع ربهم في كل حين"[3].

في هذا الدعاء الخاشع الصادر من نفوس مؤمنة مذعنة لربها وخاضعة له يتكرر لفظ "ربنا" ويتكرر الدعاء بصيغة النهي والأمر.

---

[1]- البقرة: 283

[2]- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج3 ، ص 347.

[3]- المرجع نفسه، مج1، ج3، ص 347.

	القوة الإنجازية الحرفية	القوة الإنجازية المستلزمة
لا تؤاخذنا لا تحمل علينا لا تحملنا	النهي	الدعاء
اعف عنا اغفر لنا ارحمنا فانصرنا	الأمر	الدعاء

إذاً جاء النداء في سورة البقرة من الله سبحانه وتعالى لملائكته، ولآدم، وللمؤمنين، ولبني إسرائيل وللناس كافة. كما جاء النداء من البشر لربهم، و من إبراهيم عليه السلام، ومن المؤمنين ومن أصناف النّاس. وجاء النداء من البشر بعضهم لبعض، من يعقوب عليه السلام لبنيه ومن موسى لقومه، ومن بني إسرائيل لموسى عليه السلام. وجاء بأداة النداء "الياء" مثبتة ومحذوفة يقول الشاطبي: "إنّ القرآن أتى بالنداء من الله سبحانه وتعالى للعباد، ومن العباد لله سبحانه إما حكاية وإما تعليما . فحين أتى بالنداء من قبل الله للعباد، جاء بحرف النداء المقتضي للبعد، ثابتا غير محذوف؛ كقوله تعالى "يا عبادي" "يأيها الناس" "يأيها الذين آمنوا" . فإذا أتى بالنداء من العباد إلى الله تعالى جاء من غير حرف نداء ثابت، بناء على أنّ حرف النداء للتنبيه في الأصل، والله متره عن التنبيه. وأيضا فإنّ أكثر حروف النداء للبعيد، ومنها " يا" التي هي أم الباب، وقد أخبر الله تعالى أنه قريب من الداعي "[1] ويضيف قائلا: "فحصل من هذا التنبيه على أدبين: أحدهما ترك حرف النداء والآخر استشعار القرب. كما أنّ في إثبات الحرف في القسم الآخر التنبيه على معنيين: إثبات التنبيه لمن شأنه الغفلة والإعراض، والغيبة، وهو العبد. والدلالة على ارتفاع شأن المنادي وأنه متره عن مداناة العباد ؛ إذ هو في دنوه عال، وفي علوه دان، سبحانه. والثاني أن نداء العبد للرب نداء رغبة وطلب لما يصلح شأنه، فأتى في النداء القرآني بلفظ "الرب" في عامة الأمر، تنبيها وتعليما لأن

[1]- الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج 2، ص 103 ــ 104.

يأتي العبد في دعائه بالاسم المقتضَى للحال المدعوّ بها . وذلك أن الرب في اللغة هو القائم بما يصلح المربوب"[1]

وتركيب النداء "الأداة والمنادى" في سورة البقرة جاء على معناه الأصلي وهو تنبيه المنادى إلى سماع ما يريده المنادي ؛ أما مضمون النداء فقد جاء أمرا، ونهيا، وخبرا. ومضمون النداء قد يكون أفعالا إنجازية مباشرة قوتها الحرفية مدلول عليها بالصيغة اللغوية. وبالإضافة إلى هذه القوة الإنجازية الحرفية قد ينجز أفعالا غير مباشرة قوتها الإنجازية مستلزمة مقاميا. وقد جاء مضمون النداء فعلا إنجازيا مباشرا في قوله تعالى:

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ "[2].

فمضمون النداء جملة أمر دلت على الوجوب. وفي قوله عزّ وجلّ :

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ "[3].

فمضمون النداء جملة نهي دلت على التحريم . وجاء مضمون النداء خبرا في قوله تعالى:

"وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾"[4].

وخرج مضمون النداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى:

ـــ الإباحة في قوله تعالى:

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ... ﴿١٦٨﴾"[5].

---

[1]- الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج 2، ص 104.

[2]- البقرة: 21.

[3]- البقرة: 104.

[4]- البقرة: 55.

[5]- البقرة: 198.

ــ الندب في قوله تعالى:

"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَـٰكُم ... ﴿٢٥٤﴾ "[1]

ــ التنزيه في قوله عزّ و وجلّ

"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ... ﴿٢٦٤﴾ "[2].

ــ الدعاء في قوله تعالى:

"... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ... ﴿٢٨٦﴾ "[3]

ــ وجاء مضمون النداء جملة خبرية للدلالة على الفرض الواجب في قوله جلّ ذكره:

"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ "[4].

القوى الإنجازية للنداء

أداة النداء+ المنادى	القوى الحرفية لمضمون النداء	القوى الإنجازية المستلزمة لمضمون النداء
التنبيه والنداء النداء "رب" "ربنا"	ــ أمر ← الوجوب ــ نهي ← التحريم ــ خبر ← التقرير	الإباحة ــ التنزيه الندب ــ الدعاء الإرشاد .....

فالنداء، إذا، كالغرض الثاني لا يطلب لذاته، وإنما لتحقيق أغراض أخرى. فهو ممهد للأفعال الإنجازية التي تأتي في مضمون النداء[5] .

[1]- البقرة: 254.

[2]- البقرة : 264 .

[3]- البقرة: 286.

[4]- البقرة : 183.

[5]- ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، مج 2، ص 677 ــ 690 .

التعبيريات:

هي الأفعال التي يعبر فيها المتكلم عن حالته النفسية تجاه أشياء محددة، أو أشخاص معينين، أو مواضيع مختلفة. وتدخل فيها أفعال الشكر، والتهنئة، والحسرة، والشوق، والحب، والكره والتعزية، والاعتذار . ولا يوجد اتجاه مطابقة في التعبيريات لأن المتكلم لا يحاول أن يؤثر في العالم ليماثل الكلمات ولا الكلمات لتماثل العالم، وصدق القضية المعبر عنها يكون مفترضا[1] . وبعض التعبيريات تقتضي مشاركة من المتلقي في الموقف التداولي مثل أفعال الشكر، والتهنئة، والاعتذار. وتتداخل التعبيريات مع الإخباريات وما يميز بينهما هو أن التعبيريات تتحدث عن المشاعر والانفعالات.

أما الإخباريات فهي تصف أو تقرر وتخضع لمعيار الصدق والكذب واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم.

وقد جاءت في سورة البقرة بعض الأفعال الإنجازية لتعبر عن الحالة النفسية والشعورية للمتكلم . ومنها قوله تعالى حكاية عن بني إسرائيل:

"وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ ... ﴿٦١﴾ "[2]

فقد عبروا عن ضجرهم وبلوغ الكراهية منهم لهذا الطعام الواحد حدها الذي لا طاقة عنده. كما عبروا عن مكابرتهم، وقسوتهم، وغمط الحق في قوله تعالى حكاية عنهم:

"وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ ... ﴿٨٨﴾ "[3].

لهذا جاء الجواب من الله عزّ وجلّ :

"وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ "[4].

كما عبروا عن عصيانهم وتمردهم في قوله تعالى حكاية عنهم:

" ... قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا "[5].

---

[1] – Searle,A Classification Of Illocutionary Acts, p 12.

[2]– البقرة:61.

[3]– البقرة: 88.

[4]– البقرة:88.

[5]– البقرة: 93.

ولهذا جاء الذم من الله سبحانه وتعالى :

"...وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾"[1].

وجاء التعبير عن الخضوع والاستسلام والامتثال للأوامر في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام:

"إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾"[2].

وجاء التعبير عن الندم والحسرة في قوله تعالى حكاية عن أتباع الظالمين والطغاة الكفرة :

"وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ ... ﴿١٦٧﴾"[3].

فقد تمنوا أن يعودوا إلى الدنيا بعدما علموا الحقيقة وانكشف لهم سوء صنيعهم فيدعوهم الرؤساء إلى دينهم فلا يجيبوهم ليشفوا غيظهم من رؤسائهم الذين خذلوهم. لكن هيهات أن يعودوا. لهذا جاء التقرير الحاسم من الله عز وجل:

"... كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾"[4].

فهي، إذا، ليست حسرة واحدة بل حسرات وحسرات. والحسرة حزن وألم في ندامة وتلهف.

وجاء التعبير عن العجز، والخوف، والخوار، وفقدان طاقة التحمل في قوله عزّ وجلّ حكاية عن جنود طالوت:

"... فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾"[5].

---

[1]- البقرة: 93.

[2]- البقرة:131.

[3]- البقرة: 167.

[4]- البقرة:167.

[5]- البقرة: 249.

فالغرض الإنجازي للتعبيريات هو التعبير عن الحالة النفسية والشعورية للمتكلم.

الالتزاميات:

غرض هذه الأفعال إلزام المتكلم نفسه بفعل شيء في المستقبل واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات. وشرط الصدق فيها هو القصد إلى انجاز الفعل كاملا[1] ويندرج ضمن هذا المجال أفعال الوعد والوعيد. ووعده ووعيده سبحانه وتعالى محققان لا محالة وواقعان. وهذه الأفعال الإنجازية مرتبطة بالجزاء والعقاب في القرآن الكريم، وبيان العاقبة، عاقبة المتقين، وعاقبة المكذبين الضالين . وقد تنوع وعد الله للمؤمنين . فأفاض القرآن في وصف الأمور الحسية من أصناف الطعام والشراب، وأنواع اللباس لأهل الجنة فيما يبدو موجها إلى العامة من المؤمنين. وفي وصف النعيم المعنوي فيما يبدو أنه موجه إلى الخاصة من المؤمنين . كما أنّ القرآن لا يحدد النعيم والأجر وإنما يجعله مطلقا لتتخيل فيه النفس ما تشاء . وقد جاء الوعد في سورة البقرة في قوله تعالى:

"وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾"[2].

وفي قوله تعالى كذلك:

"...وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾" [3]

والتبشير هو الإخبار بالأمر المحبوب والمرغوب فيه . والمأمور بالتبشير يجوز أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم، ويجوز أن يكون كل أحد كما يقول الزمخشري، ويذهب إلى أنه كل أحد مأمور به " لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمته وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به "[4] . والغرض الإنجازي لأفعال الوعد هو الترغيب والاستزادة من العمل الصالح .

كما تنوع الوعيد في القرآن الكريم حسب اختلاف طبيعة النفوس . فالعامة من الناس يغلب على وعيدهم التخويف بالعقاب الجسدي كعذاب جهنم ولهيبها وطعامها وشرابها؛ أما السادة

---

[1] - Searle, A Classification Of Illocutionary Acts,p11

[2]- البقرة: 25.

[3]- البقرة:155

[4]- الزمخشري الكشاف، ج1، ص 85

الكبراء وأصحاب الزعامة فيغلب على وعيدهم طابع الإذلال والمهانة. ومن أمثلة الوعيد في سورة البقرة قوله تعالى:

"فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ "[1].

" ... فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ "[2].

وجاء الوعيد بالأداة الشرطية "لو" مقرونا بالفعل "ترى" في مقام التهويل وإبراز البشاعة والفظاعة وتكبير مشهد العذاب في قوله تعالى:

" ... وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾"[3]

وحذف جواب " لو" ليترك فيها مجالا فسيحا لخيال السامع أو القارئ حتى يتخيل ما يشاء من أهوال العذاب وأنواع العقاب. والغرض الإنجازي لأفعال الوعيد هو إيقاظ العقول وإصلاح النفوس، والتأثير على المخاطب حتى يغير سلوكاته ويخضع لأوامر الله ونواهيه.

وعادة ما يذكر القرآن الكريم الترغيب مع الترهيب، ويشفع البشارة بالإنذار لينشط الهمم لفعل الخيرات ويثبط العزائم في اقتراف المحرمات والمنهيات .

الإعلانيات:

هي الأفعال التي ينشأ عن مجرد التصريح بها إحداث تغيير في الوضع القائم. فالأداء الناجح لهذه الأفعال يحدث تطابقا بين المحتوى القضوي والحقيقة، أي الوجود الخارجي؛ كما يضمن أداؤها الناجح توافقا مع العالم . وهذه الأفعال عادة ما تقتضي عرفا غير لغوي[4]، ومؤسسات خارج اللغة، أي نسقا من القواعد التنظيمية ينضاف إلى نسق القواعد اللغوية. ومثال هذه المؤسسات: التشريع الإسلامي، والمحكمة، والدستور، والحاكم، والقاضي ... وهذه الأفعال أفعال

[1]- البقرة : 10.

[2]- البقرة :85.

[3]- البقرة : 165.

[4] - Searle, A Classification Of Illocutionary Acts,p 13-14.

مؤسساتية وليست شخصية – كما يقول جيفري ليتش[1]. واتجاه المطابقة قد يكون فيها من العالم إلى الكلمات أو من الكلمات إلى العالم . ويدخل فيها أفعال العقود: كالبيع والشراء، والهبة والوصية، والزواج والطلاق. فهذه الأفعال تحدث تغييرا في الوضع القائم بمجرد التلفظ بها. ويمكن التمثيل لهذه الأفعال في سورة البقرة في إعلان الحرب على المرابين في قوله تعالى:

"فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ... ﴿٢٧٩﴾ "[2].

وجاء هذا الإعلان بعد أن بين سبحانه وتعالى عواقب الربا، وحرمة الربا، وكيف يمحقه ولا يبارك فيه عكس الصدقات التي يربيها ويزكيها ويضاعفها؛ وأن إيمان الذين آمنوا معلق على ترك ما بقي من الربا. فالذين يفرقون في الدين بين الاعتقاد والمعاملات ليسوا بمؤمنين.

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ "[3].

والمشرع الحكيم " ترك لهم ما سلف من الربا ـــ لم يقرر استرداده منهم، ولا مصادرة أموالهم كلها أو جزء منها بسبب أن الربا كان داخلا فيها ... إذ لا تحريم بغير نص ... ولا حكم بغير تشريع .. والتشريع ينفذ وينشىء آثاره بعد صدوره .[...] وفي الوقت ذاته علق اعتبارهم مؤمنين على قبولهم لهذا التشريع وإنفاذه في حياتهم منذ نزوله وعلمهم به."[14] ثم يأتي الإعلان المرعب الذي يزلزل القلوب:

"فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ "[5]

وعلى قراءة "فَأْذَنُوا" أي كونوا على علم ؛ بمعنى اعلموا ذلك واستيقنوه وكونوا على إذن من الله عزّ وجلّ. وعلى قراءة " فَآذِنُوا " بمعنى اعلموا غيركم وأخبروهم بأنكم على حربهم[6].

---

[1] - leech , Principles Of Pragmatics, p 106.

[2]- البقرة: 279.

[3]- البقرة: 278.

[4]- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 3، ص 3304.

[5]- البقرة : 279.

[6]- الطبري، جامع البيان ...، ج 3، ص 1655.

ولهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عامله على مكة بعد نزول هذه الآيات التي نزلت متأخرة أن يحارب آل المغيرة هناك إذا لم يكفوا عن التعامل الربوي. وأمر صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم فتح مكة بوضع كل ربا الجاهلية وأوله ربا عمه العباس[1].

والإمام مكلف أن يحارب الذين يصرون على التعامل الربوي. يقول الطبري: "فمن كان مقيما على الربا لا يترع عنه، فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه، فإن نزع، وإلا ضرب عنقه"[2].

غير أن الإيذان بالحرب من الله ورسوله أعم من القتال . فهذه الحرب معلنة على كل من جعل الربا قاعدة للتعامل الاقتصادي والاجتماعي. حرب على الأعصاب والقلوب، وحرب على البركة والنماء، وحرب على السعادة والطمأنينة حرب عظيمة تواجهها النفس البشرية معروفة المصير ومقررة العاقبة. فأين قوة الإنسان الضعيف من جبروت الله وعظمته!

فالإعلانيات إذا هي الأفعال الإنجازية التي تغير الواقع، وتحتاج إلى مؤسسات خارج اللغة لإنجازها إنجازا ناجحا.

---

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 1، ج 3، ص 330.

[2]- الطبري، جامع البيان، ج 3، ص 1655.

خاتمة

تتبع هذا البحث مسار الدراسات اللغوية من البنيوية إلى التداولية مستثمرا نظرية أفعال الكلام في تحليل الخطاب القرآني، وحاول تطبيق هذه النظرية على بعض النماذج الأسلوبية في سورة البقرة، وقد أفاد هذا البحث من جهود العلماء من نحاة وبلاغيين ومفسرين وعلماء أصول، ومناهج البحث الحديثة، فخلص إلى جملة من النتائج:

-تعتبر اللسانيات التداولية امتدادا للسانيات البنيوية؛ فهي مكملة لها، فإذا كانت اللسانيات البنيوية تهتم باللغة كنظام، فإنّ التداولية تهتم بالكلام في سياقاته الثقافية والاجتماعية ومقاصد المتكلمين.

-لا يمكن التمييز بين دراسة الخصائص الشكلية للغة ودراسة الخصائص التداولية لأنّ الفصل بينهما سيؤدي حتما إلى قصور في الوصف والتفسير؛ ولا تغني الدراسة التداولية عن الدراسة الشكلية:الصوتية، والتركيبية، والعكس صحيح.

-ضرورة معالجة الظواهر اللغوية معالجة متعددة الأبعاد تأخذ بعين الاعتبار الترابط القائم بين الخصائص الصورية للعبارات اللغوية وبين خصائصها التداولية للوصول إلى وصفها وتفسيرها تفسيرا منشودا ومقبولا .

-المنهج التداولي في إنتاج الخطاب يتجاوز المستوى الدلالي، ويبحث في علاقة العلامات بمؤوليها؛ وذلك بدراسة اللغة عند استعمالها مع مراعاة مقاصد المتكلمين .

-يجب التفريق بين المدرسة الأنجلو- أمريكية التداولية والمدرسة الأوروبية القارية، فالأولى تضيق من مضامين الدراسة وتحصرها في الأفعال الكلامية، والافتراض المسبق، والإشاريات ،و الاستلزام الحواري بينما الثانية توسع من مجال الدراسة، بحيث تشمل الحجاج والتلفظ.

-تعتبر الأفعال الكلامية لب التداولية، ويعتبر الفعل الإنجازي جوهر نظرية أفعال الكلام.

-نظرية أفعال الكلام تنطلق من أنّ هناك ترابطا قائما بين بنية اللغة وبين وظيفتها التواصلية؛ فهناك تفاعل حاصل بين الشكل اللغوي والمقام.

-الفعل الكلامي المباشر هو الفعل الذي يطابق قوته الإنجازية مراد المتكلم؛ أي يكون القول مطابقا للقصد بصورة حرفية تامة . فالدلالة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها . أمّا الأفعال الإنجازية غير المباشرة فدلالتها الإنجازية تظهر في السياق وعادة ما يتوصل إليها عبر اســتدلالات ذهنية، ويجوز أن تلغى .

-درس العلماء العرب الأفعال الكلامية ضمن مباحث الخبر والإنشاء وكان البعض منــهم تداوليين في طروحاتهم، بحيث راعوا الاستعمال والسياق اللغوي والمقامي ومقاصــد المــتكلمين وأحوال المخاطبين. كما راعوا مبدأ الإفادة ومطابقة الكلام لمقتضى الحــال.و درســوا الحمولــة الدلالية للأساليب الخبرية والإنشائية ومعانيها الأصلية والفرعية .

-الخطاب القرآني خطاب تداولي بامتياز تنوعت أساليبه بتنوع المخاطبين وأصناف البشر من مؤمنين، وكفار، ومنافقين، وأهل كتاب.

-تنوعت الأفعال الكلامية في سورة البقرة، واحتلت الإخباريات المرتبة الأولى من حيــث العدد، باعتبار جزء كبير من السورة يصف أحوال المخاطبين، وعظمة الخالق، وقصص الأولين، ثم التوجيهات وبخاصة المتعلقة بالأوامر.

-خرجت الكثير من الأفعال الإنجازية المباشرة إلى معان إنجازيه غير مباشرة يفسرها المقــام الذي وردت فيه كخروج الأمر إلى التعجيز والتهديد أو الدعاء.

-الاستفهام من اللّه تعالى خرج عن معناه الأصلي والحرفي إلى معان إنجازية غــير مباشــرة كالتقرير، والإنكار، والتوبيخ.

-يعدّ النداء من قبيل الفعل الإنجازي المركب، فالجملة الندائية تتكون من المنادى وجــواب النداء، فالمنادى يؤدي وظيفة التنبيه والنداء؛ بينما جواب النداء أو مضمون النداء قد يكون أمرا أو نهيا أو خبرا؛ وقد يخرج إلى دلالات غير مباشرة مستلزمة مقاميا كالدعاء.

-تتداخل التعبيريات مع الإخباريات وما يميز بينهما هو أنّ الأولى تعبر عن حالة شعورية.

-أفعال الوعد والوعيد تندرج في الالتزاميات وجاءت في سورة البقرة مرتبطــة بــالثواب والعقاب .

-الإعلانيات أفعال إنجازية مؤسساتية تقتضي عرفا غير لغوي لهذا ندر وجودها في ســورة

البقرة .

-تختلف الأفعال الكلامية في سورة البقرة في درجة قوتها الإنجازية بحسب تجردها من علامات النفي والتوكيد أو عدمها بحسب حالة المخاطبين، ونوع الخطاب. فهذا الأخير قد يكون أمرا أو نهيا، ندبا أو إرشادا، ترغيبا أو ترهيبا، وعدا أو وعيدا، وصفا أو تقريرا ..

-الآيات القرآنية مشحونة بالدلالات والمعاني.

وفي الأخير آمل أن يكون هذا العمل قد فتح نافذة جديدة للبحث.

الفهارس العامة

* فهرس الآيات
* قائمة المصادر والمراجع
* فهرس المحتويات

218	22	"... فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ "
199 – 204 - 206	23	"وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ"
204 - 199	24	"فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ "
200 – 205 - 229	25	"وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ "
183	26	" ... فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ "
182	28	"كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ "
180	30	"وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ "
201	30	"وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ "
181 – 219	33	"قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ

أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ "		
"وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ ..."	34	198
"وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ "	34	201
"وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ "	35	210
"يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ "	40	221
"وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ "	41	208
"وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ "	42	209
" أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ "	44	180
"يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ	47	221
"وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ "	49 –50 –51	201
"وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ "	55	219 - 225

204	57	" ... كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ ... "
172	61	"...وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ... "
181 – 220 - 227	61	"وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ قَال ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ.. "
204 - 145	65	"وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ "
184	68– 69– 70–71	"قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ
172	79	"فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ "
173 203	83 83	: "وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ... " "...وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ... "

174	84	"وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ "
230	85	" ... فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٌ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ "
227	88	"وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلاً مَّا يُؤۡمِنُونَ "
172	89	"... فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ "
173 – 226 – 228 - 227	93	"وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ "
225	104	"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ "
173	105	"مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۗ ... "
181	106	"۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ "
187	108	"أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ "
198 – 205	110	"وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ"

186	114	"وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ ... "
157	115	"وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ "
210 – 212	119	"إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ "
186	130	"وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ ... "
198 – 228	131	"إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ "
185 – 188	133	"... قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ "
187	138	"صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ "
198	144	" ... فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ ... "
212	147	"ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ "
229	155	"...وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ "
213	154	"وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ "
230	165	" ... وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ"
228	167	"وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ ... " "... كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ "

226	183	"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣"
173	187	"أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ ..."
198	187	"...ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ..."
204	187	"فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ"
211	187	"...وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ ..."
199 185	189	"... وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ" "۞يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ ..."
211	191	"...ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ ..."
199	195	"...وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ"
204	195	"وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ..."
198	196	"وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ..."
212	196	"... وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ.."
199 225	198	"....وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ" "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ..."
222	200 - 201	"فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ وَمِنۡهُم ٢٠٠ مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا

عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ "		
"هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ "	210	189
"سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ "	211	192
"يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ ... "	215	185
"يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ ... "	217	185
"... وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ ..."	219	185
" يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ... "	219	186
".... وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ ... "	220	186
"وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى... "	222	186
أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ "	214	189
"۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ ... "	233	173 -140
"...وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ"	237	212
"مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ "	242	187

190	246	" قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ ...
190	247	"قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةً مِّنَ ٱلۡمَالِۚ "
228	249	"... فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ "
222	250	"... رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ "
226	254	"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم ... "
174	256	"لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ... "
204	258	"...فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ "
191	259	"... قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ ... "
191	259	"قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ ... "
192	259	" ... بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ ... "
226	264	"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ... "
173	275	: "... وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ... "
173	276	"يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ "
231	278	"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ "
331	279	"فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ "

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ "	282	202
"...ۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ...	282	213
" ...وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ ... "	282	204
"... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ "	283	225 - 223
"... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ..."	286	226 - 213
سورة آل عمران		
"رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ "	08	146
"إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ..."	140	31
سورة النساء		
"وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ "	15	144
"وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلاً "	22	146
"...وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا "	87	178
سورة المائدة		

"أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ "	78	143
سورة طه		
"وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ "	131	146
سورة النور		
"وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ "	04	146
"وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ "	33	144
سورة الفرقان		
"وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا "	32	158
سورة الأحزاب		
"وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا "	25	156
سورة يس		
"كُن فَيَكُونُ "	82	145
سورة ص		
"وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ"	20	150
"... فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ "	23	150
سورة فصلت		
"إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن	40	144

يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ"		
سورة الدخان		
"ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ "	49	145 - 143
سورة الأحقاف		
"..فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ "	35	178
سورة الطور		
"ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ "	16	145
سورة الحشر		
"مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡ..."	07	32
سورة الصف		
"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ "	-11-10 12	123
سورة الواقعة		
"فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ"	96	157
سورة الحديد		
"سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ "	01	157
سورة التحريم		
"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ "	07	146
سورة نوح		

145	28	"رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا "
سورة الإنسان		
178	1	"هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا "
سورة الضحى		
110	8-7-6	"أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨"
سورة الانشراح		
178	2 -1	"أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ وَوَضَعۡنَا ۝١ عَنكَ وِزۡرَكَ "
سورة الكوثر		
156	3-2-1	"إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ فَصَلِّ ۝١ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ إِنَّ ۝٢ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ "

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

* المراجع باللغة العربية:

1ـــ إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 1، 2007

2 ـــ إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2003 م ـــ 1424 هـــ .

3 ـــ الآمدي: سيف الدين، الأحكام في أصول الأحكام، ضبط وكتب حواشيه إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت. (جزئين)

4 ـــ بار تشت: برجيته، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة: حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2004 م ـــ 1425 هـــ .

5 ـــ بغورة الزواوي، المنهج النبيوي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 1، 2001 .

6ـــ بلانشيه فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط 1، 2007 .

7ـــ بنكَراد: سعيد، السيميائيات والتأويل: مدخل لسميائيات ش س بورس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـــ المغرب، بيروت ـــ لبنان، ط 1، 2005 .

8 ـــ بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع العلمة، الجزائر، ط 1، 2009 .

9 ـــ تاوريريت بشير، راجح سامية، التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر، مكتبة إقرأ، قسنطينة، الجزائر، ط 1، 2006 .

10 ــ تمّام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب القاهرة، ط 3، 1418 هــ ــ 1998 م .

11 ــ الجابري محمد عابد، بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ــ نقد العقل العربي: 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 2، 2007 .

12 ــ الجرجاني: عبد القاهر، دلائل الإعجاز، شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1425 هــ ــ 2005 م .

13 ــ ابن جني: أبو الفتح عثمان، الخصائص (في ثلاثة مجلدات)، تحقيق محمد النجار، دار الهدي ــ بيروت، ــ ط 2 د ت.

14 ــ الجويني، إمام الحرمين، البرهان في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1997 . (جزئين)

15 ــ الحباشة، صابر، تلوين الخطاب ــ فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط 1، 2007م ــ 1428هــ .

16 ــ حمو الحاج، ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2005 .

17 ــ خان محمد، لغة القرآن الكريم، دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط 1، 2004 .

18 ــ خريسان باسم علي، ما بعد الحداثة دراسة في المشروع الثقافي الغربي، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1425هــ ــ 2006م .

19 ــ خطابي محمد، لسانيات النص ــ مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط 2، 2006 .

20 ــ الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمان بن عمر جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق وتعليق وفهرسة غريد الشيخ محمد، إيمان الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان، ط 1، 1425 هـــ ــ 2004 م .

21 ــ ابن خلدون، عبد الرحمان، مقدمة: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، نسخة محققة، لونان بإخراج جديد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان: د ط، 1424 هـــ ــ 2004 م .

22 ــ دايك، فان، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادرقنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، بيروت ــ لبنان، د ط، 2000 .

ــ علم النص، ترجمة: حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ج مصر العربية، ط 1، 2001 .

23 ــ دفة بلقاسم، بنية الجملة الطلبية ودلالاتها في السور المدنية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، د ط، 1429 هـــ ــ 2008 م .

24 ــ دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، د ط، 1992 .

25 ــ دو سوسير، فرديناند، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ط 2، 2008 .

26 ــ ديكرو: أزوالد، سشايفر، جان ماري، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي ــ الدار البيضاء ــ المغرب، بيروت ــ لبنان، ط 2، 2007 .

27 ــ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني، دارالمعرفة، بيروت لبنان، ط 4، 1426 هـــ ــ 2005 م .

28 ــ الرويلي ميجان، البازغي سعد، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 2، 2000.

29 ــ الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن(أربعة أجزاء)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ــ بيروت، د ط، 1425هــ ــ 2005م .

30 ــ الزهري نعيمة، الأمر والنهي في اللغة العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ــ سلسلة الأطروحات والرسائل: 2، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، د ط. د ت

31 ــ الزمخشري: محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ضبط وتوثيق أبي عبد الله الداني بن منير آل زهدي، دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان، ط 1، 1427 ــ 2006 م . (في جزءين)

32- سعودي أبوزيد نواري، في تداويلة الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط 1، 2009.

33- السكاكي أبو يعقوب بن علي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1407هــ – 1987م.

44- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988. (5مجلدات)

35- السيوطي :جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن (مجلدين) قدم له وعلق عليه محمد شريف سكر، راجعه مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1407هــ – 1987م.

36- سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2000.

37- الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة (4 أجزاء) تحقيق عبد الله دراز دار المعرفة بيروت – لبنان، ط2، 1395 ه- 1975م.

38- الشاوش محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص ، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، ط1، 1421هـ – 2001 م .

39- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن. دار العلم للملايين – بيروت, ط10, 1977م.

40- صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداوليه لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1924هـ - 2008م .

41- الصرّاف :علي محمود حجي، في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1431هـ – 2010م.

42- صلاح اسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

-فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سورل، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007.

43- صوله عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

44- الطبال بركة فاطمة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون: دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ– 1993م.

45- الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، قدم له خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ- 2001م. (15مجلداً)

46- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000

47- بن ظافر الشهري عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004 .

48- ابن عاشور الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر، د ط، 1984. (30 مجلداً)

49- عبد العزيز أبو سريع ياسين, الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية, مطبعة السعادة. ط1, 1410ه- 1989م.

50- العموش خلود، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة"، جدارا للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، عمان، الاربد، الاردن، 1429هـ _2008م

51- الغزالي، أبو حامد، المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا، القاهرة، د ط، 1971. (جزئين)

52- الفاسي الفهري عبد القادر، اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، 1986- دار طوبقال للنشر – الدار البيضاء، ط1، 1985.

53- فام يعقوب، البراجماتيزم أو مذهب الذرائع، دار الحداثة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1985..

54- القطان، مناع، مباحث في علوم القران، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 22، 1987

55- قطب سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط15، 1408 هـ - 1988م. (5 مجلدات)

56- ابن قيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، التفسير القيم، جمع وإعداد الشيخ محمد أويس الندوي، تقديم محمد حامد الفقي، ضبطه وحققه رضوان جامع رضوان، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 1426ه - 2005م.

57- كالفي، لويس جان، علم الاجتماع اللغوي، ترجمة محمد يحياتن، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2006.

58- الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، د ط، 1982

59- كلر جوناثان، فرديناند دو سوسير، ترجمة عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكادمية، القاهرة، ط1، 2000.

60- ليونز جون، نظرية تشوسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ط2، 1977.

61- مادان ساروب، دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة، ترجمة خميس بوغرارة، مطبعة البعث، قسنطينة، ط1، 2003.

62- المبرد، أبو العباس، المقتضب، تحقيق عبد الخالق عظيمة، بيروت، ط1، 1963. (4 أجزاء)

63- المتوكل أحمد :

- اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، د ط، 1989.
_ آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، ط1، 1993.

_ الخطاب وخصائص اللغة العربية – دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 1431ه- 2010م.

64- المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني – دراسة تأصيله دلالية نقدية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2001.

65- محمد محمد يونس علي:

- مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

66- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

67- محمود أحمد نحلة:

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2002.

- علم اللغة النظامي مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2008.

68- مداس أحمد، لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، جدارآ للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2007.

69- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط3، 2004 (في 15 مجلد).

70- موسى صالح بشرى، نظرية التلقي، أصول.....و تطبيقات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

71- مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 2007.

72- ابن هشام الأنصاري:

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د ط، 1992 (جزئين).

- شرح قطر الندى وبل الصدى ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط1، 1417هـ- 1996م.

73- ياكسبون رومان، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة على حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.

74- يحي رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي، الإستراتيجية والإجراء، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، عمان - الأردن، ط1، 2007.

75- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د ط، دت . (10 أجزاء)

76- يقطين سعيد، انفتاح النص الروائي – النص والسياق المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء، المغرب بيروت – لبنان ط3، 2006.

* الرســـــــــــائل:

1- بعيطيش يحي، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، إشراف عبد الله بوخلخال، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006.

* المـــــجلات والدوريات:

1- أعراب حبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عالم الفكر العدد 1، المجلد 30، يوليو- سبتمبر، 2001.

2-حاج صالح عبد الرحمان، النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 10، رجب ديسمبر، 1417ه – 1966 م .

3-زرال صلاح الدين، الخطاب الأدبي من منظور لساني تداولي، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف - الجزائر، عدد 6، السداسي الأول 2008.

4-محمد حسين عبد العزيز، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، 2، مجلة كلية دار العلوم، القاهرة، العدد 19.

5-الناجح عز الدين، مقاربة تداولية لحكمة عطائية، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، عدد 3، ماي 2008.

6-حوليات كلية الآداب، الحولية الأولى، الرسالة الأولى في الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الكويت، 1980-1399ه.

* الكتب الأجنبية:

1-Austin .J.L ,How To Do Things With Words ,Harvard University Press ,Cambridge ,Massachusetts ,2nd ,ed ,1975.

2-Dubois .J. Et Autres ,Dictionnaire De Linguistique Et Autres ,Dictionnaire De Linguistique Et Des Sciences du Language ,Larouse , Paris ,1999.

3-Huang .Yuang ,Pragmatics ,Oxford University Press ,New York ,USA ,2007.

4-Leech Geoffrey ,Principles Of Pragmatics ,Longman ,London ,New York ,1st ed ,1983.

5-Levinson,Stephen C , Pragmatics ,Cambridge University Press , Cambridge, New York ,20th ed,2009.

6-Locastro ,Virginia ,An Introduction To Pragmatics ,The University Of Michigan Press,USA ,4th ed ,2006.

7-Martinet, André, Element De Linguistique Generale ,Armand Colin ,4ème ed,1991.

8-Paltridge ,Brian ,Discourse Analysis, An Introduction ,Continuum International Publishing Group, London, New York ,5th ed ,2011.

9-Sadock.J.M ,Toward A Linguistic Theory Of Speech Acts ,Academic Press ,New York ,San Fransisco, London , USA ,1974.

10-Sampson Geoffrey, Schools Of Linguistics ,Standford University Press ,Standford,California ,USA ,1980.

11-Searle ,John .R ,Speech Acts An Essay In The Philosophy Of Language ,Cambridge University Press ,USA ,31st ed ,2009.

12-Yule George ,The Study Of Language ,Cambridge University Press, 3rd ed ,2006.

Articles :

1-Grice ,Paul ,Logic And Conversation , In Cole And Morgan (eds), Syntax And Semantics :3, Speech Acts Academic Press ,1975.

2-Searle, John R , A Classification Of Illocutionary Acts ,Language In Society ,Vol 5,Number 1,
April ,1976.

_ Indirect Speech Acts ,In Cole And Morgan (eds), Syntax And Semantics :3,Speech Acts Academic Press ,1975.

Dictionnaires :

1-Grand Larouse Universel ,Paris Cedex , Tome 12.

2-Oxford Avanced Learner's Dictionary ,New Edition.

3-Petit Larouse En Coleur , Librairie Larouse , Paris , 1980.

فهرس المحتويات

مقدمة

فصل تمهيدي: الدراسات اللسانية ما قبل التداولية

الفهارس العامة